
مجموعة
قصصية
محمد العسال
وجوه
دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

وجــوه

محمد العسال

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة

دار ليلى

الكتاب:

وجوه

المؤلف:

محمد العسال

رقم الإيداع:

2014/ 1422

الترقيم الدولي:

978-977-5283-05-4

★★★

الغلاف:

محمد محمود

★★★

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: 33370042(02)(002) - 23885295(012)(002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

محمد العسال

وجوه



إهداء

إلى أبي رحمه الله، و أمي أعزها الله ، و كل من له فضل علـيّ بعـد الله.



شكر خاص

إلى:

- نهى غنيم
- منة الله غنيم
- محمد سيد
- أحمد حامد



إلى القصر

"ظل القصر مقبرة للغزاة المرضى وعندما حاولت العجوز الوصول إليه من أجل حفيدها، وقف الواد الله يهده لها بالمرصاد، لتجد نفسها أمام قصر يفوق قصر العمدة جنونًا.."

في الميدان الذي أثبت أن "المستحيل" ما هو إلا خرافة، وفي تلك البقعة تحديدا التي تجسد ما اقترفه البشر في حق أنفسهم وفي هذه الساعة من الصباح التي تؤكد أن الوقت قد يتسع وقد يضيق وقد يتوقف وقد يهرب.. في هذا الجو الذي ليس له مثيل على الإطلاق، أتى صوت من بعيد.

- صوت رهيب بمعدل أحبال صوتية غير آدمية: أيوووه القصر! القصر!

(كان هذا هو منادى "المكروباز"، وهي شخصية أُستحدثت من العدم ظهرت جليا بعد تطور علم الهندسة الوراثية فهناك شبه إجماع بأنه خليط بين كمسري الأوتوبيس والبلطجي).

- الحاجة: أيوه يا ابنى ربنا يهدك بصوتك ده! رايح القصر العيني؟

(الحاجة هي سيدة بالطبع، وهي أم لكل المصريين نالت لقب الحاجة بمجرد بلوغها سن الأربعين، وليس شرطا بأن تكون قد قامت بفريضة الحج ولكن يكفيها للحصول على اللقب أن تقوم بزيارة أي مولد في بلدتها حتى إن كان في أعياد الربيع.

تعيش الحاجة في إحدى بقاع مصر، وهي بالفعل في القاع.. تزور مصر التي هي القاهرة لإصابة حفيدها بالمرض العضال، "الزايدة"، بعيد عن السامعين ونصحها حكماء القرية بالذهاب إلى القصر العيني مقبرة الغزاة.. الغزاة المرضى

نال منادى "المكروباز" لقب الواد الله يهده من الحاجة، وبصوت أجش ينم عن غضب مكتوم مع حشرجة في الزور أو الأنف شخط في الحاجة غير عابئ بأي

أدب.

- الواد الله يهده: لا يا حاجة مش القصر العيني!

- الحاجة في دهشة: هما بنوا يا بني قصر غير بتاع العيانين اللي بيموتوا فيه؟

- الواد الله يهده، بصوت ينم عن نفاد صبره: أنت عايزه إيه يا ست على الصبح؟ عايزه تروحي فين؟

- الحاجة: القصر العيني يا بني، الله لا يسيئك الواد ابن بنتي بعيد عن السامعين جاتله الزايدة، وولاد الحلال اللي في بلدنا قالولنا نروح القصر العيني عشان بالمرة لو في أي حاجة زيادة يشيلوها ونخلص.

- الواد الله يهده: طيب يا حاجة بس ده مش بيروح القصر العيني.. عدي الميدان واركبي المكروباز من هناك.

- الحاجة: يا بني ما أنا كل مرة بركب من نفس المكان أنت باين عليك سكران؟

- الواد الله يهده بغضب شديد: إنت هتجيبي لي مصيبة يا ست على الصبح ولا إيه؟

اصطبحنا وصبح الملك لله يلا روحى يا ستي عشان تلحقي العيان اللي معاكي وتوصلوا بالسلامة.

- الحاجة في دهشة: سلامة إيه يا بني! ما هوه في القصر هناك بقاله شهر

يطلع من الغيبوبة ويمدد على الأرض شوية وقالولنا متخافوش شوية وهتروحوا بيه وأدينا على الشوية دول من شهر.. هي يا بني الزايدة ده بتطول قوي كدا؟

– بدأ الواد الله يهده في إرسال إشارات عصبية لليد: يا ستى إنتي في إيه؟ يا دي النهار! اليوم باين من أوله.. أنا ماعرفش حاجة، فارقينا الله يكرمك.

– الحاجة في غضب: طيب يا طحش وديني القصر أحسن يطلعوا الواد النهارده.

– ضحك الواد الله يهده ضحكة خبيثة أظهرت أسناناً لا حول لها ولا قوة من صحبة المرار مع هذا العقل المتجرد: طيب تعالى يا ست اركبي وأنا هوديكي القصر هتفرحي قوي هناك وهتدعيلي.

– الحاجة فى ارتياح: ربنا يخليك يا بني وتصلّح بوقك.. هو أنت سنانك طالعة من شفتك إزاي كده؟

نظر إليها الواد الله يهده نظره كأنه يرى أحدا يمزق ورقة بمائة جنيه يوم 25 في الشهر، ثم ما لبث أن تراجع عما دار بذهنه من أفكار شريرة.

– الواد الله يهده مخاطبا السائق: يلا يا نص خلينا نخلص بقى من الحمولة دي.. بقولك إيه يا برنس عايز دماغ قراقيش أحسن الست دي فصلتني من الآخر.

أغلق الواد الله يهده الباب من خلف كأنه يغلق على نفسه باب قلعة.. وفي شماتة غريبة صرخ في الجميع.

– الواد الله يهده: الأجرة يا بهوات.. العربية مع نفسها وخلصونا قوام!

انسلخت السيارة من وسط الميدان غير عابئة بما يعرف جدلا في مصر بإشارة المرور، حيث إنها ليست من ضروريات القيادة في مصر بعدما أوشكت الرؤية على الانعدام بسبب عادم السيارات ودخان الشيشة على المقاهي التي أصبحت بعدد بطاقات التموين.. اخترقت السيارة الشوارع، بل واخترقت السيارات التي كانت تُقذف يمينا ويسارا رعبا من هذا المخلوق الرديء الذي يبدو أنه بلا سائق.

بعد دقائق بدأت الحيرة تظهر على الحاجة. فالطريق غير الطريق والشك يملأ قلبها من ناحية الواد الله يهده، فخاطبت الجالس بجوارها..

– الحاجة: مش المكروباز دا رايح القصر يا أستاذ؟

(عامل المصنع هو هذا المدعو أستاذ من الحاجة.. أحد عمال مصر العظام.. والعظام نظرا لبروز معظم عظام الجسد التي يجب أن تختفي وهو ممن بانت عليه علامات الجهد والعرق.. الجهد لأنه بحاجة إلى محاليل من تلك التي تعطى للمرضى في العناية المركزة، أما العرق فقد كان واضحا من الرائحة.. ومثل هذا النوع يعيش على أرض مصر منذ زمن بعيد وهو في مفردات لغة الحياة المستحدثة منذ عشرات السنين هو "مصري مفحوت").

– عامل المصنع: أيوه يا حاجة إن شاء الله.

– الحاجة بعد أن استراحت: ربنا يريّح قلبك يا بني، أصلي مش مستريحة للواد الشيطان أبو بؤ غريب ده.. أصل الطريق غير كل مرة.

– عامل المصنع: معلش يا حاجة أصل الإضرابات في كل حتة وبيقطعوا الطريق والسواق بيخلص نفسه من سكة للتانية.. متعطلهوش أحسن يتغابى علينا!!

– الحاجة: طب وإيه لازمة الضرب والخناقات يا بني؟ وبيضربوا بعض كل يوم كده وسايبينهم؟ وهما فاضيين يضربوا بعض على طول كده؟ أدى آخرة الميه الوسخة اللي طلعنا كنا بنشربها من سنين.. الناس اتجننت!

– عامل المصنع: ضرب إيه يا حاجة أنا قلت الناس بتضرب بعض بردوا؟ بقولك إضرابات إضراباااات.

– الحاجة غير متفهمة للأمر: يادى اليوم! أنت تبع الواد أبو بؤ كمان؟ أنت بتقول الكلام وترجع فيه؟ إيه النهار ده.. أنا اتخطفت ولا إيه؟

بضحكة مصرية خالصة أوشكت على الاندثار، استدارت السيدة تخاطب الحاجة.

– السيدة: لا يا حاجة ماتخطفتيش.. متخافيش.. إحنا رايحين القصر معاكى وربنا يفرجها ويفتحها في وشنا كلنا.

– الحاجة: أنت رايحة القصر ليه يا بنتى بعد الشر عنك.. حد عندك جاتله الزايدة؟

– السيدة: أنا من مدرسين اليومية وعايزينه يشوفلنا حل أحسن ينسونا وتبقى مصيبة.. عايزين نتثبت ويبقى لنا عقود ونعرف نعيش.

- الحاجة في دهشة: وهو القصر دلوقتي بيعملوا فيه كمان شغل المدرسين وهو يا ربى كان لاحق على العيانيين؟!!

عاد الشك مرة أخرى للحاجة، فأطلقت من شفتيها أصواتا غريبة ولكنها كانت مقلقة لجميع الركاب، بمن فيهم الواد الله يهده.. لحظات ولم تتحمل الحاجة شكها، فأخرجت كل ما لديها من ذكاء طبيعي وصناعي.

- الحاجة في خبث: أنا عايزة أعرف دلوقتي لامواخذة كده.. يعنى الحبايب اللي راكبين كلهم رايحين القصر؟ مش غريبة الحكاية دي؟

- عامل المصنع: يا حاجة متخافيش رزقنا ورزقك على الله وإن شاء الله ربنا هيحنن قلبه علينا ويخلّص لنا موضوع الكهربا اللي قطعت عن المصنع عشان الديون اللي علينا وأدينا مربوطين جنب الكهربا مش هنقبض إلا لما تتحل المشكلة ده وإلا هنترمي في الشارع.

شعرت الحاجة فجأة بدوار وجفاف في الحلق مما سمعته وكادت تصرخ لتستغيث، لولا أن انطلق صوت مصحوب برائحة بصل نفاذة أجبرت الجميع على الاستماع!

(رجل البصل هو مواطن مصري بسيط. أدارجي من الفئة الأولى يعمل في إحدى الشركات المخروبة أو في لفظ آخر المنهوبة.. يعمل هو ومن معه في الشركة ليل نهار من أجل أولاد السيد المدير وأصدقائه ليستمتعوا بهواء بورتو مارينا على البانانابوت.. لا يقوي هذا البسيط سوى على إطعام أسرته أما العلاج فليس له به

أي طاقة سوى الوصفات البلدى ومن أهمها فصين التوم وفحل البصل على غيار الرييء.. كل طلعة شمس).

- رجل البصل: أنا سامعك يا حاجة من الصبح بتشتمي ومش عاجبك الواد المنادى والواد صابر عليكي؟ لازم تصبري يا حاجة شوية عشان الموضوع مش هيخلص بين يوم وليلة.. لا.. لسه الموضوع مطول.

- تذكرت الحاجة ما بها من مرارة: ما أنا صابرة أهو يا بني.. بقالى شهر رايحة وجاية على القصر وبقول يا رب والواد حالته متأخرة.. الواد فيها يا حبة قلبى بقالة شهر.

- رجل البصل وهو يحرك كل شيء على وجهه من الدهشة: من شهر إزاي بس يا حاجة.. ماكنش في حد هناك من شهر؟! بقول لك إيه اصبري وشدي حيلك عشان ربنا يسهل الحال.. إنت عارفة لو حد في التليفزيون يصورنا إحنا أكيد أكيد هنرجع مجبورين الخاطر.

- الحاجة مستسلمة: سي الأستاذ اللي جنبك كان بيقول المصنع والكهربا بصراحة، هو عنده حق بردوا.. أصل يا عيني النور بيقطع في القصر كتير والواد قاعد يا حبة عيني في الضلمة على طول وبخاف حد يدوس عليه وهو على الأرض كدا.

سادت حالة من الهدوء المصحوب بالدهشة على الوجوه في المكروباز من كلام الحاجة.. خاصة السائق الذي قرر من صدمة ما سمع أن يسير عكس الاتجاه..

عشان يفوق ويعمل دماغ شتيمة من الناس.

- الحاجة: طب وأنت يا أستاذ إيه اللي موديك القصر شكلك زي الفل، ما شاء الله قالب ريحة المكروباز بالبصل اللي أنت ضربة على الصبح.. سلامتك يعنى خير؟

- ضرب رجل البصل كفا بكف: إنتى هتقري علّى يا ست ولا إيه؟ ده إيه ده! غريبة والله!

- الحاجة وهي تنفخ: ولا هقر ولا هتنيل.. ثم هقر على إيه يا حسرة.. على البصل ولا اللي واكل البصل؟

- استدار رجل البصل يطلق تنهيدة مرسلة رياحا لا مؤاخذة: بصى يا حاجة.

أتت رياح البصل على الحاجة فأوشكت على إرجاع ما في بطنها من كوب لبن خالٍ من بودرة السيراميك ورغيف عيش خالٍ من أكسيد الحديد وأيضًا عدد 3 بيضة لم تستطع الدجاجة ولا المحروس زوجها من إنقاذها من براثن يد الحاجة، ففوضا أمرهما إلى الله.

- الحاجة تشعر بالقرف: بلاش يا بني الله يكرمك؟ أو بص أنت الناحية التانية أحسن الريحة فظيعة هو أنت واكل كيلو بصل؟ ولا فاطر بصل بس؟

- رجل البصل: الله يسامحك إنت زي أمي بردوا.. على العموم إحنا مالناش دعوة بقى! هو قال إنه هيستقبلنا وإن بابه مفتوح لأى حد.

فجأة ارتفع صوت رجل البصل ليرعب كل من في المكروباز حتى الكراسي

– رجل البصل وهو جاحظ العينين: خلاص.. يستحمل بقى!

– ظهر الفزع على وجه الحاجة: خلاص وحد الله يا بـني.. لا إلـه إلا الله.. أنت بتزعئلنا ليه؟

– نظر رجل البصل إلى خارج المكروباز وهو يكمل مستهجنًا: يا عالم ما هو الراجل صاحب الشركة وهو لا صاحبها ولا نيلـه.. واخـد الـشركة هـو وصـحابه وقرايبه عزبه أبوه.. يدى ده ويقطع عن ده وكأن أمه لا مؤاخذه هي اللي جابت له الشركة.. مش فارق معاه أي حد !!

يا عالم يا هو.. دي شركة حكومة يبقى واخدنا عبيد عند اللي خلفوه ليه؟

لاغى الإضافي يعنى نشتغل زيادة وكمان ببلاش وده اللي كنـت بـدفع منـه تمن الدرس للبت اللي حيلتي.. نفسي تـتعلم وماتـشوفوش اللـي أبوهـا شـافه.. وحتى الحوافز قال لنا حين ميسرة ومحدش قادر عليه وآخرة المتمة كمـان فـصل شوية موظفين غلابة أصحاب عيال وإحنا جـاين عـشانهم النهـاردة للجـدع إلى في القصر ده يشوف لنا حل.. أصلى حرام اللي بيحصل فينا ده.. ماحـدش يـستحمل الكلام ده لا البشر ولا البني آدمين حتى يستحملوا..!

– الحاجة مستنكرة بكل أعضاء جسدها: يا بني هو إيـه الظلـم اللـي أنتـوا ظالمينه للقصر ده؟ ما طول عمره فاتح بابه ليكم.. ده إيه ده!.. هو معلـهش اللـي بيدخل على رجليه بيطلع لا مؤاخذة علـى الـترب بـس مـش بيقـول لاء عمـره..

وشوف الأيام عمالة تحط عليه كمان وكمان وجايباله عمال ومدرسين يحل لهم مشاكلهم كمان.. هما الدكاترة هيلاحقوا على إيه ولا إيه؟

ده الدكتور نفسه يا حبة عيني محتاج يتحجز في المستشفى.. ممئوت كده وشكله عيان.. بيجى للواد ابن بنتى كل لما يفتكر.. بس مش بيغيب الشهادة لله عن يومين ويجى يشأر عليه.. الضمير حلوا بردوا!!

بس إنتو يا ولاد الحلال ماتنشفوش دماغكم مع الدكتور لو قال لكم الكهربا مش مهمة.. وأنتو ماشو حالكم بالشمع في المصنع خلو المركب تمشى عشان تقبضوا فلوسكم.. وأنت يا بني يا أبوبصل إنت لو خايف على بنتك بلا علام بلا وجع دماغ جوزها وارتاح البت مالهاش غير الستره مع جوزها والمهم إن ربنا يحميها لك ومايجلهاش الزايدة أحسن دي صعبة قوي بعيد عن السامعين.

كان وقع هذه الحكم التي أسقطتها الحاجة على من في المكروباز شديدا للغاية.. فلم يفهم أحد منهم أي شيء وانتشر سؤال سريعا بينهم " مين الست ده" ؟ بعدها بدأت حواس السائق في الانتباه هو الآخر بسبب نصائح على بابا التي أغرقت بها الحاجة المكروباز..

(سائق المكروباز هو شخص ذكر بالطبع لا يستعمل عقله إلا بنسبة 10٪ فقط ويحتفظ بالباقي كمخزون استراتيجي.. يغضب من كل شيء حتى إن نال الشكر فيغضب أيضًا.. لا يحمل بطاقة ولكن يحمل شهادة طبية بها معظم أمراض المصريين.. من أهم هوايته الوقوف للراكب بعد مسافة طويلة ولا يُنزل الراكب إلا

والسيارة تسير حتى يرى أجمل مشهد يعمل من اجله وهو دحرجة الراكب خلف المكروباز).

– السائق للواد الله يهده: إنت ياض.. اهبط على ودني عايزك في نميمة!!

قفز الواد الله يهده فوق رقاب الناس لتنطلق منه رائحة يشيب لها الولدان تفقد السيدة الجالسة خلف السائق وعيها.

– الواد الله يهده صارخا في السائق: إرغى..!

– السائق: هو إيه حوار الست اللي وارا دي؟ أنا طالبة معاى أضرب زغروف بس خايف منها.. أصل شكلها ولية سو وأنا مش فاهم أي حاجة منها ولا من الناس دي كلها أصلا.. عاملين يرغوا في حوارات.. حوارات حوارات!

– تقمص الواد الله يهده دور مدرس التاريخ: يعني أنت كمان مش فاهم؟ دا أنا قلت أنت اللي هتفهمني الحوار.. طب بص يا نص آخرة الحوار ده إن الست دي عندها حد عيان.. بس مش متأكد هي اللي عيانة ولا جوزها.. بس اطمن يا نص.. شكل الزايدة دي مش مُعدية.

– السائق متأففاً: أنت متأكد إنه مش مُعدى ياض أمال إيه الريحة اللي شاممها دي؟

– تراجع الواد الله يهده إلى الوراء: أكيد يا عم جايبه شوية روايح معاها من بلدها.. مش عارف إيه الأشكال دي ومش راحمه حد يابا.. كله تحت لسانها!

– السائق في عصبية: طب لم الأجرة بدل ما أنط بيك وبيهم في حضن المترو.

– المنادي صارخا في الركاب: الأجرة يا حضرات نحلف لكم إن العربية ليها أجرة.

دب النشاط داخل المكروباز بهدف تجميع الأجرة لتجنب الصدام وقد بدأ الراكب التقليدى متطوعًا بلم الأجرة..

(الراكب التقليدى هو راكب ممن صعد المكروباز أكثر مما صعد سلم بيته.. دائمًا ممسك بأجرة المكروباز في يده قبل الصعود ويملك أقل فئة نقدية حتى لا يخسر قرشا واحدا باقيا عند السائق.. لا يشترك في حوارات ويفضل الاستماع فقط.. دائم الجلوس في أول صف بعد السائق حتى يقفز من الباب سريعا في حاله الخطر وإن حدث ولم يجلس في مكانه المعتاد وتراجع لظروف قهرية إلى الخلف يشعر بالغربة ويظل ممسكا بسقف المكروباز منتظرا الاصطدام)

– الراكب التقليدى مخاطبا السيدة الفاقدة للوعى: يا مدام؟ يا مدام؟ الأجرة قبل ما يرميكى من المكروباز وهو ماشي.. ده شكله متوحش وممكن يعملها!

لم تستجب السيدة.. لا حركة ولا نفس!

– صرخ الراكب التقليدى مستعجلا قضاء الله: الحقونااا الست ماتت! ماتت! بقولكم ماتت!

لم تنتظر الحاجة أي تأكيد على صحة الخبر كمن سلم عقله وقلبه إلى نشرة أخبار التاسعة.

– بدأت الحاجة في العويل: الحقونا يا ناس.. الشابة ماتت.. قتلها الواد

الله يهده.. موتها ببؤة عشان الأجرة.. الشابة مالحقتش تروح القصر يا حبة عيني.. خلّصت نفسها من بدري.. مالحقتش تاخد درس اليومية اللي كانت بتقول عليها من شوية.. إلحقونا يا عالم!

– عامل المصنع مرتبكا: ماتت إيه بس يمكن مغمى عليها.. شوفوا أي حاجة نفوّقها بيها.. حد معاه ريحه أو كولونيا؟ أي حاجة نسغف بيها الست؟

تطوع أحد الركاب ليقدم زجاجة..

(صاحب الزجاجة والمتبرع الوحيد هو خريج حديث من إحدى جامعات مصر.. تخرج منذ ما يقرب من **10** سنوات وما زال يظن نفسه حديث التخرج وفي بداية الطريق.. طريق النهاية!

مكافح! أكل المش سنين دراسته! أنفق والده عليه ما يقارب قيراط أرض ذرة من التي تسقى بماء المجارى!

يهوى العطور وهو زبون دائم لمحل العطور في بلدته الذي يبيع الصابون والجاز أيضًا.. على ما يبدو أنه أخطأ هذه المرة وأعطاه قاتل الفئران الذي لم يجد من يشتريه بعدما هجرت الفئران القرية لشدة فقرها..)

فتح صاحب الزجاجة شنطة سوداء مثل التي كان الأجداد في سالف العصر والأوان يستعملوها ليخرج الزجاجة ويا ليته ما فعل.

– صاحب الزجاجة في لهفة: خدوا.. خدوا.. رشوا عليها شوية بس مش كتير عشان دي مركزة وغالية قوي وكمان مستوردة من برا!

في انفعال وحسن نية تناول الراكب التقليدى الزجاجة وبدأ في الرش على السيدة الفاقدة للوعي.. ولكن بمجرد رش جرعة بسيطة انتاب كل الركاب موجة من السعال حتى السائق والواد الله يهده.

فجأة ترنح المكروباز وقفز فوق الرصيف متجها بكل سعادة ناحية عمود كهرباء للتخلص على ما يبدو من السائق الكاتم على أنفاسه منذ أن شاءت الأقدار أن تتحول من سيارة كان يركبها السائحون منذ 30 سنة إلى سيارة يقودها هو والواد الله يهده!

أنقذت مشيئة الله الجميع بعد أن توقف المكروباز على بعد سنتيمترات من العمود..!

– في حركة لم يتنبأ بها أحد صفعت الحاجة الرجل صاحب الزجاجة على وجهه بقوة: إيه السم اللي أنت جايبة ده؟ روح ربنا ينتقم منك كنت هتلبسنا في العمود!

– صاحب الزجاجة بانفعال: سم إيه يا ولية إنت! دي ريحة غالية قوي.. إنت إيش فاهمك؟!

– قفز الواد الله يهده كسمكة قرش أبيض باتجاه صاحب الزجاجة: عليّ النعمة لعضك!

– تراجع صاحب الزجاجة وانكمش مكانه في رعب: لا! لا! لا!

انفجر الواد الله يهده في البكاء بعد أن ظن أنه الموت لا محالة: أنا كنت

هموت؟ أنا كنت هموت؟ لا مش عايز أموت! حرام عليكم أمي الغلبانة مالهاش حد غيري! حرام عليكم أمي ! مين اللي هيشيل أمي؟

– الحاجة متجردة من أي مشاعر: وأبوك غار فين يابني؟

– الواد الله يهده في أسى: أبوى رمانا من سنين وسافر.. يا عالم بقى مات ولا عايش؟ بس اللي أعرفه إن أمي هي اللي هتموت من غيرى.. أمي العيانة مين اللي هيجيب لها الدواء؟ إنتوا عمالين تضحكوا على وماعندكوش رحمة ولا عارفين ولا حاسين بحد ! هو إنتو اللي عايشين في البلد دي لوحدكم؟ إنتو إيه مافيش دين ولا ضمير!

التف الواد الله يهده يهز السائق في رعب، ودموعه تنهمر كطفل صغير..

– الواد الله يهده: فوق يا نص! إنت مت ولا إيه؟ اطلع بينا قوام قبل الحكومة ما تيجي يا نص.. ! أنا مش

معاى بطاقة!

– الحاجة وهي تكمل على ما تبقى من الواد الله يهده: كمان مافيش بطاقة.. يعنى متشرد؟

– الواد الله يهده وهو يتمايل: لو بيّت في القسم أمي مش هتاخد الدواء يا عالم.. وحتى أم عواطف جارتنا مش في الحارة النهاردة.. أبوس إيدك يا نص.. يا نهار! دا إيه اليوم ده؟ أنا قفلت من ساعة ما شفت الست ده من الصبح.. منك لله!!!

– الحاجة في استكانة: يا بني هو أنا عملت لك حاجة؟ أنت بتتبلى عليّ ليه؟ هو الراجل صاحب الريحة السبب.. ده لازم يشرب الإزازة دي كلها دلوقتي عشان يتعلم يشترى حاجة عدلة بدل مية النار اللي بيقول عليها ريحة دي!

– صرخ صاحب الزجاجة في فزعٍ ورعب: ما حدش بيجى ناحيتى! ما حدش بيجى ناحيتى! هو أنا نائصكم إنتوا كمان! حرام عليكم! اشرب الإزازة ليه؟

خبأ صاحب الزجاجة رأسه بين يديه في بكاء هستيرى كمن هتك عرضه ويبدو أنه في طريقه إلى الانهيار العصبى..

– صاحب الزجاجة مصدوما: دا أنا طالع من أوائل الكلية! المفروض كنت أتعين معيد! تمام زي ما أبوى كان نفسه يشوفنى دكتور في الجامعة! ده لولا الانتحار حرام كنت موّت نفسي.. بعد كل اللي صرفه أبوى عليّ أطلع حتة سايس.. أخرتها اشتغل سايس في جراج!! سايس؟ طب كنت اتعلمت ليه؟

– جحظت عينا صاحب الزجاجة كمن يرى ثعبانا: لاء بقى.. بدل ما أموّت نفسي أروح القصر عشان الراجل ده يحل مشكلتى ويشيل الظلم عني.. أنا من حقى أتعين معيد! ليه منش عايزين؟ ليه الظلم ده؟

– الحاجة في ذهول: لا حول ولا قوة إلا بالله الشاب بيعيط! إيه يا رب اللي جرى في البلد؟ الرجالة هما اللي بيعيطوا الأيام دي؟ إيه الزمن ده؟ أنا عارفة هي الميه الوسخة السبب!! بقالنا سنين بنشرب في البلد وبنسقي الزرع من المية

وطلعت في الآخر ميه مجاري!

بس الغريب يا ناس إن الزرع مامتش هو إتغير آه.. بس ما مامتش.. والناس بردوا اتغيروا شويه كده! اللي يتعب منهم بيسيب البلد على طول حتى لو عنده دور إسهال ومافيش هي ساعات ويرجع على الترب يا عيني.. سبحان الله

إيه يا بلد؟ إيه يا مصر؟ إيه اللي جرى لك؟ هو أنا اتجننت ولا إيه؟ الناس هتضحك على!! سلم يا رب.

بدأت السيدة الفاقدة للوعي تستيقظ وملامحها مثل العائد من حفله تعذيب في جوانتانامو.. نظرت إلى الواد الله يهده صارخة:

– السيدة: حيوان! زبالة! إنت إيه عمرك ما استحميت في حياتك؟

– الواد الله يهده محرجا لا يعرف ماذا يقول: إنت بتشتمى ليه؟ هو أنا الهفيه اللي فيكم؟

– ثم بلع ريقه كمن يبلع مفتاح إنجليزي: هو في حد لاقى ميه يا ست إنتى؟ الميه عندنا يا دوب بينجيبها للشرب ومش عارفين كمان نجيبها!

ثم تلفت حوله كمن يريد أن يبعد عن نفسه تهمه هو متأكد بأنه فاعلها..

– الواد الله يهده: وباستحمى يا أختى طبعا! إحنا على طول بنروح نبلبط في النيل..!

– ثم نظر بعيدًا في أسى يتذكر على ما يبدو ذكرى مريرة: بس بقالنا مدة

مش بنروح عشان الواد زغلول الله يرحمه غرق ومعرفناش نلحقه.. مع أنه كان واد فوره في العوم في المجارى اللي بتضرب كل يوم عندنا! دا نزل الرشّاح كذا مرة بس سبحان الله مش عارف إزاي غرق في النيل ! !

– بعد لحظات صمت تذكر فجأة ما ناله من إهانة: وخليكي محترمة عشان أنا عايز أعض أي حد دلوقتي ! !

نظرت السيدة برعب إلى أسنان الواد الله يهده وبدأت في التراجع بعدما شعرت بأنها تسرعت في السب والقذف وقد تكون العواقب وخيمة.. وفي ظل هذا التوتر نطق أحد الركاب معترضا وبقوة.. نطق المسكين ويا ليته لم يفعل!

(المسكين هو من أهل مصر ويحمل الجنسية أيضًا.. يهوى التحدث باللغة العربية الفصحى في محاولة منه لتأديب حفنة المتفرنجين أي الشباب السيس الذين يغالون في التحدث بالإنجليزية حتى ولو في طبور العيش أبو خمسة ساغ!

ظل يتحدث بالفصحى حتى نسى لغته المصرية اللغة البنت وظل متمسكا باللغة الأم لعل في الأمر مشكلة نفسية عانى منها في طفولته!

يناضل المسكين من أجل من يعرفهم ومن لا يعرفهم ولكن في نهاية الأمر يصبح الجميع ممن لا يعرفهم.. يعانى من أهل منطقته كثيرًا بعدما فشلت كل محاولاته لإقناعهم بأنه لا يتحدث الروسية كما يظنون بل هي اللغة العربية الفصحى.. مسكين! !)

– المسكين موجها كلامه للواد الله يهده: صراخ.. صراخ.. الكل يصرخ.. من

يسمع من إذن؟..ثم بالله عليك لماذا تنظر إلى هكذا؟ حسنًا سأحدثك باللغة التي تفهمهما.. لغة العامة والغوغاء.. تقدر تقولى إيه السبب اللي خلى بؤك يبقى بالشكل ده؟

لكن عفوا اسمحي لي بأن أنتقدك بشكل موضوعى.. أنت شخص سطحى ولازم تعرف إنك لو احترمت نفسك لم يكن لأحد أن يتعدى عليك باللفظ أو الفعل أو كليهما أو حتى الإيماءة يا سيدى.. بلا شك هذا سيؤدي إلى شعورك بأنك ضئيل بل قزم والنتيجة بعدها هي جلد الذات! يا عزيزى أنا مش عارف أنت ليه فاتح بؤك كدا دلوقتي؟

أنا عارف إن كل واحد مننا ممكن يكون صاحب أيديولوجية مختلفة.. اهتمامات مختلفة.. ولكن هذا لا يمنع بلا أدنى شك إمكانية حدوث تقارب فكري وتلاق للأهداف.. حتى يتسنى لجميع طوائف وفئات المجتمع في هذا المسمى خطأً المكروباز أن تنأى بنفسها عن الاستقطاب وتضغط من أجل فهم أيديولوجيات الآخر حتى نخطو جميعا نحو مستقبل أفضل..!

نظر إليهم المسكين في قلق بعدما أسقط عليهم كلماته مندهشا من علامات الذهول التي ارتسمت على الوجوه بعدما كان على ما يبدو ينتظر تصفيقا حادا ولكن خاب ظنه.

– المسكين في توتر: ما الأمر؟

* * *

صمت.. سكون.. أفواه مفتوحة على مصراعيها.. عيون جاحظة أو شاردة.. البعض ينظر إلى المسكين بعدما ألقى عليهم قنابله والبعض الآخر ينظر إلى السماء..!

حتى الذبابة المسكينة هي الأخرى لم تتحمل هذا الكلام الغريب، وعلى الرغم من أن الأفواه على مصراعيها وهم جميعا يبدون كأنهم تماثيل في متحف الشمع. فإن الشك انتاب الذبابة من الجو المحيط، فقررت ترك المكروباز غير عابئة بكم الرزق الذي بداخله فهي الأخرى لا تثق في الوضع الأمني حتى إن حصلت على كل الضمانات من أكبر رأس عالمة ببواطن الأمور وحقيقة الانفلات الأمني في كل ربوع مصر..السيد أمين الشرطة..!

أما الواد الله يهده فليس هناك داعٍ لوصف كيفية فمه المفتوح فهي بالفعل تختلف عن الآخرين ولكن نهر الدموع على وجهه هو الشيء الغريب حقا، فلقد أدرك بعقله البسيط أنها هي سكرات الموت التي سمع عنها من قبل وأنه لن يرى أمه المريضة بعد اليوم ولن يعطيها الدواء ولن يرى حتى أم عواطف جارته بعد هذا الكلام الغامض الذي لم يفهم منه أي شيء على الإطلاق.. على الإطلاق!

وبجوار نافذة بلا زجاج وعلى مقعد يفوق مقعد كشف الكذب قهرًا أظهرت الحاجة ردود فعل عجيبة تتعلق جميعها بالجهاز العصبى.. فقد بدأت الشفة السفلى في الارتعاش مما ينبئ بأمر ما.. بعدها بدأت العينان في الانغلاق والنظر إلى الرجل المسكين.. تمالكت نفسها من هول ما سمعت لتكون هي الأولى التي

تصرخ في وجه المسكين.. أو بمعنى أدق تستغيث..!

الحاجة: أنت الجاسوس؟

أيوه أنت الجاسوس

أيوه أنت الجاسوس.. الحقونا يا عالم

أنت الجاسوس اللي بيدوروا عليه في التليفزيون

أنت الجاسوس اللي خرب البلد

أنت الجاسوس اللي وسخ الميه في البلد وموت الزرع والناس

أنت الجاسوس اللي عايز يطفش رجالة مصر كلها بره

أنت الجاسوس اللي عامل نفسه بيصلى في الجامع

أنت الجاسوس اللي قتل ولاد الناس في الثورة

أنت الجاسوس اللي سرق بهايم أم صابر الغلبانة

أنت الجاسوس اللي سرق سماعة الدكتور وخلاه يكشف بودانه

أنت الجاسوس اللي خلى الخلق دي كلها تروح القصر

رايح القصر تعمل إيه حرام عليك دي الواد غلبان وصغير

يا عالم مات ولا لسه عايش! لو مماتش من المرض يبقى هيموت من الدكتور

ولو نجا منهم يبقى هيموت من نومته على الأرض!

كمان يجى له جاسوس الحقونااااااااا يا نااااااااااااااس

لم يتمالك الرجل المسكين نفسه من هول ما سمع، فسقط مغشى عليه وقد كان أفضل له كي يتجنب لحظات انفعال هذا المخلوق المسمى سائق المكروباز!!!!

بدأ السائق يفيق من غيبوبته والفضل في هذا يرجع لتلك اللغة الغريبة التي تحدث بها المسكين.. بدأ يبدى اعتراضه بشكل مختلف وبدأ في التلفظ بألفاظ لم يشعر الركاب في بادئ الأمر أنها تخصهم.. أعقبه سباب شديد لشخص مجهول من الواضح استقدامه من عقله الباطن أو من ذكرى أليمة في حياته..!

كان وقع رد فعل سائق المكروباز على الواد الله يهده وتعبيرات وجهه غير المفهومة توحى بأن الأمور في طريقها للتعقيد أو ببساطة للسواد على الجميع!

وها قد بدأت اللحظات الصعبة.. فتح السائق باب السيارة وانطلق يجرى بأقصى سرعة مثل المجانين بعيدًا عن السيارة قاطعا مسافة لا تقل عن **200** متر ثم توقف كأنه نسى شيئًا ما فعاد مرة أخرى إلى السيارة.. بمجرد دخوله السيارة انتابته حالة من السعال الشديد وهو جاحظ العينين، بينما علامات الرعب على وجوه الجميع من هذا المخلوق المسمى سائق المكروباز.. وفجأة أخرج من جيبه مطواة.. نعم مطواة!!

- فتح سائق المكروباز المطواة بعصبية ثم صرخ في الجميع: هو إيه بقى.. في إيه.. أنا دلوقتشى فوقت لكم كلكم ويا تفهمونى أنتوا مين بالظبط يا أما هعمل فيكم زي ما بيعملوا فينا في الأقسام.. ولا أقولكم خلاص هي اشتغلت وركبت في الدماغ بقى.. العربية دي.. بتاعتى دي.. آه دي.. اتخطفت.. وكلكم مخطوفين

حتى الواد اللي بؤه مش عاجبكم ده مخطوف.

– الواد الله يهده منزعجًا: ليه كده يا نص؟. أنا كمان؟.دا أنا معاك صبح وليل فايق ومسطول تيجى على الآخر وتخطفنى أنا يا نص؟ يا خسارة العيش والملح يا نص؟

– السائق في دهشة: ما أنا مش فاهم أي حاجة منكم كلكم.. إيه اللي جاب سيرة أمك دلوقتي ياض؟

وهي أمك عملت الزايدة ياض؟

وإزاي أمك طلعت شغالة مدرسة في القصر ياض؟

إنت بتضحك علّى طول السنين دي ياض؟

وإيه اللي جاب جمعه الشوان في المكروباز بتاعى ياض؟

وأم عواطف دي وليه مش بحبها وسيرتها ضربت لي نينى عيني ياض.. هو في إيه ياض؟

– الواد الله يهده وعلي وجه علامات الرعب: جمعة شوان مين يا نص ده جاسوس.. الست العجيبة ده قالت إنه جاسوس والتليفزيون بيدور عليه.. وبصراحة الست دي غريبة يا نص وشكلها شغاله في الاستخبارات أو بوليس الجواسيس لأنها هي اللي عرفته بسرعة.. وقالت كمان بلاوى عملها كتير في بلدها يا نص.. بس هي ماقلتش بلدها فين بصراحة.. وشفت يا نص.. شفت.. أول ما فقسته راح طب من طوله يا نص..

- أطلق الواد الله يهده ضحكة بلهاء تعبر عن الرعب بداخله: إنت عارف يا نص.. إحنا لو سلمناه للبوليس بتاع الجواسيس ممكن يظبطونا يا نص وتلعب معانا.

- السائق بعد أن كاد يبتلع إحدى شفتيه من التركيز: طب ونوديه ليه للى بتقول عليهم دول ياض.. ما نوديه التليفزيون مش هما اللي بيدوروا عليه؟. نخطف رجلينا لهناك في السريع وناخد مصلحتنا منهم.. روح هات ياض الحبل من وارا واربطه وحط الفوطة الزفرة في بؤه عشان ما يتكلمش.. إحنا نرمى الناس دي عند القصر ونطلع بيه على التليفزيون

- الواد الله يهده في سعادة كمن وجد مصباح علاء الدين: طب أبل الفوطة يا نص ولا أسيبها بترابها؟

- السائق بثقة: حرام ياض.. لازم نعامل الأسري كويس.. نفضها من التراب وبلها بشوية ميه.

- الواد الله يهده: بس الفوطة كبيرة يا نص.

- ظهر على السائق ابتسامة شماتة: مش دي الفوطة بتاعة عصام حرباية؟

- الواد الله يهده: آه يا نص.

- السائق في ثقة: خلاص شق أمها نصين.. اقفل بؤه بنص واقفل بؤ الست دي بالنص التانى كمان.. عشان أنا بخاف منها الولية ده.

-على ما يبدو كانت هذه هي أقصى لحظات السعادة في حياة الواد الله

يهده.. فها هو يتولى أمر ربط المسكين وإحساس الوطنية عنده أصبح في منتهاه وهو يردد نشيد بلاده بلادى بلادى بلادى.. لك حبى وفؤاتشى!

كانت كلمات السائق وهيئته والمطواة التي يحملها في يده كافية لتزيد من رعب الحاجة

– الحاجة في رعب: أبوس إيدك يا بني.. أبوس إيدك.. أنا قلت من الأول إنكم خطفينى.. حرام عليكم عايزه أروح القصر لابن بنتى.. الواد هيروح منا.

ظهر على الواد الله يهده الارتباك من كلمات الحاجة التي سرعان ما أكملت عليه عندما بدأت البكاء بشدة.

– الحاجة تبكى بشدة: خلاص يا مصر! أنا هاخد الواد وأروّح بيه البلد.. أعمله لبخة ولا أنقط زيت دافى في ودانه لغاية ما يخف.. هو يعنى الدكتور كان بيعمل إيه يعنى؟ د ه حتى معهوش سماعة.. حتى الواد لو مات يبقى مات في بلده.. بدل الغربة اللي إحنا فيها ده.. بس حرام يا عالم دا الواد اللي حيلة بنتى وكان نفسها فيه؟ يحصل له كل ده؟ سامحنى يا رب.. سامحنى مش عارفة أقول أيه؟ أقول إيه بس يا ناس؟ جواسيس ومدرسين وبلطجية ومتخلفين وناس زمم والواد الله يهده كمان.. أنا تعبت.. حرام عليكم سبونا نرجع بلدنا ومش هنيجى بلدكم تاني..!

– الواد الله يهده متأثرًا: خلاص يا نص سيب الست دي عشان خاطري أحسن تطلع حكومة.. بس يا ست إنتى اسكتى عشان أنت زهقتينا من عيشتنا ولو

فتحتى بؤك تاني أنا هحط الفوطة في بؤك.

– الحاجة مستسلمة: حاضر يا بني حاضر.. روح الله يهدك.. الله يكون في عون أمك.. شكلك إنت اللي عيّت أمك يا عيني.. فعلا اللي يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته.. سبحانك يا رب.. مش هقول غير أفرجها علينا يارب ورجعنا سالمين.

كادت السيارة تنطلق مرة أخرى لتعاود رحلتها لولا أن لاحظ الجميع أن هناك شخصا ينظر إليهم من بعيد في خوف لا يريد أن يجازف ويقترب من السيارة وعلى وجهه ابتسامة صفراء فاقع لونها ترعب الناظرين.. فلم يكن قد شعر من هم في السيارة بأنها قد فقدت أحد ركابها عندما أوشكت على الاصطدام.. لم يشعروا بفقدانهم للراكب التقليدى!

وقف الراكب التقليدى بعيدًا يهز إحدى قدميه في عصبية وهو على استعداد للفرار مسرعا إن وجد ما يكره أو يسوء.. وهو في الوقت نفسه مستعد للقفز داخل المكروباز إن عادت له الحياة مرة أخرى كى لا يخسر الأجرة فهو مجرد مبدأ بالنسبة له.. ظل ينادى على من بداخل المكروباز مرددًا سؤالا يعبر عن الشك الذي يملأ قلبه.

– الراكب التقليدى: أركب ؟! أركب ولا إيه؟!

– السائق مندهشا صائحا في الواد الله : مين ده؟

– الواد الله يهده: ماعرفش.. ده باين عليه مجنون.

– السائق: أمال بيعمل كده ليه؟

– الواد الله يهده: ما بقولك لك مجنون!!!

– الحاجة: مجنون إيه يا مجانين إنتوا! ده الراجل اللي كان معانا.. فط ماعرفش إزاى من المكروباز لما كنا هنخبط في العمود!

نظر السائق والواد الله يهده إلى الحاجة غير مصدقين.. ثم نظرا إليه مرة أخرى متشككين كونه من ضمن الركاب فوجدوه لا يزال يردد سؤاله.

– الراكب التقليدى: أركب ؟!! أركب ولا إيه؟!!

– الواد الله يهده وهو في حيرة من أمره: أركبه يا نص؟

– السائق متردد خائف: مش عارف.. أنا خايف من الراجل ده؟

– مازال الراكب التقليدى يردد: أركب ؟! أركب ولا إيه؟!

– الواد الله يهده في خوف: أركب يا عم!

– الراكب التقليدى و نفس السؤال: أركب ؟!! أركب ولا إيه؟!!

– السائق في عصبية: ما تركب يا عم.. أنت علّقت ولا إيه؟

– الراكب التقليدى و نفس السؤال: أركب ؟!! أركب ولا إيه؟!!

– الواد الله يهده وهو يضرب كفا بكف: ده باين عليه أطرش.

– السائق في ثقة: آه.. فعلا.. شكله أطرش.

فجأة سقطت سلسلة مفاتيح الراكب التقليدى على الأرض، فمد يده يلتقطها

مما أثار فزع الواد الله يهده والسائق.

– صرخ الواد الله يهده في رعب: اجرى يا نص.. ده هيحدفنا بالطوب!

انطلق السائق بالسيارة كمن يتفادى قذفا بالمدفعية الثقيلة وهو يسب الواد الله يهده بسباب غير معلوم المعنى أو حتى القصد وفي الوقت ذاته انطلق الراكب التقليدى هو الآخر يجرى خلف المكروباز في محاولة غير مجدية حتى اختفى عن الأنظار.. وقف يلتقط أنفاسه بعد خيبة أمله ثم فكر أن يلقى بنفسه تحت عجلات المترو حزنا على الأجرة إلا أن الله سلم بعدما تذكر بأنه لم يدفعها.. بينما انطلق المكروباز مرة أخرى باتجاه القصر والجميع في صمت إلا الواد الله يهده فقد كان هو المبتسم الوحيد.. لعله خير!

* * *

على الطريق وبعد دقائق أشار شاب يقف على الطريق للمكروباز، كى ينال شرف الركوب..

(الشاب هو الراكب الجديد.. شاب وسيم ذو جسم متناسق وقوي من بتوع اليومين دول.. أفرغ على رأسه عبوة الجيل كاملة ويرتدى نظارة شمسية تجعله أقرب ما يكون إلى ممثل أمريكى.. يرتدى تى شيرت لونه أبيض مصري.. والأبيض المصري هو اللون الأبيض بعد الخروج من المنزل والتعرض لعوامل التعرية من عادم وأتربة ودخان شيشة وشد وجذب في الأتوبيس وأحضان الصباح من بعض الأصدقاء)

– صرخ الشاب في السائق: القصر؟ القصر ؟

توقف السائق كالعادة بعد مسافة ليست بالقليلة أجبرت الشاب ليهرول

– صرخ الواد الله يهده في السائق: فين يا نص؟ مافيش مكان؟

– السائق: يرشق في الكنبة مع إخواته هو هيغلب يعنى!

– أوشك الشاب على الركوب إلا أنه توقف: باين مفيش مكان.. اتوكلوا إنتوا على الله.. هستنى واحد تاني.

– السائق رافضا: تاني مين يا كابتنش.. اركب أنت هتبسط قوي مع الناس دول.. اطلع بس.. إحنا عايزين حد معانا بيفهم وأنت شكلك كده من بتوع اليومين دول.. أبوس إيدك اطلع إحنا محتاجينك في مصلحة ومش هآخد منك الأجرة كمان.. أصل إحنا معانا جاسوس.. اطلع بس وهنحكى لك الحكاية.

انتاب الشاب دهشة من كلام السائق، ومن منظر الواد الله يهده، لكنه صعد بكل جسارة إلى المكروباز.. وجد لنفسه مساحة ضئيلة ولكنه تكيف واستقر، ثم نظر إلى السائق وكله فضول بعدما تنبه لرؤية المسكين مربوطا.

– الشاب بصوت يملؤه الدهشة: ماله ده عاملين فيه كدا ليه؟

– الواد الله يهده بخوف: أنا ماليش دعوة يا كابتنش.. النص هو اللي قال لي أربطه كده.

ـ ألقى السائق هو الآخر من على نفسه المسئولية: وأنا كمان ماليش دعوة.. دي هي الست اللي أنت شايفها وارا عماله تكلم نفسها دي هي اللي قفشته

وعرفته على طول.. اسألها وهي هتقول لك؟

– الشاب: في إيه يا حاجة؟ جاسوس إيه اللي إنت بتقولى عليه؟

لم تهتم الحاجة ونظرت إلى الخارج في لا مبالاة.

– صرخ السائق في الحاجة منفعلا: ما تردى يا ست على الكابتشن؟

– السائق للواد الله يهده في دهشة: أنت حطيت الفوطة في بوقها ياض ولا إيه ؟

– الواد الله يهده في قلق: لا والنعمة يا نص، بس باين عليها اتشلت أصلها بتحرك شفتها اللي تحت بس.

– أنفجرت الحاجة بعد نفاد صبرها: عشان تعرفوا بس إن الجاموسة والبهايم كلتها تفهم عنكم يا شوية بقر إنتو.. مش قولتوا لي متتكلميش خالص.. إنتو عايزين إيه دلوقتي اتكلم ولا ماتكلمش؟

– نظر الواد الله يهده للشاب: شايف يا كابتشن أهى على طول كده شتيمة وبس.. خلى بالك وأنت بتكلمها أحسن مش هترحمك.. لسانها أعوذ بالله.

– الشاب في حيرة: في إيه بس يا حاجة.. قولى لي أنا زي ابنك.. الناس ده مزعلينك ليه؟ وإيه حكاية الراجل المربوط ده؟

– الحاجة تزكى نفسها: يا بني أنا بفهم كويس.. لعلمك أنا اتعلمت وأنا صغيرة.. أو يعنى تقدر تقول فكيت الخط وحافظة قرآن كمان.. وبرابنط مع العمدة مش برحمة.. نقار طول اليوم.. إنما العمدة الله يطعمه ولا يحرمه من

سبت الفطير اللي معاه في كل حته ده.. مخلينا في رعب على طووووول.. قال إيه خايف على البلد من المشاكل..

– مشاكل إيه يا عمدة؟ يقول البلد حالتها متأخرة.

– طب وإحنا مالنا يا عمدة؟ يقول أومال مين اللي هيرصف الطريق.

– ما الطريق اترصف قبل كده يا عمدة؟ يقول ما هو باظ.

– ما هو باظ من السرقة يا عمدة؟ يقول بلاش غلط.

– هو مش الغلط في اللي سرق يا عمدة؟ يقول ربك غفور رحيم.

– طب عايزين نطمن على البلد يا عمدة؟ يقول عليكوا وعلى الجورنال

– أنهو جورنال يا عمدة؟ يقول اللي مش وسخ.

– هي الوساخة إيه يا عمدة؟ يقول إنكوا ما تسمعوش الكلام.

– ما إحنا سمعنا الكلام ومافيش ميه يا عمدة؟ يقول بكرة تيجى.

– أنت قلت بكرة ده من سنين طويلة؟ يقول هانت

– هانت عليك أنت البلد يا عمدة؟ يقول مش بتاكلوا وعايشين.

– الزايدة انتشرت في البلد يا عمدة؟ يقول وفي كل مصر.

– الناس بتروح وبترجع على الترب يا عمدة؟ يقول أمال ترب ليه.

– البلد بتصفصف يا عمدة؟ يقول أمر الله هتعترضوا.

– وأنت مش ناوى يا عمدة؟ يقول إنتوا بتفولوا علي.

– أنت أكبر واحد في البلد يا عمدة؟ يقول مش أنا العمدة.

– هتقابل ربنا يا عمدة؟ يقول أكيد وأنا أنسى بردوا.

– لاء بتنسى يا عمدة؟ يقول ابقوا فكروني.

– تعبنا يا عمدة؟ يقول ربنا معاكم.

– طهقنا يا عمدة؟ يقول بلدنا زي غيرها.

– مصر كلها كده يا عمدة؟ يقول وأنيل من كده.

– نروح لمين يا عمدة؟ يقول مالكمش غير ربنا.

– طب ماتيجى معانا يا عمدة؟ يقول اسبقوني إنتوا.

– هتروح منه فين يا عمدة؟ يقول مش هروح.

– منك لله يا عمدة؟ يقول أنا منى له بس خليكوا إنتوا في حالكم.

وأهو على كده.. هو في حاله وإحنا في حالنا..!

مش راضي هو بحاله وإحنا راضين بحالنا..!

أخرجت الحاجة تنهيدة، مثل الرياح العاصفة من كل هذا الهم اللي ما يتلم.

– الحاجة: معلهش يا بني.. حكيت لك حكاية البلد والعمدة.. دوشتك.

– الشاب مبتسما: ماتقوليش كده يا حاجة.. اللي جاي هيبقى أحسن إن شاء الله.

– الحاجة : أنت عندك كام سنة يا بني، ربنا يحفظك؟

– الشاب: 24 سنة يا حاجة.

– الحاجة: ربنا يبارك لك في عمرك يا بني أنت باين عليك مؤدب وابن ناس طيبين.

– الشاب: ربنا يكرمك يا حاجة قولي لي بس إيه حكاية الراجل المربوط ده؟

– الحاجة : كنا يا بني بنتكلم كلام زي اللي كلنا بنقوله ده وفجأة بدأ يقول كلاما غريبا.. هو بيقول بنفس كلامنا ده.. آه.. بس ماحدش فاهم حاجة خالص وغلاوتك.. وكمان قال كلام غريب قوي للواد الله يهده.. تقريبا بيتكلم عربي مكسر..

– الشاب مقاطعا الحاجة: مين الواد الله يهده ده؟

– الحاجة تشير إلى الواد الله يهده: الواد أبو بؤ غريب ده؟

نظر الشاب إلى الواد الله يهده في دهشة.

– الواد الله يهده: شايف ياكابتشن، مش قلت لك؟

– الشاب: وبعدين يا حاجة كملي.

– الحاجة بثقة من عمل سنوات في المخابرات: أنا شفت في التليفزيون اللي عندنا.. هو تليفزيون أبيض وأسود بس واضح وبيطلع كل حاجة.. بيقولوا فيه إن الجواسيس ملوا البلد وبيتكلموا كلام زي اللي الراجل ده قاله.. قمت فهمت على

طول إنه منهم وقفشنا فيه وهو مِلأح عندك.

التفت السائق في اهتمام للشاب غير عابئ للطريق ولا للسيارات الأخرى.

– السائق في سعادة: إحنا بقى هنرمي الحمولة ده ونرجع قوام على التليفزيون أسلمه واقفش المصلحة أهى توفر شويه بدل البهدلة دي طول النهار والليل.. بالك يا كابتشن؟. لو المصلحة فيها فلوس كتير ممكن أركب طرمبة ميه للخلق اللي في الناحية عندنا بدل بهدلة المشاوير رايح جاي على الترعة.. أصل أنا بجد نفسي أعمل حاجة حلوة بس مش عارف أعمل إيه.. بس أنا عارف إن دي حاجة حلوة.. مش دي حاجة حلوة بردوا يا كابتشن؟

نظر الراكب المربوط بعين الأمل للشاب لا يستطيع التحدث ولكن عينيه تقول الكثير.. لحظات ثم فاجأ الشاب الجميع وفك الرباط عن المسكين وهو يضحك بصوت عالٍ.

– الشاب بصوت مجلجل: أنا كنت عارف إن ده هيحصل بردوا بعد البلاوى اللي عملوها !

– الواد الله يهده فزعا: يا كابتشن إنت بتعمل إيه؟ ده ممكن يكون معاه مسدس ويخلص علينا.

– صرخ السائق في غضب: المصلحة لو راحت يا كابتشن، هقفش فيك أنت لامؤاخذة.. أنت مش بتحب مصر ولا إيه يا كابتشن؟

– الحاجة: يا نهار مش فايت.. إنتوا طلعتوا مع بعض يا بني ولا إيه ؟

- الراكب صاحب زجاجة الريحة أو الكولونيا أيهما أضر: أي حركة هرش عليكم إنتوا الاتنين من الإزازة دي وهتنفطسوا في ساعتها!

- قفز رجل البصل من مكانه باتجاه المسكين ولكنه اصطدم بسقف المكروباز فصرخ من الألم: راسي! راسي اتفتحت؟ راسي اتفتحت؟

- الرجل المسكين في توتر: أنا لست بجاسوس.. أنا لست بجاسوس.. يبدو أن الأمور اختلطت عليكم.. واغربتاه.. واغربتاه!!

- الحاجة مندهشة: شفت.. شفت بيتكلم إزاي.. قلت لك جاسوس يعني جاسوس.. هو أنا عبيطة؟

- الشاب وهو يشير للجميع بيده حتى يهدأوا: يا جماعة بالراحة على نفسكم شوية.. ده مش جاسوس ولا حاجة إنتوا فاهمين غلط.. هو بس بيتكلم باللغة العربية الفصحى وإنتوا مش فاهمينه.. معلش هو غلطان بس مش جاسوس ولا حاجة ومش معقولة كل واحد مش هنفهمه يبقى جاسوس.. وكمان مش إحنا اللي نقول جاسوس ولا لاء.. يعني شيخ الجامع لو لبس بدله بدل الجلابية وخطب الجمعة هيبقى جاسوس؟

ظهرت علامات الوجوم والتفكير على وجوه الجميع إلا السائق الذي كان بانتظار مساعدة من أحد حتى

يستطيع أن يفهم.

- الواد الله يهده مبتسمًا: إنت بتفهم يا كابتشن.. إنت شكلك متعلم صح؟ آه

العلام هو اللي بينضف الدماغ ويخلى البني آدم إنسان.

- الحاجة في خجل: الظاهر إنى نيلت الدنيا مع الراجل الغلبان.. ده كان هيفطس منا.. سامحني يا رب.. معلش يا سى الأستاذ حقك على؟

- المسكين في سعادة بالغة: لا تعبئي بالأمر يا سيدتي.. فقد بعث الله لي هذا الإنسان كي ينقذني منكم.. واسمح لي أيها الشاب بأن ألقى عليك أبيات من الشعر فأنا مدين لك.

لقد ظننت بحق أنها النهاية.. ولكن شاءت الأقدار وجاء منقذى

يا ليتنى لم أركب من البداية.. ولكن لا ندم فها قد جاء منقذى

- السائق وهو يهز رأسه في تعجب: شفت يا كابتن أهو قعد يقول لنا الكلام الغريب ده وما حدش فهمه.. يعنى كان عندنا حق.. بس أنا بردوا زعلان.. بجد زعلان.. راحت المصلحة.. كانت خلاص هتلعب مع النص وهيعمل حاجة كويسه بدل ما الجيران بيقطمونى كل شوية يا بتاع المخدرات يا بايظ.. يعنى هو أنا يا كابتشن اتولدت وأنا بايظ كده؟. طب قولى يا كابتشن وأنت شكلك بني آدم.. مش أنا من حقى أشرب بانجو عشان أضيع الدماغ دي؟

- الشاب بوجه عبوس: لا طبعا مش من حقك وأنت كده ظلمت نفسك وظلمتنا وظلمت مصر؟

- السائق مندهشا: مصر! مصر إيه يا كابتشن، دي مصر هي اللي سقتنى المر؟

- الشاب ضاحكاً: طب هي مش مصر دي زي أمك؟

- السائق بكل حزم: أنا أسمع كده.

- الشاب: طب لو أمك زعلتك وقست عليك مش بردوا لازم تسامحها عشان هي أمك؟

- أطلق الواد الله يهده صفارة إعجاب: مش قلت لكم متعلم.. يا سلام على ده دماغ!

- الحاجة ممسكة بذراع الشاب: إنت بقى اللي هتقولي إيه الحكاية! الواد ابن بنتي جاتله الزايدة وقالوا لنا في البلد نروح بيه القصر عشان نعمل العملية هناك.. بس الواد يا حبة عيني بقاله شهر يدخل في غيبوبة ويطلع منها يمدد على الأرض وشغلانة كبيرة قوي وإحنا اتمرمطنا ومش عارفين نعمل إيه.. هي يا بني الزايدة دي صعبة قوي كده؟ يعني حالة ميئوس منها لا سمح الله؟

- الشاب ماطا شفتيه للأمام: أنت متأكدة يا حاجه إنها زايدة؟

- من دون سابق إنذار بدأت الحاجة في البكاء: أنا كنت عارفة أنه هيطلع مرض خطير.. كنت حاسة إن الزايدة دي مرض وحش والواد هيروح فيها يا كبد أمه!

بدأت دموع الحاجة في الاختلاط بسائل آخر، يخرج من الأنف محدثا فقاقيع على الفم مما أثار قرف ورعب كل من في المكروباز.

الشاب في لهفة: لا لا يا حاجة الزايدة دي عملية بسيطة خالص والمفروض

يخرج تاني يوم على طول.. أنت قلت لي هو فين يا حاجة؟

الحاجة : في القصر العيني.. الدور الأرضي عشان كده هما حطينة في طرقة كبيرة قوي كده ومنيمينه على الأرض يا حبة عيني.

– الشاب مندهشا: على الأرض.. أنت متأكدة يا حاجة؟

–أخرجت الحاجة منديلا أسطوريا ومسحت ما على وجهها من بلاوى، ثم نظرت بدهشة للشاب.

– الحاجة في غضب: أيوه يابني متأكدة.. هو أنت شايفني بأكل صوابعي؟

أخرج الشاب هاتفه المحمول مما أثار استياء الحاجة.

– الحاجة ممسكة بالهاتف: أنت هتبلّغ عني يا بني ولا إيه؟ عيب دا أنا قد أمك.. خلاص يا بني أنا هروح آخده وارجع البلد ولينا رب اسمه الكريم.. سبحانه الشافي.

– الشاب مبتسما: أبلّغ عنك إيه يا حاجة بس لا سمح الله؟ أنا هكلم واحد صحبى دكتور هناك أسئلة عليه.. قول لي اسمه إيه بس؟

– غلب على الحاجة طابعها القروى الحريص: معلش يا بني قرب أقول لك في ودانك.. أصل أنا وسواسه شوية.

– امتعض الواد الله يهده من الكلام: سبحان الله إيه الناس دي؟ أنت خايفة نقر على أبوكى العيان؟

– الحاجة تشعر بالقوة من وجود الشاب: أبوى الله يرحمه.. وشكلك مش

هتفهم أبدًا.. فاسكت أحسن يا واد أنت وبؤك ده.. إيه يا ختى البلاوى دي..!

- رجل البصل للواد الله يهده بغضب: ماتشوف صاحبك هو مات وهو سايق ولا إيه؟ أحسن يودينا في دهيه ماشفتش عمل إيه من شوية؟

- الواد الله يهده في ريبة: يا نص يا نص في حاجة عندك؟

اكتفى السائق بإشارة للواد الله يهده واستمر يقود في مهارة منقطعة النظير.. مهارة من لا يرى أي شيء ولكن سبحانه المنجي.

- انتهى الشاب من التحدث في هاتفه المحمول، ثم نظر للحاجة: اطمنى يا حاجة صاحبى في طريقه للقصر وأول ما يروح هيطمن عليه ويطمنا..

ابتسمت الحاجة ابتسامة عذبة، فهي وللمرة الأولى تجد أحدا في قاهرة المعز يطمئنها ويريح قلبها المنكسر على ابن بنتها.

- الحاجة في رجاء: طب يا بني طالما أنت ابن حلال كده وبتحب تعمل خير وتساعد الخلق.. الشابة اللي قدام دي شوف إيه مشكلتها وخلصها.. دي بنت حلال والله.. والواد الله يهده فطسها من شوية بريحته اللي زي اللا مؤاخذة ولا بلاش على إيه الغلط.. الطيب أحسن.

- الشاب ضاحكا: حاضر يا حاجة لو أقدر أنا متأخرش أبدا.

- الحاجة في سعادة كمن وجد مصباح علاء الدين: يا شابة ما تشوفى الشاب ده ممكن يخلص لك موضع الدرس بتاعك بدل ما تتشحططى مع الدكاترة في القصر.

- الشاب مبتسما في وجه السيدة: خلاص يا حاجة، أنا هشوف إيه الحكاية خير يا مدام إيه الحكاية؟

- السيدة بضحك: مدام! يا ريت! هي البنات لاقيه تتجوز الأيام دي؟

- الحاجة : يالهوى!! إنت لسه ماتجوزتيش يا بنتى لغاية دلوقتي؟

- الشاب في خجل: أنا آسف يا آنسة اعذريني.

- السيدة في رضا: لا مافيش حاجة.. حصل خير.

- الحاجة وحاجباها قد شارفا أن يصلا إلى أذنيها: طب ليه بس يا بنتى.. أكيد إنت أهلك لا مؤاخذه صعبين.. أو أنت طلباتك كتيرة.. يا بنتى الدنيا واحدة واحدة.. صبرك على الشباب.

حاول الراكب المسكين التخفيف عن السيدة التي بدأت في تلقى الاتهامات من الحاجة بعدما شعر هو الآخر أن في الميكروباز من يسانده.

- المسكين في لوم: يا حاجة أنت متسرعة في أحكامك وهذا ليس من حسن الخلق.. انتظرى حتى يتسنى لها أن تحدثك عما تعانيه وتطرح أمامك أحاسيسها ولا تتعجلى.. العجلة من الشيطان.

- الحاجة مخاطبة الشاب في تعجب: ترجم لي يا بني الله لا يسيئك.. شوف الجاسوس عايز يقول لي إيه؟

- السيدة منهية هذا التخبط: يا حاجة أنت مش حاسة بالبلد ولا إيه؟ هو في حد بيتجوز دلوقتي.. طب ويتجوز فين؟ وهيتجوز إزاي؟ دي حكاية كل بيت

في مصر!.. أنا كنت مخطوبة 5 سنين يا حاجة.. 5 سنين بنحاول نجيب شقة.. كل ما نحوّش قرش الشقة تغلى 10 قروش.. عاملين ذى السلحفة بتجرى ورا القطر.. ذهق من حياته وراح أتجوز واحده تانية عندها شقة وخلصت الحكاية على كده.

– الحاجة بغضب: إخص عليه واطى صحيح.. دول مش رجالة دول.. دا الجدى أرجل منه..!

– السيدة في استسلام: يا حاجة ولا واطى ولا عالى.. ربنا يسهل له هو ما عملش حاجة حرام.. وحرام إنه يضيع عمره.. ربنا يصلح له الحال.. أنا فرحانة له.. هو إنسان طيب عايز يتجوز ويخلف ويعيش حياته.

– الحاجة مخاطبة الشاب: بردوا واطى ولا إيه يا بني؟

لم يتكلم الشاب واكتفى بابتسامة حزينة ونظرة طويلة من النافذة.

– أسرعت الحاجة في محاولة للرجوع لحوار الخدمات المجانية: طب والأستاذ اللي وأكل بصل قدام ده.. اللي تاعب نفسه وبنته وعايز يعلمها ويقرفها أنصحه يا بني خليه يجوزها ويخلص.

نظر رجل البصل للحاجة بقرف غير عابئ على الإطلاق.

– وجه الشاب حديثه إلى رجل البصل منفعلا: إوعى تعمل كده يا أستاذ.. أرجوك كافح عشان ولادك.. حارب عشانهم.. احرم نفسك عشان يتعلموا.. إلا التعليم يا أستاذ.. هو ده الكنز والحسنة اللي هتقعد لك ليوم الدين.. إوعى يا

أستاذ.. إوعى تضيع بنتك.

بات من الواضح أن الدموع على وشك الظهور على وجه رجل البصل ولكن ليست بسبب البصل ولكن كانت الكلمات مؤثرة ومن القلب إلى القلب.

– الواد الله يهده في زهو: قلت لكم متعلم.. أنا حاسس إني قاعد في مدرسة وبتعلم منك يا كابتشن.. بجد صدقني أنا نفسي أتعلم.. بس أنا مش فاكر ليه متعلمتش؟ نفسي أبقى زيك يا كابتشن والله.. نفسي أبقى كويس.. هو بؤى ممكن يعمل لي مشكلة في العلام؟

– الشاب ضاحكا: طبعا لا.. أنت مادخلتش مدرسة خالص؟

– الواد الله يهده في اهتمام: لا خالص.. بس كنا بنوصل عيال كتير للمدارس

– الراكب المسكين متهكمًا: ولا حتى "كي جي وان" أو "تو"؟

– الواد الله يهده بعد أن أغمض العين للفهم: إيه؟

– الحاجة للواد الله يهده: يا واد حتى ما رحتش الكتّاب؟

– الواد الله يهده: لا.

– الشاب مبتسما: طيب يبقى إنت لازم الأول تروح محو الأمية.

– الواد الله يهده بسذاجة: أروح يا كابتشن مش مشكلة.. بس قول لي أركب من فين؟

انفجر الجميع في الضحك والسخرية على الواد الله يهده ما عدا السائق الذي على ما يبدو يستقبل ضيوفا في عالمه الخاص.. بينما شعر الواد الله يهده بالخجل، فأدار وجهه عنهم في حزن مما أصابه من ألم من هذه السخرية.. إلا أن الشاب الذي لم يشاركهم ضحكهم وسخريتهم نظر إلى الجميع وصب عليهم غضبه.

- الشاب ووجهه شديد الاحمرار: هو ده اللي ربنا قدركم عليه.. تستخفوا بالناس.. بدل ما تزكوا عن العلم والعقل اللي ربنا كرمكم بيه تتريقوا على خلق الله!

ساد صمت في المكروباز بعد هذا الإحراج غير المتوقع من الشاب.

- الشاب متهكما: أوعوا تفتكروا إن إنتوا أحسن منه.. لا.. يمكن لو هو في مكانكم كان طلع أحسن منكم.. كان ممكن يبقى وزير مش زيكم كل واحد شايل همومه وبيدور على حد يشيل عنه.. ثم إنتوا بتضحكوا قوي على إيه؟ فرحانين قوي إنه مش عارف.. ماحدش سأل نفسه ذنبه في رقبة مين؟ حد فيكم يا متعلمين راح درّس في فصول محو الأمية عشان الغلابة اللي ما تعلّموش؟ طب حد فيكم حس إن لازم يعمل حاجة للناس مش بس ياخد على الفاضي والمليان؟ الكل شايف جيل وارا جيل بيضيع.. الكل شايف لكن أعمى..

أشاح الشاب بوجهه عنهم وتركهم مع أنفسهم التي تلقت آخر جملة كأنها سبة.. فقد كانت "جملة الكل شايف لكن أعمى"، كافية لتجسد الواقع.. فأصبح الكل يعيش في صدمة، بل ويشعر بالضآلة بعدما جاءت لحظة الحقيقة.. البعض

يطنطن بشيء غير مفهوم.. البعض يحاسب نفسه ويلوم.. البعض يحارب شيطانه الذي لا زال يقنعه بأنه لا يد له في الأمر..البعض يحاول أن ينزع عن نفسه ثوب اللامبالاة.. الكل يحاول..!

استجمع الشاب نفسه وأعصابه وبدأ في الحديث مرة أخرى موجها حديثه للواد الله يهده وهو يمد يده بورقه بعد أن دون عليها رقما.

- الشاب وهو يحاول أن يبتسم: بعد **3** أيام اتصل بي وإن شاء الله هقدر أوفر لك فرصة لمحو الأمية.. وكمان هيبقى درس خصوصى ومتخفش مش هتعطلك عن شغلك يا سيدى.

- الواد الله يهده غير مصدق وبسذاجة من لم ير أحدا في حياته: بس أنا لازم أدى أمي الدوا بالليل.. أصل هي مالهاش حد غيرى؟

الشاب: بردوا مش هيعطلك عن دوا أمك.. ها مبسوط؟

- الواد الله يهده فرحا غير مصدق: معقول؟ هتعلم يعنى؟ أنا مش مصدق!

- الشاب: أنت وشطارتك بقى.. إنت ممكن تدخل الجامعة كمان.

- تفاجأ الواد الله يهده مما سمع حتى كادت أسنانه تعود إلى طبيعتها: إيه؟ الجامعة؟

وبفطنة يحسد عليها أراد الواد الله يهده أن يكسر الحزن الذي عم الكل، فأطلق ما يشبه النكتة ساخرا وضاحكا.

- الواد الله يهده بصوت عالى: دا أكيد مش هيرضوا عشان بؤى !!

عاد الجميع إلى الضحك مرة ثانية بفضل الواد الله يهده، فشر البلية ما يضحك..!

* * *

عاد المكروباز يتدحرج على الطريق في خشونة مفرطة وأصوات غريبة لا يعلم الواد الله يهده ولا حتى السائق أي حلول منطقية لهذه الأصوات، اللهم إلا حل وحيد وهو رفع صوت الأغانى الأكثر غرابة والأكثر تشنجًا من أصوات المكروباز للدرجة التي تغطى ليس على الأصوات الغريبة بل وعلى صوت العقل حتى يصبح المكروباز بمن فيه وعليه ومن يجرى خلفه أو حتى يجرؤ من الاقتراب منه كمن يعيش في غيبوبة ولكن بالطبع ليست كتلك الغيبوبة التي يعيشها ابن بنت الحاجة بسبب الزايدة!!!!

– فجأة خاطب السائق الجميع، وهو في حالة ذهول: إيه ده.. دا إحنا وصلنا القصر أهو !

– المسكين: وما الغريب في الأمر يا عزيزى؟

– السائق غير فاهم لما قاله المسكين: بقولك وصلنا أنت مش مصدق ليه؟

– المسكين: إذن حانت لحظة الحقيقة، فإما أن نكون لها وإما أن نكون أسوأ مما كنا!

لم يهتم ركاب المكروباز بهذه الهلفطة غير المفهومة من المسكين ولكن سرعان ما نطقت الشابة موجهة كلامها إلى السائق وهي تتلفت حولها.

– الشابة : أنت متأكد؟

– السائق مندهشا : مش شايفين الخلق دي كلـها قـدامكم؟ بـصوا كـويس.. إنتوا تايهين ليه؟

نظر الجميع إلى الخارج ليشاهدوا الصورة.. ليشاهدوها بوضوح

آلاف من البشر..!

منهم من يحمل صورا ولوحات تعبر عن مطالبه

منهم من يحمل أنبوبة بوتاجاز فارغة

منهم من يحمل رغيف عيش

منهم من يحمل زجاجة فارغة من الماء

منهم من يحمل صورة لأحد من أبنائه

منهم من يحمل شخصا على كتفيه يهتف ويصرخ

منهم من يحمل همومه ولا يستطيع الحراك

منهم من يحمل أملا حتى إن كان بعيدا

منهم من يحمل التحيات لمن بداخل القصر

منهم من يحمل الرغبة في الدفاع عمن بداخل القصر

منهم من يحمل الرغبة في الانتقام من نفسه ومن بداخل القصر

منهم من يحمل دموعه ولا يبكى منتظرا من بداخل القصر ليبكى أمامه

الكل ينصب خيمته..!

منهم من نصب خيمة ليعتصم

منهم من نصب خيمة، لأنه ليس له بيت يؤويه

منهم من نصب خيمة، ليتحدث ويجد من يسمعه

منهم من نصب خيمة، ليحتمى من حر الصيف فالشمس حارقة

منهم من نصب خيمة، ليحتمى من مطر الشتاء إن غادر الصيف بلا نجاح

منهم من نصب خيمة، وهو لا يدرى لماذا

منهم من نصب خيمة، لأنه أحبها

أمواج من البشر ضاقت بهم الدنيا بما رحبت.. !

هناك من يأكل

هناك من يشرب

هناك من ينام

هناك من يقرأ

هناك من يلعب

هناك من يرفض

هناك من يوافق

هناك من يعترض

هناك من يتواءم

هناك من يتوافق

هناك من يشجب

هناك من يستقطب

هناك من هو كل ذلك

هناك أحلام و بشر..!

كان المشهد في غاية التعقيد لا يحتاج لدقائق أو ساعات، بل يحتاج إلى أيـام وأشهر ليستوعب الجميع الأمر!

– فقد السائق السيطرة على السيارة لتتعطل، فصرخ مرتبكا: مين دول؟

– شهقت الحاجة في دهشة: هي حصلت تجيبوني مستشفى المجانين؟

– السيدة بعينين جاحظتين: لا أنا مش عايزة أموت!

– رفع المسكين رأسه كأنه إمبراطور: إذن، فاليوم هو اليوم!

– دس صاحب الزجاجة يـده في حقيبتـه وأخـرج الزجاجـة القاتلـة: علـيّ وعلى أعدائى!

– الواد الله يهده في رعب: أنا ماليش دعوة!

– رجل البصل يتهته: أنا متنازل عن الإضافى!

– الشاب وجهه مضيء وعيناه لامعتان: يا أهلا!

تجرأ الجميع وخرجوا من المكروباز.. أمسكتِ الحاجة بيد الشاب تستغيث في ذهول.

- الحاجة : أنا فين يا بني؟

- الشاب: أنت قدام القصر يا حاجة؟

- الحاجة : بس مش ده القصر يا بني!

- الشاب: إنت عايزه قصر إيه بالظبط؟

- الحاجة : القصر العيني يا بني عند ابن بنتى.

- الشاب: بس ده القصر عند الريس يا حاجة.

- الحاجة : ريس؟ ريس مين يا بني كفاية الشر؟

- الشاب: رئيس الجمهورية.

- الحاجة : وإيه اللي يودينا عنده يا بني؟

- الشاب: كل مجموعة ولها سبب أو لها طلب.

- الحاجة : وهو الريس هينزل يكلم كل واحد ويحل له مشكلته.. ده العمدة عندنا مش بيعملها مع الـ **100** نفر اللي في البلد.

- الشاب: عندك حق يا حاجة.. بس الناس تعبت خلاص.

- الحاجة : عندك حق يا بني.. الناس فعلا تعبت.. وتعبت قوي.

- الشاب: عن إذنك دقيقة بس أدور على واحد صاحبى.. خلى بالك من

نفسك واستنينى هنا.

- الحاجة : أنا يادوبك أعرف أخلى بالي من نفسي هنا.. وإيه الخلق ده كلها.. ده مولد وصاحبه غايب.. بيجى العمدة يشوف.. بدل ما هو نايم على سبت الفطير طول اليوم..!

بينما كانت الحاجة تستكشف القصر الجديد، كان هناك حوار من نوع آخر في الوقت نفسه.. فالسائق والواد الله يهده مستلقيان تحت السيارة المعطلة في حوار ميكانيكى بالدرجة الأولى.

- السائق بثقة: شد الحديدة دي شوية عليك.. أيوه تمام كده.. بسرعة بقى ياض يلا بينا نفك من هنا قبل ما يقبضوا على المجانين دول كلهم.

- الواد الله يهده في دهشة: يقبضوا عليهم؟ ليه يا نص؟

- كاد السائق يلطم الواد الله يهده على وجهه: إنت ياض مش شايف بيقولوا إيه؟

- الواد الله يهده: بيقولوا إيه؟

- السائق: ياض دول عايزين الريس يجيب لهم الأنبوبة بتاعته من جوه وياخد الفاضية بتاعتهم.

- الواد الله يهده مندهشا: يا راجل.. هي حصّلت؟!

- السائق في أسى: آه ياض.. وكمان في اللي عايز يبدل معاه البيت بتاعه اللي مافهوش ميه ولا نور.. تتصور ياض.. جرى إيه يا جدعان ده رئيس

الجمهورية.. عيب مش كده ده الكبير بردوا!

- الواد الله يهده بقلق: طب أوامك يا نص لحسن نتاخد في الـرجلين.. بـس إيه ده لا أصبر يا نص.. يعني ممكن ياخدوا الكابتشن اللـي هيعلمنـي ويـدخلني الجامعة؟

- السائق تائها: كابتشن؟ جامعة؟ أنت بتتكلم عن مين؟

- الواد الله يهده منزعجا: الكابتشن اللي كان معانا.. الجـدع ده اللـي كـان بيحل مشاكل الخلق في المكروباز.

- السائق بعد نفاد صبره وبغضب: أنا ماشفتش كابتشن في المكروباز!

- الواد الله يهده: يا نص الكابتشن اللي طير منا المصلحة بتاعة الجاسوس.

- رفع السائق حاجبيه لأعلى: آه افتكرته.. ماله بقى؟

- الواد الله يهده في قلق: يعنى هيخدوه دا كمان؟

- السائق بعد أن مط شفتيه للأمام: أكيد ياض.

- الواد الله يهده: لا يا نص ده واد جدع ولازم نقف معاه.

- أمسك السائق بالواد الله يهده في عتاب: بس لما نعرف نقـف إحنـا الأول على رجلينا ونطلع من تحت المكروباز.. تفتكر هتشتغل العربية دلوقتي بعد اللي عملناه فيها؟

- الواد الله يهده: مش عارف.. بس ممكن نسأل الكابتشن، وهو يقول لنا..

ده جدع قوي.. والله أنا حبيته يا نص.. حسيت إنه زي أخوى.

- السائق مندهشا: أخوك!

- بعد تفكير وسرحان الواد الله يهده معاتبًا السائق: أنا ما عنديش أخ يا نص وماتزعلش منى أنا عمري ما حسيت إنك أخوى!

- السائق في ضيق: ياض أخوك إزاي.. ماينفعش.. أنا من أم وأنت من أم تانية.. يبقى إزاي نبقى أخوات.. مش تشغل مخك شويه؟

- الواد الله يهده رافعًا حاجبيه: إيه ده عندك حق يا نص كانت تايهة عني فين ده؟ طب دلوقتي هنعمل إيه ننادى الكابتشن من العركة اللي هو فيها دي ولا إيه؟

- السائق يكاد يبكى: مش عارف.. أنا حاسس إنى عمري ما هطلع من تحت العربية دي مش عارف ليه؟

- الواد الله يهده بذكاء منقطع النظير: طب عندي حل تاني.. ممكن طالما أنت هتطول تحت العربية تستنانى لما أخلص مع الكابتشن ويدخلنى الجامعة وأرجع لك أكيد هكون فهمت ونشوف موضوع العربية ده.. ها إيه رأيك؟

- السائق في لوم: لا يا عم.. هو أنا عارف أنت هتقعد قد إيه فيها الجامعة ده؟ وهي أصلا بعيده ولا قريبة؟ لا أطلع بص عليه برا كده؟

- الواد الله يهده: هارش يا نص.. مش هغيب.

أمسك السائق بيد الواد الله يهده متوسلا إليه: ماتغيبش.. ماتسبنيش تحت

هنا لوحدى؟

– الواد الله يهده: عيب عليك يا نص دا أنت أخوى.. قصدى أنت صحبى.. أصل ماينفعش تبقى أخوى.. خلى بالك من نفسك يا نص.

خرج الواد الله يهده من تحت السيارة، ثم قفز فوق سطحها ليحدق في الجمع الغفير باحثا عن الشاب حتى وجده بجوار الحاجة التي ما زالت تمسك بذراعه كالطفل وسط هذا العالم الغريب.

– صرخ الواد الله يهده مناديا: كابتشيييين يا كابتشييييييييين!

التفت كل ممن تنطبق عليه صفة الكابتشن إلى الواد الله يهده مما أربكه، فقرر الذهاب بنفسه للشاب وسط الجموع.

– تسلل الواد الله يهده بين الناس، وعيناه حائرتان لا يصدق ما يرى من حوله وهو يردد في رعب: شكلهم مجانين فعلا!

وبينما هو يتخطى الناس مر من خلال مظاهرة من عشرات الرجال، فأمسكه أحدهم مما ألقى في قلبه الرعب.

– صرخ الواد الله يهده في رعب: أنا ما عملتش حاجة.. أنا ما عملتش حاجة!

– نظر إليه الرجل يسأله في صرامة: أنت عارف؟

– الواد الله يهده مصدومًا: لا مش عارف.. دول هما اللي جابونى هنا.. وأنا عايز أدى الدواء لأمى الله يخليك.

- الرجل وهو لا يزال ينظر إليه في صرامة ويهدده: إوعى.. أنت عارف؟

- بدأ الواد الله يهده في الارتعاش: يا عم الله لا يسيئك سيبني أروّح لأمي.

بعد دقائق من الكلام الكثير والكبير إنتهى الرجل وقد أنهى على أعصاب الواد الله يهده الذي تصبب عرقا، حتى ابتلت ملابسه.. فلم يكن يدرى ماذا فعل ليقال له مثل هذا الكلام الذي لم يفهم منه أي شيء على الإطلاق.

ترك الرجل الواد الله يهده وسار بمن معه من أتباع، بينما ظل الأخير يرتعش لا يدرى ماذا يفعل.. استمر على تلك الحالة دقائق حتى استجمع قواه مرة أخرى، وهو يسأل نفسه سؤالا يراه منطقيا للغاية.

- الواد الله يهده يحدث نفسه في دهشة متسائلا: الراجل ده شكله كان عايز يقول لي حاجة هو والمجانين اللي معاه بس ماعرفش يجمع ؟!

تذكر فجأة النص والشاب الذي يجب إحضاره فانطلق نحوه بسرعة متلهفا خائفا من الناس.

- رأت الحاجة الواد الله يهده قادمًا، فأمسكت بيد الشاب: الحق الواد الله يهده جاي علينا شكله هيضربنا بالمطوة!!

- الشاب في تعجب: مطوة إيه يا حاجة بس.. ده واد غلبان.

- الحاجة : إنت اللي غلبان.. أنا عارفة الرمم دي.. دول بوظوا البلد عندنا من البانجو اللي بيشربوه.

رفعت الحاجة حاجبيها وكشرت عن نابيها وأظهرت الغضب في وجه الواد

الله يهده.

– الحاجة : إنت عايز إيه يا واد أنت؟ جاي ليه؟ عايزين منا إيه تاني؟

– الواد الله يهده غاضبا: يا ستى هو أنا قربت منك.. ده إيه ده.. أنا عايز الكابتشن.. يا خرابى عليكي دا أنت ست سو.

– التفت الواد الله يهده للشاب: الحق يا عم.. قرايبك كانو هيخلصوا عليّ.

– الشاب مندهشًا: قرايبى؟

– الواد الله يهده للشاب: أيوه يا عم.. فيهم واحد بيتهته كدا ومش عارف يجمع قعد يقول لي كلام كتير مافهمتش منه حاجة خالص.

شعر الشاب باستحالة فهم الواد الله يهده فلم يجد مفرا من إنهاء الموضوع.

– الشاب: طب أنت عايز إيه دلوقتي؟

– الواد الله يهده: تعالى بسرعة النص عايزك.

– الشاب: النص مين؟

– الواد الله يهده: اللي كان سايق المكروباز أنت نسيته قوام؟

– الشاب: ماله عايز إيه؟

– الواد الله يهده: أصله مزنوق تحت المكروباز ومش عارف يطلع.

– الشاب في تعجب: مزنوق تحت المكروباز.. ليه إيه اللي جرى؟

– الواد الله يهده: أصله قافش مع العربية تحت ومش راضيه تسيبه وهو

بيصلحها.

– الشاب في عصبية: يوووووه.. أنت بتقول إيه يا بني؟

– الواد الله يهده في عصبية هو الآخر: بقول لك إيه.. أنا مش فاهم أصلا إيه اللي حصل بينهم.. تعالى وخلاص يا عم.. متخافش مش هتغيب كتير على الناس المجانين دول.

ظلت الحاجة ممسكة بذراع الشاب وأصرت على الذهاب بصحبته.. لحظات وكان الجميع يقف بجوار المكروباز.

– الواد الله يهده مناديًا على النص: يا نص.. أنا جبت الكابتشن أهوعشان يحل لك المشكلة.. يا نص.. يا نص؟ ده مش بيرد ليه ده؟

لم ينتظر الشاب واستلقى على ظهره تحت السيارة بجوار النص.. ليجد النص في سبات عميق.. و بعد مجهود أفاق النص مندهشًا.

– الشاب: في إيه يا نص؟

– السائق وعيناه جاحظتان: أنت مين يا كابتشن ونازلى تحت العربية ليه؟

– الشاب: يا بني مش أنت اللي بعت لي؟

– السائق متخوفا من الشاب: يعنى أنت من المنطقة دي؟

– الشاب متوسلا: يا نص مش أنت بعت لي الواد عشان في مشكلة في العربية أنا مافهمتش منه حاجه.. في إيه؟

– السائق متوسلا بعد أن تذكر: آه افتكرت معلش يا كابتشن.. بس وحياة أمك ماتقولش للواد إنى مش فاهم حاجة في العربية.. أصله فاكرنى بفهم وأعرف أصلحها وأنا مش فاهم بصراحة أعمل فيها إيه.

– حاول الواد الله يهده النزول تحت السيارة مع النص: أنا جاي لك يا نص!

– السائق صارخا فيه: لاء.. لاء.. إوعى تيجي.. العربية تولع لو بقينا 3 تحتها.. خليك بعيد.

– السائق للشاب وهو يكاد يبكي: أنا مش عارف أشغلها.. أبوس إيدك شغلها لحسن هتفضح قدام الواد.

– الشاب: بس أنا ماعرفش في الميكانيكا.

– السائق مندهشا: ومين قال ميكانيكا؟

– الشاب: أومال إيه؟

– السائق: مش عارف شوف أنت.. هي ماحطتش منطق من ساعة ما جت هنا.

– الشاب: طب اصبر هشوف لك حد يشغلها.

– السائق: ليه هو أنت مش هتعرف؟

– الشاب: لا.

– سائق: مش أنت قلت إنك تعرف في الميكانيكا؟

– الشاب في عصبية: أنا قلت ما عرفش في الميكانيكا.

– السائق: يا عم جرب هو أنت مش متعلم؟

– الشاب متوجسا: أنت عارف يعنى إيه ميكانيكا؟

– انهار السائق فجأة للشاب: أبوس إيدك أنا ماعرفش.. ويا رب أمك تحج خدنى معاك الجامعة مع الواد اللي برا عشان يعلمونى أشغلها إزاي.

– الشاب مبتسما في تعجب: بس كده حاضر.. بس اطلع أنت من تحت واقعد جوه العربية لغاية ما أشوف لك حد يدورها.

في هذه الأثناء وبينما كان الحوار يجرى تحت السيارة، كان هناك حوار آخر بجوارها!

ظلت الحاجة تنظر بعين الريبة للواد الله يهده والأخير يحاول تجنب الصدام ولكن بلا جدوى.

– الواد الله يهده: أنت باصة لي بعنيكى ليه كده؟

– الحاجة : أومال أبص لك بإيه؟

– الواد الله يهده: إنت ليه بتكرهينى؟

– الحاجة : عشان إنت رمة.

– الواد الله يهده وهو يضرب كفا بكف: طب ليه الغلط ده؟

– الحاجة : إنت يا رمه مش قلت لي هوديكى القصر؟

– الواد الله يهده: طب ما أنا وديتك القصر أهو.

– الحاجة : أنا عايزة القصر بتاع العيانين مش القصر بتاع المجانين.

– الواد الله يهده مذهولا: هو بجد كل الناس ده مجانين؟

– الحاجة : شكلهم كده يابني.. أصل إيه اللي جايبهم هنا؟

– الواد الله يهده: يا نهار! يعنى طلع كلام النص صح ودول مجانين.

– الحاجة بعد أن تغير وجهها: ما يتخيروش عنك أنت والنص بتاعك؟

– لم يعر الواد الله يهده اهتمام لكلام الحاجة، فظل يحدث نفسه: يعني الكابتشن اللي تحت مع النص طلع مجنون كمان؟ ده كان هيوديني الجامعة!

– الحاجة بعد أن عاد وجهها إلى طبيعته: لا ده الوحيد اللي شكله عاقل في الناس دي.

– الواد الله يهده بعد ارتياح: طب كويس.. الله يطمنك.

– الحاجة في غيظ: منك لله سوحتنى.. أروح أنا القصر بتاع العيانين إزاي دلوقتي.. طب مش هديك ولا قرش من الأجرة يا رمة.

– صرخ الواد الله يهده وأمسك بالحاجة : الأجرة! أنا نسيت ألِم الأجرة!

ترك الواد الله يهده الحاجة وألقى بنفسه تحت السيارة يصرخ في النص:

– الواد الله يهده: أنا نسيت ألم الأجرة.. يا خراب بيتك يا نص.. أنا نسيت ألم الأجرة يا نص!

– السائق في ذهول: فلستنا ياض؟ فلستنا؟ أديك مش هتدى الدوا لأمك النهارده.. أبقى خلى الجامعة والعلام ينفعوك بقى!

خرج الجميع من تحت السيارة وما إن وقف السائق حتى حاول أن يضرب الواد الله يهده لكن وقف الشاب له بالمرصاد.

– الشاب للواد الله يهده: هو ناقص كام من الأجرة؟

– الواد الله يهده وهو يبدأ في البكاء: أنا مالمتش أي حاجة.

– السائق بعصبية وجنون: يعنى الخسين جنيه راحت ياض؟

– الشاب مندهش: خمسين جنيه !؟

– السائق يكاد يبكى: أيوه خسين.. بس راحوا خلاص.. راحو الخسين.

– الشاب متعجبًا: ليه أنت بتاخد كام.. ده مشوار صغير حرام عليك؟

– السائق في عصبية: دا موسم يا كابتنشن.. موسم طلبات ومظاهرات.

– السائق وهو يحاول الفتك بالواد الله يهده: أنا هخرب بيتك.. مالكش عيش معاى تاني خلاص.

– أخرج الشاب خمسين جنيها من جيبه ومد يده للسائق: خد أدى الخمسين جنيه بتوعك وبراحة عليه وبلاش المعاملة ده.. ما أنت لو مركز أنت كمان ماكنش يبقى ده حالك.

– مال الشاب على أذن السائق: ولا تحب أقول للواد إنك مش بتفهم في الميكانيكا؟

– السائق في رعب متوسلا للشاب: أبوس أيدك بلاش يا كابتشن.. خد خلاص مش عايز الخسين جنيه.. عوضى على الله.. بس أوعى تقول للواد الله لا

يسيئك.

– الشاب مستسلما: لا يا سيدى مش عايز الخمسين جنيه.. خدهم حلال عليك بدل التوصيلة اللي ضاعت.. بس براحة على الواد شوية ماينفعش كده

– السائق محرجا: ماشي يا كابتنش

– السائق في محاولة لتصليح الأمور مع الواد الله يهده: متزعلش ياض.. حصل خير.. دي كانت ساعة شيطان.

– الحاجة في تأفف: شوية رمم صحيح.

– السائق للحاجة بغضب: لسانك ده عايز.. ولا بلاش أنت ست كبيرة بردوا.. ما تكلم الست دي يا كابتنش ماينفعش كده؟

رن هاتف الشاب فجأة ليقطع الحوار الدائر.. في هدوء رفع الهاتف ليجيب على المتحدث.. لحظات ثم بدأت ملامح وجهه تتغير ليصيبها الذهول وتبدأ يده الممسكة بالهاتف في الارتعاش.. لحظات ثم خفض الهاتف ونظر إلى الأرض في مشهد أثار فضول الجميع.

– الواد الله يهده: مالك يا كابتنش كفالة الشهر؟

– السائق: خير يا كابتنش مالك؟ خلاص خد الخسين جنيه بتاعتك ماتزعلش.

– اقترب المسكين من بعيد بعدما لاحظ حالة الشاب: يبدو أن في الأمر أمرا، لعله الاتصال الهاتفى منذ قليل.. ما الأمر أيها الشاب؟

– الحاجة في قلق: أبوك شخط فيك يا بني ولا إيه؟

– نظر الشاب إلى الحاجة بعدما تحول وجهه لوجه يكسوه الحزن وأمسك بيدها: تعالى اقعدى يا حاجة على الرصيف.. عايزك!

انتاب الجميع الفضول الشديد من حالة الشاب وأصبح الكل في انتظاره، لينطق بينما سلمت الحاجة أمرها لله وجلست على الأرض.

– الشاب وهو يكافح دموعه: أنت مؤمنة يا حاجة؟

– الحاجة بثقة: ونعم بالله يا بني.

– الشاب: طب لما ربنا يديكى بتقولى إيه؟

– الحاجة : بقول الحمد لله يابني

– الشاب: طب لو خد منك؟

– الحاجة برضا: بردوا بقول الحمد لله يابني.

– احتضن الشاب رأس الحاجة يقبلها: طب قولى الحمد لله يا حاجة.

– الحاجة في ذهول وهي تخرج رأسها والقلق يقتلها: الحمد لله يا بني.

– الشاب وهو يحاول أن يظهر الثبات: البقاء لله.. مصطفى تعيشى أنت يا حاجة.

– الحاجة وهي ترتعش: مصطفى مين يا بني؟

– الشاب: ابن بنتك يا حاجة.

لم يكن الخبر كأى خبر.. لم تعرف الحاجة ماذا تقول أو تفعل.. تنظر في

ذهول وتتلفت كمن أصابه سوء في عقله.. أسكنت خدها الأيمن على الأرض لتبكى حفيدها.. الحفيد الصغير!

الحاجة ترثى حفيدها: آمنت بيك يا رب!

آمنت بيك !

أنا كنت حاسة إن الزايدة دي خطيرة !

بس هنعمل إيه؟

أمر الله!

يا حبيب ستك يا مصطفى!

ربك رحمك يابني!

رحمك من ظلم الخلق!

خدك عنده يكرمك يا بني!

أكيد ماهنتش على ربك يا حبيبى!

لك رب اسمه الكريم يا مصطفى!

لك رب اسمه الكريم يا حبيبى!

رفع الواد الله يهده رأس الحاجة من على الأرض يقبلها وهو يبكى كالطفل.. ينطق بكل عفوية كأنه أجرم في حق مصطفى.

– الواد الله يهده: حقك على يا حاجة! حقك عليّ أنا!

– الحاجة وهي تتمايل يمينا ويسارا: أمر الله يا بني ونفذ.. راح حيلة أمه

وأبوه.. عشان المرض الوحش.. الزايدة بعيد عن السامعين.. أكيد الدكاترة في المستشفى عملوا كل حاجة عشان يلحقوه.. طبعا دول دكاترة يعنى الرحمة كلها.. أكيد ما يتأخروش.. بس أنا كان صعبان على نومة الأرض.. بس معلش.. أكيد كان غصب عنهم!

لم يتمالك المسكين نفسه، فجلس على الأرض يقبل يد الحاجة ولا يفعل سوى ذلك.. بينما نزل السائق مرة أخرى تحت السيارة ولا يسمع سوى صوت بكائه وصراخه وكأنه هو من أجرى الجراحة لمصطفى.

– وقفت الحاجة فجأة: طب عايزه أروح الحق مصطفى.. أبقى حتى مشيت في جنازته ماتبقاش أمه لوحدها.. أعمل إيه دلوقتي؟

قفز الشاب من مكانه ليبحث عن سيارة ولكن أتى صوت من بعيد من حيث لا يحتسب أحد على الإطلاق.. إنه السائق وهو يخرج من تحت السيارة.

– السائق: يلّا يا حاجة عشان تروحي لمصطفى.. أنا صلحت العربية خلاص.. قومي بينا.

لم تستطع الحاجة أن تسير، فكم كان الحزن ثقيلا على الجسد كله وليس القلب وحده.. حملها المسكين والشاب ليركب الجميع مرة أخرى في رحلة جديدة ولكن مختلفة.. رحلة من أجل الموت.. موت مصطفى!

* * *

هناك حيث القرية.. حيث الظلم بلا هوادة.. حيث الفقر بلا مغيث.. حيث

الألم بصمة على الوجوه.. حيث البيوت تشابه القبور.. حيث الصبر ضيف على كل بيت.. حيث البشر يعيشون على أمل الآخرة بعدما طلقوا الدنيا رغما عن أنفهم.

هناك حيث الصوت يئن.. انتهت مراسم الدفن وهم الجميع بالعودة.. احتضنت الحاجة الجميع وهي تبكي تشكرهم على ما فعلوه.. لكنها خصت الشاب الطيب بطلب كمن وثق في قدرة الشاب على صنع المعجزات.

– الحاجة : أمانة يا بني لو شفت الريس تقول له شكرًا إنكم ريحتوا مصطفى من نومة الأرض.

أغمض الشاب عينيه لا يعرف كيف يحمل هذه الأمانة المرسلة.. ابتسم بعاطفة ابن يطمئن أمه بأنه سيكون بخير دومًا واحتضنها مودعا.

اقترب شيخ المسجد من الحاجة وهو ينفض عن يده التراب بعدما تمكن الفضول منه ليسأل عن هؤلاء الغرباء.

– الشيخ بفضول: مين الناس دول يا حاجة؟

– الحاجة بهدوء: دول مصر يا سيدنا الشيخ.

– الشيخ كمن لم يسمع جيدًا: مين يا حاجة!؟

– الحاجة : بقول لك دول مصر يا سيدنا الشيخ.

– الشيخ مندهشا: مصر!

– اقتربت الحاجة من الشيخ: عارفها؟

– أجاب الشيخ في تعجب: أيوه عارفها!

– نظرت الحاجة للشيخ في لوم: طب لما أنت عارفها يا سيدنا الشيخ.. ماكنتش بتحكى لنا عنها ليه؟

نظر لها الشيخ في حيرة غير مستوعب لما تقول، خاصة بعدما تركته غير عابئة وهي تنظر إلى المكروباز الذي يبدأ رحلة العودة إلى حيث كان ولكن بالطبع ليس كما كان!

* * *

عاد الجميع مرة أخرى إلى القصر.. الجميع قد أضاف إلى خبراته وحياته الجديد.. فحينما أشرقت شمس اليوم عليهم.. لم يكونوا على علم بما تخفيه لهم الأقدار ولكن هم جميعا يؤمنون بالقدر خيره وشره !

يعلو صوت الهتاف ويعلو.. يلتف الجمع حول رجل واحد.. يشتد الهتاف، فإذا بالمسكين يخطو نحو الجمع وفي مخيلته مصطفى.. تملكه مصطفى!

وصل إلى الرجل الذي يحمل مكبر الصوت ليستعيره، فتركه الرجل للمسكين عن رضا، فالهم واحد في هذا المكان حتى إن جئت من مشارق مصر أو مغاربها!

حملوا المسكين على الأعناق ومن خلفه الحشد حتى وصلوا إلى باب القصر وحينها توتر الجو.. أوشكت الأمور على التطور وحدوث ما لا يحمد عقباه.. إلا أن الله سلم وتوقف الحشد على بعد خطوات من الباب ومن أمامهم حرس القصر في تأهب.. بكل جسارة نطق المسكين المحمول على الأعناق وبكل تركيز أنصت

الجميع للمسكين.

المسكين:

سيدى الرئيس..!

أدام الله عليك نعمة الصحة التي حُرم منها المصريون وعاشوا مع مرضهم بلا دواء!

أدام الله عليك نعمة العلم الذي حُرم منه المصريون وعاشوا في الجهل!

أدام الله عليك نعمة العمل الذي قاسى المصريون حتى يجدوه ولم يجدوه!

أدام الله عليك نعمة المال الذي بسببه ترك المصريون أنفسهم لكل شيء!

أدام الله عليك نعمة السكن الذي حرم منه المصريون وباتوا بلا مأوى!

أدام الله عليك نعمة الولد الذي ضاع منه كثير فارا أو مقتولا أو مقهورا!

أدام الله عليك نعمة البصر حتى ترى ما نحن فيه!

أدام الله عليك نعمة البصيرة حتى تشعر بما نحن فيه!

أذن الله لكم أن تديروا شئون العباد ولكن لم يأذن لكم أن تستعبدوهم!

إن أحسنت أعزك الله بمحبة الناس وإن أسأت عشت في خزيك!

ولا يرحم التاريخ أحدًا ولا يظلم ربك أحدًا

حصة الزراعة

" على الرغم من كونها حصة زراعة وبلا زراعة ، فإنها استطاعت أن تـزرع ولكن عكس ما كان يزرع الآخرون.. "

لم يتبقَ سوى حصتين على انتهاء اليوم الدراسى ليوم الخميس.. الجميع في شغف، طلبة ومدرسين لإنهاء الأسبوع الثاني من العام الدراسى الجديد والحصول على الإجازة.. في أحد فصول الصف الثالث الثانوى، وقف أحد الطلبة فوق المقعد يهتف في سعادة.

– الطالب: زراعة.. زراعة.. زراعة.. زراعة.

عمت النشوة جميع طلبة الفصل ودبت فيهم الحيوية مرة أخرى بعد أن أوشك بعضهم على فقدان الوعى من إرهاق يوم دراسى طويل بينما كاد البعض الآخر يفقد الوعى من رائحة العرق التي انتشرت وعبأت المكان الذي يبدو كأنه ضرب بأحد الأسلحة الكيماوية.

وسط هذا الصياح والرائحة الكريهة ظهرت رائحة عطرة انتشرت في المكان سريعا لتدهش الجميع.. انتابهم الفضول لمعرفة سبب هذه الرائحة العطرة، فانطلق عمر الشاغب نحو الخارج في محاولة لمعرفة مصدر هذه الرائحة.. لحظات وعاد بعدها ولكن بلا فائدة.

– عمر في دهشة: أووويا.. إيه البرفان الجامد ده؟

– زياد العملاق: ممكن تكون ريحة الزبالة اللي بنشمها كل يوم بس عملت لنا مفاجأة النهاردة؟

– ضحك "بهاء" كوميديان الفصل: يا عم زياد الزبالة لما بتحب تعمل لنا مفاجأة بتجيب المجارى في أيديها وهي جاية.

- عمر: يا جدعان دا برفان أنا عارفة.. بس ناسي اسمه.

- وليد السمج: بس مين الجامد جدى ده اللي هابد برفان قالب المدرسة كلها كدا.. دا أكيد ولى أمر حد من العيال.

- زياد: ما تيجوا يا جدعان نشوف الواد علاء قاعد وارا ومن ساعة حادثة أبوه وهو متغير خالص.

- وليد: أنا مش عارف هو قالبها ميتم ليه ما أبوه كويس الحمد لله ورجع البيت.

- بهاء متهكما: معلش يا وليد، حقك علينا أصل الراجل يقرب له بردوا تلاقيه متأثر.. تعاولوا نغلس عليه.

تحرك الجميع باتجاه علاء الجالس في آخر الفصل وما إن وصلوا حتى سمعوا من يلقى على الفصل التحية عند الباب.. التفتوا ليجدوا في انتظارهم مفاجأة!

* * *

في حجرة مدير المدرسة جلس بعض المدرسين أمام المدير يشكون الطلبة في محاولة منهم لإلقاء المسئولية عن عاتقهم فيما يخص مستواهم العلمي، بينما المدير يتقافز أمامهم من الغضب.

- المدير: يعني إيه يعنى العيال كلها بايظة.. ماحدش من العيال هيدخل الجامعة؟

- عبد الله مدرس اللغة العربية ووجهه بلون الطماطم من شدة الغضب: جامعة إيه يا أستاذ محسن الله يحظك صحيح.. دول ما يعرفوش إن العربية هي السيارة وأنت تقول لي جامعة!

- المدير مذهولا: والبلاوى دي وصلت ثانوية عامة إزاي؟

- رفع أستاذ إلهامي مدرس اللغة الإنجليزية حاجبيه حتى كادت تلامس شعرة: دا موضوع يستحق الدراسة.

- المدير بعصبية: وأنا لسه هعمل دراسة.. هي كانت الوزارة عملت دراسة على الطلبة الفاشلين لما أنا أعمل دراسة.. ثم الدراسة دي أصلا تتعمل إزاي.. بقول لكم إيه العيال دي لازم تنجح ولازم تتعبوا معاهم.. المهم عندي إنهم ينجحوا حتى لو بـ 50٪.. هما مش بياخدوا دروس عندكم؟

- وقف أستاذ جميل مدرس التاريخ: المصيبة إنهم بياخدوا دروس في كل المواد لكن بحس أنهم مش طبيعيين.. يعني في الدرس بيبقوا فاهمين كويس وبعد كدا بحس إنهم مستخسرين يفتكروا اللي يعرفوه أو مستكبرين.. المهم إنهم عيال غريبة وخلاص.

- المدير وهو ينفخ: على فكرة في أستاذ جديد بتاع زراعة.. أنا ممكن أكلمه يسيب الحصتين بتوعه ليكم تساعدوا العيال شويه وأهو يبقى مجهود منكم وتشكروا عليه.

امتعض الجميع من فكرة المدير وظهر على وجوههم الاستياء مما أفزع

المدير فانفجر فيهم غضبا

- المدير: لا بقول لكم إيه استرجلوا شوية واعملوا خير في العيال وفيا أنا كمان.. ولا ربنا ماتعرفهوش غير في الكام ركعة اللي بتركعوها.. لا مؤاخذة يا أستاذ إلهامى أنتوا عندكوا بتسموها إيه ماعرفش.. المهم يعنى ربنا في الجامع والكنيسة بس ولا إيه؟

- استدرج الأستاذ عبد الله الأمر: تحت أمرك يا أستاذ محسن.. اللي أنت تؤمر بيه إحنا هنعمله ماتشغلش بالك بس العيال يوافقوا بس.. حاكم العيال مفتريه شوية.

- المدير: العيال تاخد على قفاها وتتنيل تسمع الكلام وبس.. إحنا هنساعدهم مش هنعاقبهم!

- الأستاذ إلهامى في مكر: طب يا ريت حضرتك تقول للعيال الكلام ده، خاصة موضوع القفا عشان نكون على نور.

- المدير بعصبية: أنت بتخوفنى يا أستاذ إلهامي.. لا مش أنا اللي أخاف من شوية عيال أنا هروح بنفسي وأقول لهم إن الأستاذ إلهامى بيقول هيديكم على قفاكم وتسمعوا الكلام وتتنيلوا تاخدوا حصص زيادة.. وابقى وارينى هتكسّر كلمتى إزاي يا أستاذ إلهامي.

- وقف الأستاذ إلهامى معترضًا: لا يا أستاذ محسن أنا لا أسمح إنك تدبسنى في مشكلة مع العيال.. أنا ماقلتش حاجة حضرتك اللي بتقول.

- وقف أستاذ جميل يهدئ الأستاذ إلهامي: يا جماعة حصل خير ولا نقول ولا نعيد.. إحنا نقول للعيال إن في تعديل في الجدول.. بس السؤال دلوقتي هو أستاذ الزراعة الجديد هيوافق ولا هيعملها مشكلة.. إحنا لسه مانعرفش ميته إيه!

- وقف مدير المدرسة منهيا الاجتماع: سيبوا لي أنا الموضوع دا وإنتوا اتفضلوا على حصصكم ولا أجيب لكم شاى!

* * *

تعلقت أعين الطلبة جميعا بالمفاجأة ذات الرائحة العطرة التي كانت تقف بجوار الباب.. بل ازدادت المفاجأة حينما وجدوا صاحب الرائحة شاب وسيم، يرتدى ملابس ذات ذوق رفيع يبدو من هيئته كأنه أحد المثلين العالميين خاصة وهو يرسم على وجهة ابتسامة أنيقة زادته وسامة.

- نظر إليهم الأستاذ وهو يتحرك إلى داخل الفصل والابتسامة لا تترك وجهه: إنتوا عاملين كدا ليه.. أنا الأستاذ أحمد مدرس الزراعة.. اتفضلوا اقعدوا.

- نظر الجميع بدهشة إلى بعضهم البعض، بينما نطق بهاء وهو ينظر إلى زياد: بيقول مين؟

- زياد في دهشة هو الآخر: بيقول مدرس زراعة؟

- بهاء متهكما: هما مدرسين الزراعة بقوا بيتخرجوا من أعلام ولا دا من

بلاوى التنسيق بردوا؟

- تحرك وليد في اتجاه مقعده وهو يهمهم: طب أنا بقول نقعد أحسن ماحدش يعرف دا ممكن يعمل فينا إيه.

- انطلق خلفه عمر: خدنى معاك يا برنس أما نشوف الحكاية الجديدة دي.

- نظر الأستاذ أحمد إلى زياد وبهاء الوحيدين اللذين لم يجلسا بعد: مش ناويين؟

- زياد وهو يتحرك: أنا ناوى.

- بهاء ساخرا: معلش أصل زياد بيقعد في دكة لوحده، عشان عملاق زي ما حضرتك شايف.. وأنا بردوا رايح أقعد أهو..

جلس بهاء أخيرا وأصبح الكل ينظر في دهشة إلى الأستاذ في انتظار تفسير لهذه الحالة، بينما انتاب الأستاذ الدهشة هو الآخر من وجوههم التي كانت جميعها تسأل: من أنت؟ وكيف هذا؟

- خلع الأستاذ النظارة الشمسية من على وجهه ونظر إليهم: إنتو إيه حكايتكم عاملين زي التماثيل كدا ليه؟

لم يتلق إجابة من المذهولين أمامه، فأشار إلى بهاء فتنبه الأخير من دهشته:

- بهاء: أؤمر.. تحت أمرك؟

- الأستاذ أحمد في دهشة: أؤمر..أنت واقف على عربية فول؟!

- بهاء في دهشة هو الآخر: طب أقول إيه لا مؤاخذة.

- ضحك الأستاذ أحمد بقوة: من الواضح أنك قالب على قهوجى خالص.. أنت اسمك إيه؟

- بهاء بكل فخر: بهاء.

- الأستاذ أحمد: أنت تعرف اسمك معناه إيه؟

- تغير وجه بهاء إلى الدهشة مرة أخرى: وأعرف ليه.. هما لما بينادوا على برد.. هاشغل بالي ليه؟

- الأستاذ أحمد مبتسمًا: ردك مقنع.. مريح بالك.. أكيد نفس المنهج في كل حياتك.

- تغير وجه بهاء لعدم فهمه: أنا مش فاهم أي حاجة وإيه علاقة المنهج بتاعنا في حياتى؟

- نظر الأستاذ أحمد إلى الأرض في أسى: يبقى أنا عايز منك المرة الجاية يا بهاء تقول لي اسمك معناه إيه تمام؟

- بهاء في دهشة: ليه يا باشا؟

- الأستاذ أحمد في هدوء: الباشاوية انتهت يا بهاء من زمان.. أنا اسمى الأستاذ أحمد ممكن تنادى لي الأستاذ أحمد؟

- بهاء مستسلما: حاضر يا أستاذ.

–– الأستاذ أحمد في هدوء: ماتنساش يا بهاء.. المرة الجاية عايزك تقول لي اسمك معناه إيه.. تمام يا بطل؟

– وجد بهاء نفسه مضطرا لرسم ابتسامة على وجهه: حاضر.

– الأستاذ أحمد: اتفضل أستريح يا بهاء.

– جلس بهاء، ثم مال على عمر ووليد: هو بيحترمنى كدا ليه؟ دا ثبتنى.. أنا خايف من الراجل دا!

لم يهتم الأستاذ أحمد لهمهمة بهاء والتفت إلى زياد الجالس بمفرده.

– الأستاذ أحمد: عرفت إن اسمك زياد.. إنت بتلعب إيه يا زياد.

– وقف زياد: جودو يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد: ممتاز.. على كدا تعرف اسم بطل العالم أو صاحب الميدالية الذهبية في آخر دورة أولمبية؟

– تلعثم زياد: هو أنا مش فاكر قوي يا أستاذ.. وكمان أصل أنا بطلت من زمان يا أستاذ.. كان جت لي إصابة، فقلت

أكبر مخي بقى يا أستاذ.. وكمان الدراسة واخده كل وقتى يا أستاذ وأنا عايز أدخل الجامعة يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد في دهشة: أنت عارف إنت قلت كام مرة يا أستاذ.

– زياد: لا.. ليه يا أستاذ هو مش حضرتك قلت لنا نقولك يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد ضاحكاً: أنت هتضيع نص وقتك في كلمة يا أستاذ.. إبقى

قولها مرة واحدة بس وعايزك تعمل حاجة كمان.. المرة اللي جاية عايزك تعرف بطل العالم اسمه إيه.. تمام؟

– زياد محرجا: حاضر يا أستاذ.

– رفع وليد يده، فابتسم الأستاذ أحمد له: اتفضل.

– وليد: هو إحنا هناخد الزراعة في الفصل.

– الأستاذ أحمد: طب مش تعرفني بنفسك الأول.

– وليد: وليد.

– الأستاذ أحمد: أهلا يا وليد.. بالنسبة لسؤالك أعتقد أن المدير هو اللي ممكن يجاوب عليه.. لكن من ناحيتي أنا.. اللي أعرفه إن مافيش مكان للزراعة.. وهنفضل في الفصل..

– وليد في سماجة: طب وإيه لازمة الزراعة ووجع القلب طالما لا في مكان نزرع ولا نتعلم حاجة.. كمان الزراعة مش في المجموع.. سيبونا نذاكر حاجة عدلة أحسن.

– الأستاذ أحمد مبتسمًا: عندك حق.. ماحدش عايز زراعة ولا فاضي للزراعة يبقى إزاي هيعلموا الطلبة الزراعة.. دا حتى مافيش مكان في المدرسة للزراعة.. يبقى فعلا نستفيد من الوقت دا في حاجة مفيدة.. بس ممكن أسالك يا وليد وتجاوب عليّ بصراحة؟

– وليد: هحاول.

– الأستاذ أحمد: شكرا يا وليد.. تقدر تقول لي هتستفيد من الوقت دا إزاي في المدرسة وأنت أصلا مش بتستفيد من حصص المواد بتاعة المجموع؟. يعنى كل المواد تحصيلك منها ضعيف جدًّا في المدرسة وبتعتمد على الدروس يبقى إزاي هتستفيد من وقت حصص الزراعة؟

– ارتبك وليد، فلم يجد سوى: أهو حتى نريح ولا ننام شوية عشان نبقى مركزين في الدروس بعد الضهر.

– الأستاذ أحمد: أنا متفق معاك يا وليد.. وأنا موافق أنك لو عايز تنام في حصص الزراعة تنام زي ما أنت عايز.

– شعر وليد بالإحراج: أنا مش قصدى أقول إنى هنام لما تبقى أنت هنا.. أنا قصدى ممكن تتلغى الحصص ونروح.

– الأستاذ أحمد: أنا هسمح لك تناقش الموضوع دا مع المدير وأنا ماعنديش أي اعتراض.

– رفع بهاء يده يطلب الإذن للتحدث فأذن له: هو حضرتك عامل كدا ليه؟

– الأستاذ أحمد متعجبًا: يعنى عامل إزاي يا بهاء؟

– بهاء: بصراحة حضرتك بتحترمنا ومش بتستخف بكلامنا وكمان مش بتزعق في وشنا وعندك استعداد تناقش وتتكلم.. وعشان أكون صريح أكتر إحنا مش متعودين على إن حد يعاملنا على إننا بني آدمين.

شعر الأستاذ بأن أحدهم طعنه بسكين بعدما سمع تلك الكلمات من بهاء،

لكنه تماسك وابتسم.

- الأستاذ أحمد: خلاص يبقى إيه رأيكم إن حصص الزراعة نستغلها في إننا نعرف إزاي نبقى بني آدمين؟ ونجبر الكل على أنه يعاملكم كبني آدمين؟ مين موافق على الاقتراح ده؟

- بهاء: يعنى إيه أنا مش فاهم؟

- الأستاذ أحمد: يعنى نستغل حصص الزراعة في أننا نتكلم عن أي حاجة غير الدراسة.. نتكلم عن كل أمور الحياة.. عن أي موضوع تقترحوه.. لكن مش بطريقة مجرد الكلام وبس.. لا.. تكون بطريقة علمية نقدر نستفيد ونتعاون.. أنا أعرف منكم وأنتو تعرفوا منى ونعرف كلنا من بعض.

ظهر الوجوم على وجوه الجميع.. لا أحد ينطق.. بل لا أحد يفهم ماذا يعنى هذا الكلام.. كيف يستفيد الأستاذ منهم وكيف يكون الكلام بطريقة علمية على الرغم من كونهم في القسم الأدبي.. إلا أنهم وجدوا أنفسهم سعداء لهذا الأمر الذي لم يحدث لهم من قبل.

- بهاء: إحنا موافقين يا أستاذ.

- الأستاذ أحمد: إنت ليه بتقول إحنا؟ المفروض تتكلم عن نفسك بس.

- بهاء بحرج: أنا عارف إنهم موافقين.

- الأستاذ أحمد: بردوا لازم نشوف مين موافق ومين رافض.. لازم نحترم الجميع وعلى الجميع أنهم يحترموا رأى الأغلبية.. اتفضلوا اقعدوا كلكم.

- نظر الأستاذ أحمد إلى الجميع : مين موافق على الاقتراح؟

رفع جميع من في الفصل يده موافقاً على الاقتراح الذي لا يعلم الكل تحديدا ماذا يمنى ولكن الفضول والارتياح لهذا الشخص الواقف أمامهم هو من جعلهم يراهنون على أنه قد يحمل لهم المفيد.

* * *

بمجرد خروج الأستاذ أحمد من الفصل، وجد مدير المدرسة بانتظاره وعلى وجهه ابتسامة ماكرة.

- المدير : إنت فاضى شوية يا أستاذ أحمد؟

- الأستاذ أحمد : خير يا فندم.

- المدير : كنت عايز أدردش معاك شوية.

- الأستاذ أحمد : حاضر.. اتفضل.

لحظات وبعدها كان المدير يغلق باب الحجرة عليهم

- المدير : تحب أطلب لك حاجة تشربها يا أستاذ أحمد؟

- الأستاذ أحمد : شكرا يا فندم.

- تغير وجه المدير ليصبح حزينا : إيه أخبار العيال اللي كنت عندهم دلوقتي.. معلش أنا عارف أنهم لا يطاقون.

- الأستاذ أحمد : عيال مين يا فندم.. قصد حضرتك الشباب بتوع تالته ثانوى؟

– المدير: أيوه بتوع تالته ثانوى هو في غيرهم!

– الأستاذ أحمد: شباب زي الفل.

– المدير مرتبكا: يعنى إيه شباب زي الفل لا مؤاخذة.

– الأستاذ أحمد: شباب في منتهى الأدب.. اتكلمنا مع بعض واتفقنا على إن حصص الزراعة هتبقى حصص مفيدة.

– المدير متهكمًا: إزاي يعنى.. هتعملوا غيط في المدرسة ولا في الفصل؟

– الأستاذ أحمد ضاحكا: لا الموضوع مالوش دعوة بالزراعة خالص.

– المدير في سعادة: على قولك يا أستاذ أحمد.. أنا كنت عايز آخد رأى حضرتك في حاجة لو تسمح لي.

– الأستاذ أحمد: اتفضل.

– المدير: أنا عارف إن حضرتك إنسان محترم وتحب الخير للعيال بتوعك.. قصدى الشباب بتوع تالته ثانوى وأنا خايف عليهم بصراحة لأن الكل بيشتكى منهم.. فقلت لو حضرتك تسمح إن حصص الزراعة يدخل بدالك مرة مدرس الإنجليزي ومرة العربي وغيرهم.. بحيث إن العيال تستفيد طالما إحنا مش ملتزمين بمنهج.

– الأستاذ أحمد: فكرة ممتازة يا سيادة المدير.. وأنا سعيد جدًا كون حضرتك بتفكر في ولادك الطلبة وعايز تساعدهم.. هي ده المسئولية.. أنا بحى حضرتك.

– المدير في سعادة: الله يكرمك يا أستاذ أحمد.. دا الواجب اللي المفروض كلنا نتعاون فيه.. ها قلت إيه؟

– الأستاذ أحمد: ممكن حضرتك تسمح لي برأى وفي آخر الأمر القرار لحضرتك.

– المدير: اتفضل يا أستاذ أحمد.

– الأستاذ أحمد: أنا كنت شايف إن الشباب مش بتستفيد أصلا من الحصص المقررة عليهم.. وبييجوا المدرسة تحصيل حاصل.. فلو إحنا زودنا عدد الحصص هيبقى زيها زي قلتها وهيبقى تضيع وقت ومجهود على الفاضي.. فالأفضل نشوف حلول مبتكرة تفيد.. لأنى أعتقد إن الشباب مش هتتقبل الفكرة.

– المدير في عصبية: طز في الشباب اللي أنت بتقول عليهم.. ياخدوا بالجزمة ويحضروا.

– الأستاذ أحمد في دهشة: يبقى لما هو طز في الشباب.. إحنا بنفكر نساعدهم ليه؟

– المدير: علشان هما مش عارفين مصلحتهم يا أستاذ أحمد.

– الأستاذ أحمد: طب يعنى نعلمهم غصب عنهم.. نخليهم يحضروا غصب عنهم.. وبعدين يسقطوا بردوا غصب عنهم؟

– المدير: أومال نعمل إيه يا أستاذ أحمد.. نسيبهم كدا؟

– الأستاذ أحمد: يا حضرة المدير حضرتك مربى فاضل.. طلعت أجيال

وأجيال.. المفروض نساعدهم بشكل غير مباشر لأن الأسلوب المباشر إحنا فشلنا فيه والشباب مش بتستفيد من الحصص المقررة عليهم نقوم كمان نزودها.

- المدير متعجبًا: أنت تعبتني يا أستاذ أحمد.. إنت عايز تقول إيه؟

- الأستاذ أحمد: يا فندم أنا عندي فكرة تانية.. إيه رأيك تديني فرصة الترم الأول أساعد بشكل غير مباشر وأطبق الفكرة اللي في دماغي وفي الترم التاني أسيب الحصص بتاعتي للمواد التانية عشان فكرة حضرتك.

- المدير: الله.. ما أنت بتقول إنها فكرة فاشلة!

- الأستاذ أحمد: العفو يا فندم.. أنا مش قصدي كدا على الإطلاق.. أنا قصدي إن الفكرة محتاجه إعداد.. إديني فرصة أساعد الشباب عشان يكون عندهم قدرة على الاستيعاب وتقبل الفكرة.. وكمان قدرتهم على التحصيل هتبقى أكبر.. مش حضرتك عايزهم يدخلوا الجامعة بردوا؟

- المدير في تمني: نفسي يا أستاذ أحمد.. نفسي

- الأستاذ أحمد: يبقى ثق في وإديني فرصة.

- المدير مستسلما: على الرغم من إني مش فاهم إيه هي الفكرة بتاعتك.. بس حاسس إن قلبك على العيال وبتعمل لمصلحتهم.

- الأستاذ أحمد: فعلا يا حضرة المدير.

- المدير يضحك محذرًا: طيب يا أستاذ أحمد على بركة الله.. الترم الأول بتاعك والترم التانى بتاعنا.. اتفقنا؟

- الأستاذ أحمد سعيدًا: اتفقنا يا فندم

- وقف المدير ينهي الحوار ضاحكاً: طالما اتفقنا يبقى لازم تشرب شاى!

* * *

يوم الخميس من الأسبوع التالى، وفي نفس التوقيت استقبل الفصل رائحة العطر.. امتلأ قلب الجميع بسعادة وهم في انتظار هذا الأستاذ الذي لم يقابلوا مثله طوال سنوات التعليم السابقة.

ألقى الأستاذ التحية عليهم بوجه بشوش كأنه استمد نوره من شمس أشرقت بعد طول غياب من بين الغيوم.

- الأستاذ أحمد: إزيكو يا شباب؟

أجاب الجميع في سعادة بأن حالهم في أفضل حال، ثم رفع بهاء يده فاستقبله الأستاذ أحمد بابتسامة.

- بهاء: عندي مفاجأة لحضرتك..جبت لك اللي أنت عايزه.

- الأستاذ أحمد في دهشة: اللي أنا عايزه؟

- بهاء: آه مش حضرتك كنت عايز تعرف اسمى معناه إيه؟

- الأستاذ أحمد: لا أنا كنت عايزك أنت تعرف اسمك معناه إيه.

- بهاء محرجًا: يعنى أقول ولا بلاش؟

- الأستاذ أحمد: طبعا تقول إحنا منتظرين نعرف منك المعلومة المهمة دي.

- بهاء في سعادة: الحسن والجمال وكان في كلام كتير مالوش لازمة.. أنا

عجبني الاتنين دول بس.

- الأستاذ أحمد: الحسن والجمال.. ياه دا أنت اسمك حلو قوي فعلا.. ماشي يا عم

- رفع زياد يده في سعادة هو الآخر: وأنا جبت لك اللي أنت عايزه بردوا.

- الأستاذ أحمد ضاحكا: هو أنتوا ليه مش عايزين تفهموا إن أنتوا اللي محتاجين المعلومة مش أنا.. اشتغلوا ودوروا عشان نفسكم.. على العموم اتفضل.

- زياد بكل فخر: بطل العالم في الجودو هو تيدي رينر.. فرنساوى.. وإيه مش راحم بياكل الميداليات الدهب أكل وارا بعض.. كل دا وهو لسة عنده أربع وعشرين سنة!

- الأستاذ أحمد: ما شاء الله.. دا اللي اسمه الإصرار على الوصول للحلم.. مش مجرد حلم بتحلمه وخلاص.. لا.. حلم وكمان اتعب عشان أحققه.. أكيد لو قريت هو عمل إيه عشان يوصل للنجاح دا هتلاقى قصة كفاح كبيرة.

- زياد: دا أكيد تعب قوي.

- الأستاذ أحمد: طب إنتوا عارفين فيليبس؟

- وقف حسن في سعادة ليشارك: أيوه يا أستاذ عندنا مكنسة فيليبس.

- صدمت الإجابة الأستاذ أحمد: طب حد غيره يعرف.

- وقف نبيل في سذاجة: أيوه وإحنا كمان عندنا مكوة فيليبس.

- ضحك الأستاذ أحمد من الإجابة ولكنه اعتذر: أنا آسف.. ماعرفتش

أوضح السؤال كويس العيب في أنا.. أنا قصدى السباح مايكل فيليبس.

- وقف علاء القابع في آخر الفصل: أيوه دا معجزة.. وهو عنده **16** سنة حطّم أول رقم قياسي.. وهو عنده **19** سنة في أولمبياد **2004** جاب **8** ميداليات.. **6** منها دهب ومن يومها وهو سوبرمان السباحة.

- ابتسم الأستاذ أحمد أخيرًا: برافوا عليك.. اسمك إيه؟

- علاء: علاء.

- الأستاذ أحمد: طب تعرف يا علاء قصته؟

- علاء: لا في الحقيقة.

- الأستاذ أحمد: طيب أنا بس عايز أقول لكم حاجة صغيرة عنه واللي عايز يعرف القصة كلها يدور عليها ويعرفها.. فيليبس وهو صغير المدرسة بتاعته قالت لأمه أبنك حركته كثيرة ومبيقعدش دقيقتين على بعض.. ابنك مبيعرفش يركِّز في أي حاجة.. الأم راحت للدكتور قال لها إنه عنده اضطراب نقص التركيز وبدأ ياخد دوا مخصوص للحالة دي.. ومن يومها وبدأت قصة نجاح فيليبس مش قصة فشله.. إنتوا فاهمين أنا قصدى إيه؟

لازم كل واحد فيكم يعرف أنه ممكن يقابل في يوم من الأيام ناس تحاول تقنعك إنك فاشل وهنا بتكون النقطة الفاصلة في حياتكم إما تصدقهم وتفشل أو تنطلق بقوة وتنجح.. أوعى تدى فرصة لحد أنه يقتل طموحك.. وإوعى تخلى حد مهما كان يقنعك إنك فاشل.

ظل الجميع يحدق إلى الأستاذ، وهم يشعرون بأنه يمحو الصدأ من على عقولهم.. يشعرون بأن هذا الأستاذ يزرع بداخلهم عكس الذي يزرعه الآخرون.

خيم الصمت، بينما الأستاذ أحمد يجول في الفصل ثم تذكر أمرا هاما.

– الأستاذ أحمد: كل سنة وأنتوا طيبين.

– تلفت الجميع في دهشة لا يدرون السبب ولكن أجابوا بتقطع: وحضرتك طيب يا أستاذ.

– أدرك الأستاذ عدم معرفتهم بالسبب فأسرع: بمناسبة 6 أكتوبر.. في حد هنا له قريب حارب في 6 أكتوبر؟

– رفع أحدهم يده بكل فخر: أنا يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد: اتفضل.. اسمك إيه؟

– الطالب في سعادة: سبونج بوب..

– ضحك الجميع على الاسم ولكن استدرك الطالب الأمر وهو يضحك: معلش معلش.. اسمي هيثم.

– الأستاذ أحمد ضاحكًا: طيب وإشمعنى سبونج بوب؟

– بهاء ساخرا: أصله مربع وأصفر زيه.

– انفجر الجميع في الضحك مرة أخرى، فأكمل سبونج بوب: بحب أتفرج عليه يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد: طيب يعنى عايزنى أناديك وأقولك هيثم ولا سبونج بوب؟

– نظر سبونج بوب في ذهول للأستاذ: هو ينفع حضرتك تقول لـي سـبونج بوب؟

– الأستاذ أحمد في هدوء: أيوه ينفع.

– سبونج بوب في سعادة: خلاص يبقى يا ريت تقول لي سبونج بوب.

– الأستاذ أحمد: طب يا سبونج بوب مين حارب في عيلتك؟

– سبونج بوب بكل فخر: عمي.

– الأستاذ أحمد: طب أحكي لنا اللي تعرفه عن الحرب؟

التفت جميع من في الفصل إلى سبونج بوب الذي بدأ يسرد معلوماته القيمـة عن الحرب.

– سبونج بـوب في اهتمـام: بـص يـا أسـتاذ.. هـي العمليـة كانـت درمغـة كبيرة.. طلع الطـيران الـصبح وراح ذريبـو ذريبـو وفي الوقـت نفـسه كانـت علـى الأرض زيطة وزمبليطة.. والناس تصرخ الله أكبر.. ويرشوا ميه على جبل التراب وزفلطوا البحر خالص.. ولا الصواريخ بقى يا أستاذ كانت حاجة فظيعـة.. وفي **6** ساعات بعون الله يا أستاذ كانت النكسة حصلت.. قصدى الحـرب خلـصت.. همـا بيجيبوا الحرب في نص ساعة بس في التليفزيون لكن أنا لما قريت الكتـب لقيتهـا قعدت بتاع **6** ساعات.

كان مشهد الطلبة غريبا للغاية كأنهم بالفعل يـشاهدون حلقـة مـن حلقـات الأطفال سبونج بوب.. أما الأستاذ فكانت الصدمة شديدة للغاية!

- اقترب الأستاذ أحمد من سبونج بوب في ذهول: أنت في سنة كام يا سبونج بوب؟

- سبونج بوب في دهشة: إيه يا أستاذ أنا معاهم هنا في الفصل في تالتة ثانوى.

- الأستاذ أحمد: طب والحرب دي اللي كنت بتتكلم عليها شفتها في حلقات سبونج بوب؟

- سبونج بوب في دهشة: لا يا أستاذ أنا عمري ما شفت حاجة لسبونج بوب عن الحرب.

- الأستاذ أحمد: أمال إيه هو اللي ذريبو ذريبو ودرمغة وزيطة وزمبليطة ويرشوا ميه و 6 ساعات التفاصيل المهمة دي جبتها من فين؟

- سبونج بوب بثقة: صدقني يا أستاذ.. في 6 ساعات كنا عملنا معاهم السليمة.. طب أنت حضرتك عندك صفحة على الفيس بوك؟

- الأستاذ أحمد: أيوه عندي.

- سبونج بوب: خلاص هبعت لحضرتك شوية تفاصيل تانية طالما حضرتك مهتم.

- الأستاذ أحمد في أسى: اقعد يا سبونج بوب.

التفت الأستاذ عائدا مرة أخرى، فمال سبونج بوب على بهاء.

- سبونج بوب: واد يا بهاء.. هو ماله زعل واتأثر كدا ليه.. هو أنا شتمته

بأمه؟

- كان بهاء على وشك الإجابة لولا أن نطق الأستاذ أحمد مرة أخرى: مين حافظ ماما زمانها جايه؟

- كان السؤال صادما للجميع فالتفت بهاء في غضب لسبونج بوب: أنت عملت إيه ياض في الأستاذ؟

- سبونج بوب في ضيق: والله ما عملت حاجة.. ماعرفش في حاجة زعلته من الحرب.. مش عارف أنا قلت إيه زعله قوي كده!

- وقف بهاء يحاول أن يفهم: مالها ماما يا أستاذ عايزنا نغنى لها ليه؟

- الأستاذ أحمد: مش سبونج بوب قال لنا حكاية ذريبو ذريبو ودرمغة وزيطة وزمبليطة.. عايزين حد يرد عليه ويقوله ماما زمانها جايه.

- بهاء في دهشة: يعنى الواد سبونج بوب مايعرفش حاجة يا أستاذ؟

- الأستاذ أحمد: خالص يا بهاء.. ما يعرفش حاجة خالص.

- نظر بهاء إلى سبونج بوب في ضيق: أنا كنت عارف إن الواد ده هجاص وعامل نفسه محمود ياسين في فيلم الرصاصة لا تزال في جيبي.. دا كان ناقص يقول لنا إنه حارب بنفسه يا أستاذ.

- الأستاذ أحمد: معلش يا بهاء هو هيصلح غلطته وهاديله كتاب يقراه ومش مسموح له الكلام إلا لما يخلصه ويقول لنا رأيه في الكتاب وفي ذريبو ذريبو ودرمغة وزيطة وزمبليطة اللي قالهم لنا من شوية.

– نظر الأستاذ أحمد إلى سبونج بوب بصرامة: ها.. موافق ولا تقعد ساكت طول السنة؟

– سبونج بوب مرتبكا: موافق موافق.. بس ماتزعلش يا أستاذ.

– الأستاذ أحمد: أنا مش زعلان منك يا سبونج بوب.. أنا زعلان عليك.

– سبونج بوب حزينا: للدرجة دي؟

– الأستاذ أحمد: أيوه للدرجة دي.. بس ممكن تغير من نفسك لو عايز.. وعندك الفرصة.

جلس سبونج بوب في هدوء وبدون أن يعلق بعدما شعر بالحزن على نفسه.

– الأستاذ أحمد: في حاجة عايزكم تعرفوها وتفضل في دماغكم طول العمر عشان ماحدش يلعب بدماغكم ولا يخلق منكم شخصيات مغيبة.. التاريخ مش هو اللي بتعرفوه من أفلام التليفزيون.. التاريخ مش للحكايات والتسلية ولا معلومات بنحطها في ورقة الإجابة.. التاريخ تجارب وحقائق.. التاريخ حياة ناس كانت قبلكم.. التاريخ عشان نتعلم من اللي قبلنا إزاي نعرف نعيش حياتنا.. عشان اللي بعدنا هييجوا يتعلموا منا ومن اللي قبلنا إزاي يعرفوا يعيشوا حياتهم.. التاريخ هو خلاصة الحكمة من جيل لجيل.. التاريخ هو أنتوا لكن بعد زمن.

– عمر في دهشة: هو دا نفس التاريخ اللي بيدوهلنا مدرس التاريخ؟

– الأستاذ أحمد: طبعا.

– عمر متهكما: لا معلش يا أستاذ.. الكلام اللي حضرتك قلته ده غير اللي

إحنا نعرفه عن التاريخ.. لأنهم لو قالونا الكلام بتاعك دا قبل كدا.. أكيد كان رأينا في التاريخ هيختلف.

– الأستاذ أحمد في فضول: مين مدرس التاريخ بتاعكم؟

– الجميع في صوت واحد: الأستاذ جميل.

– شرد الأستاذ أحمد ببصره للحظات، ثم هز رأسه قائلا: طيب جميل.

* * *

بمجرد خروج الأستاذ أحمد من الفصل اتجه مباشرة إلى حجرة المدرسين لعله يجد الأستاذ جميل مدرس التاريخ.. وبالفعل كان محظوظا ووجده ولكنه لم يكن محظوظا على الإطلاق في حواره.

– الأستاذ أحمد: مساء الخير.

– أجاب المدرسون الموجودون: أهلا مساء النور.

– الأستاذ أحمد: يا ترى فين الأستاذ جميل؟

– التفت أحدهم في اهتمام: أنا الأستاذ جميل.. خير.

– جلس الأستاذ أحمد بجواره وهو يمد يده لتحيته: أنا الأستاذ أحمد مدرس الزراعة الجديد.

– الأستاذ جميل: أهلا وسهلا تحت أمرك.

– الأستاذ أحمد: الأمر لله وحده.. كنت بس عايز أتكلم معاك بخصوص الشباب بتوع تالتة ثانوى.

– لم يكمل الأستاذ أحمد كلامه بعدما قاطعه الأستاذ جميل: قطعوا وقطعت سيرتهم..

– فوجئ الأستاذ أحمد بالكلمات العنيفة: وليه كدا يا أستاذ جميل.. مالهم الشباب؟

– الأستاذ جميل: شباب إيه دول هباب..قطران..دول حرام فيهم العلام.

– الأستاذ أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله.. بس ممكن تقول لي أنت زعلان منهم ليه؟

– الأستاذ جميل: يا أستاذ أحمد دول قالوها لي في وشى إحنا مش بنفهم منك حاجة.. مع إني مدرس تاريخ يعنى مش فيزيا ولا كيميا..مش عازينى ولا عايزين التاريخ.. أنا مش عارف هيدخلوا الامتحان إزاي؟!

– الأستاذ أحمد: غريبة قوي.. دول دماغهم نضيفة وكمان لسه قايلين لي إنهم بيحبوا التاريخ.

– الأستاذ جميل في فزع: بيحبوا التاريخ!.. مين دول اللي أنت بتتكلم عنهم؟!

– الأستاذ أحمد: على العموم أنا كنت جاي لحضرتك في حاجة وأنت شغلتنى بالشباب.

– الأستاذ جميل: أنا قلت لك تحت أمرك يا أستاذ أحمد.

– الأستاذ أحمد: لا من الواضح أنه مش هينفع.. دا حضرتك مش طايقهم..

يبقى للآسف مش هينفع.

– الأستاذ جميل في عصبية: أيوه مش هينفع.. أي حاجة للعيال دول يبقى مش هينفع وأنت كمان لازم تعرف كدا وماتتعبش نفسك معاهم.

انطلقت ضحكة من بعيد لإحدى المدرسات مما أثار استياء الأستاذ جميل.

– الأستاذ جميل: خير يا أبله مها إيه اللي ضحكك قوي كدا؟

– أبله مها مدرسة الفيزياء: أصل أنت بتقول لأستاذ أحمد مايتعبش نفسه معاهم.. هو مدرس الزراعة هيقول لهم أيه مهم.. أهو هيقعد يضحك ويهزر وخلاص.. الغلب لينا إحنا بس.

– الأستاذ أحمد: أنا فعلا بهزر وبضحك ومعنديش مادة علمية عشان أوصلها لهم.. لكن أنا بعمل حاجة أنتي ماتعرفيش تعمليها.. أنا بحاول اعمل منهم بني آدمين بعد ما غيرى بوظهم وخلاهم أشخاص بينكروا على نفسهم إنهم بني أدمين.. دول مذهولين إن في حد بيحترمهم.

– مها بغضب: العيال لا إحنا طايقنهم ولا هما طايقنا.

– الأستاذ أحمد: عندك حق يا أبله مها الشباب مش طايقنكم خالص.. حاسين إنكم مش بتعلموهم حاجة.. ودا لأن أسلوبكم قديم وغريب وعايزنهم يتعلموا بنفس الطريقة اللي أنتوا اتعلمتو بيها من 20 ولا 30 سنة.. دا إنتى لسه بتقولى عليهم عيال.. يبقى إزاي عايزاهم يتقبلوا منكم حاجه.

– الأستاذ جميل: إيه الكلام الغريب ده.. كلامك لا مؤاخذة تافه لا يودى

ولا يجيب ولا له تمن يوم الامتحـان.. هـو إيـه محترم ن وبـني ادمـين.. إحنـا عاوزينهم متعلمين عاوزينهم يدخلوا الجامعة وابقـى بلنى لـو حـد مـنهم شم ريحة بوابة الجامعة نفسها.

– الأستاذ أحمد: ماتشغلش بالك أنت بالكلام التافه بتاعى ولا حتـى إنتـى يا أبله مها وطالما مافيش فايدة فيهم يدخلوا الجامعة يبقى على الأقل نطلع شباب بيفهم.. نطلع بني آدمين.. بس إذا كنتوا أنتـوا نفـسكم مـش حاسـين إنكـم بـني آدمين يبقي هما هيعرفوا إزاي..

– التفت الأستاذ أحمد منصرفا: أنا آسف ضيعت وقتكم.. سلام عليكم.

– الأستاذ جميل في استياء: هو إيه اللي جه شتمنا ده ومشى؟

– ألقت أبله مها بالقلم في عـصبية: أهـو شـتمنا يـا أسـتاذ جميـل بعـد مـا حضرتك شتمته.

– الأستاذ جميل: أنا شتمته.. طب شتمته قلت إيه؟

– أبله مها: قلت على كلامه تافه.. عايزه يقول علينا إيه.. ماكنش في داعى تهينه.. هو كان جاي عايز مصلحة العيال بس اتصدم منك.

– الأستاذ جميل: بلاش شغل الإخصائية الاجتماعيـة ده يـا أبلـه مهـا الله يخليكي.. إحنا مش ناقصين كمان مدرسين الزراعة.. دا إيه الغلب ده..

هرولت أبله مها خلف الأستاذ أحمد حتى وجدته على وشـك الخـروج مـن باب المدرسة فنادت عليه.

– أبله مها: يا أستاذ أحمد.. يا أستاذ أحمد.

توقف الأستاذ أحمد عندما سمع النداء واندهش عندما وجد على وجهها ابتسامة.

– أبله مها: أنا آسفة على الكلام البايخ اللي قلته وكمان اللي قاله الأستاذ جميل.. بس يا ريت تعذرنا.. إحنا في منظومة فاشلة كلها يبقى أكيد عنصر المدرس مش هيبقى الوحيد اللي ناجح.

– الأستاذ أحمد في أسى: عندك حق يا أبله مها ومافيش داعي للآسف ماحصلش حاجة.

– أبله مها: شكرا يا أستاذ أحمد.. مش هعطلك.

– الأستاذ أحمد: شكرا يا أبله مها.. مع السلامة.

" منظومة فاشلة " ظل يرددها على وقع خطوات قدميه.. عقله يكاد ينفجر من السؤال الأخطر على الإطلاق.. كيف تنتج المدرسة جيل ناجح بينما لا يوجد في الأصل مدرسة بل مجرد عنوان لاسم مدرسة!!!

* * *

في يوم الخميس من الأسبوع التالى فوجئ الأستاذ أحمد بزياد وبهاء بانتظاره أمام حجرته في الصباح مما أثار دهشته.

– الأستاذ أحمد: خير يا شباب في إيه؟

– بهاء: كنا عايزين حضرتك في طلب.

- الأستاذ أحمد: اتفضلوا قلقتونى في إيه ومن غير مقدمات.

- زياد: النهاردة هنلعب ماتش في دوري المدرسة كنا عايزين حضرتك تتفرج علينا في الفسحة.

- الأستاذ أحمد: بس كدا.. حاضر.. إنتوا خضتونى.

- بهاء في سعادة: ماتتأخرش أحسن الماتش **10 و10**.

- الأستاذ أحمد: **10 و10** يعنى إيه؟

- بهاء: يعنى كل شوط **10** دقايق.. يعنى يادوبك أول ما هنسخن الماتش هيخلص.

- الأستاذ أحمد ضاحكًا: طيب حاضر مش هتأخر.. بس المهم هشوف لعيبة ولا عجن؟

- زياد: لو سبونج بوب فايق يبقى هتشوف برشلونة.

- الأستاذ أحمد ساخرًا: تاني سبونج بوب مش كفاية اللي عمله في الحرب.

- بهاء ضاحكا: على فكرة سبونج بوب يبقى ابن خالتي وطول الأسبوع مابيعملش أي حاجة غير أنه ياكل ويقرى في الكتاب اللي أنت اديتهوله.

- الأستاذ أحمد متهكما: طالما قرايب.. كنت عايز أسألك هو سبونج بوب بيعرف يقرى؟

- انفجر زياد وبهاء في الضحك، لكن فجأة سمعوا صراخ ياتي من بعيد:

أنت يا حيوان أنت وهو.. على الفصل بسرعة.

انطلق الاثنان بسرعة هربا وهما يصيحان: إوعى تتأخر.

بحث الأستاذ أحمد عن الشخص الذي سب الاثنين، فوجده مدير المدرسة وهو يمسك بعصا غليظة ويهرول خلف الطلاب لإجبارهم على الدخول إلى الفصول في مشهد قد يفهم في بعض الدول الأخرى بأنه شروع في قتل..

قبل بدء الفسحة بدقائق، انطلق الأستاذ أحمد إلى أرض الملعب وعند وصوله وقف مندهشا عندما تصور بداية المباراة في هذا الملعب الخماسى الصغير الذي يمثل كل مساحة فناء المدرسة.. فأين سيذهب بقية الطلاب في الفسحة بينما في الوقت نفسه تجرى المباراة.. لم ينتظر طويلًا ليرى فقد دق الجرس..!

حصل الأستاذ أحمد لنفسه على مكان مميز، بينما اصطف الطلاب صفوفا.. منهم من يجلس ومنهم من يستند على ركبتيه ومنهم من لم يجد سوى الوقوف على عكس غيرهم المحظوظين الذين يشاهدون من الأدوار التي تحيط بالملعب بصحبة المدرسين.. بينما يقف الأستاذ محسن، مدير المدرسة أمام مكتبه وحيدا يمسك بالعصى الغليظة يشاهد هو الآخر.. لحظات وكان الفريقان في الملعب في ملابس شبه رياضية.. فريق يرتدى كل ما هو أصفر، بينما الفريق الآخر يرتدى كل ما هو أزرق.. كان الفريقان أشبه بعصابتين على وشك الاقتتال.. منهم من يضع عصابة على رأسه، ومنهم من يرتدى حذاء أشبه بالمنشار الكهربائي، وآخرون يرتدون في المعصم أشياء مجهولة الهوية.

وقف بهاء وسبونج بوب بجوار الكرة لبدء المباراة وهما يرتديان الملابس الصفراء ومن خلفهما وليد وعلاء ويحرس المرمى العملاق زياد.. وقف مدرس الألعاب يشير بيده للفريقين ليستعدا، ثم أطلق صفارة البداية.

مرر سبونج بوب الكرة لبهاء ليعيدها الأخير إلى الوراء.. استقبلها وليد الذي لم يتوان في أن يرسل قذيفة قوية للغاية باتجاه المرمى.. أخطأت الكرة المرمى لتتجه إلى حجرة مدرس الألعاب لتطيح بالزجاج.. سقطت الصفارة من فم مدرس الألعاب من هول ما رأى، ثم اهتز بعدها الملعب من صراخ مدير المدرسة.

– مدير المدرسة في غضب: براحة يا بهايم أنت وهو.

– مدرس الألعاب مرتبكا: براحة يا عم أنت وهو.. مافيش شوط من بعيد.. مافيش شوط من بعيد.. ماتودوناش في داهية!

استؤنفت المباراة مرة أخرى، ليبدأ فاصل من العك الكروى والضرب والنطح بين الفريقين.. شعر الأستاذ أحمد بالملل من مشاهدة هذه المعركة بين مجموعة شباب تعلم جيدًا أن المباراة أقصر مما يلزم، فعليها أن تفعل كل شيء في بضع دقائق لذلك هي لا تستطيع فعل أي شيء على الإطلاق.

بعد تمريره رائعة من علاء الذي تبدو عليه الموهبة إلى سبونج بوب استطاع الأخير أن يراوغ لاعباً، ثم الثاني وينفرد بالمرمى محرزا الهدف الأول للفريق الأصفر.

انطلق سبونج بوب سعيدا بالهدف يبحث عن الأستاذ أحمد، حتى وجده

فقفز عليه في سعادة أدهشت الأستاذ نفسه لكنه قابلها بترحاب وتشجيع للفريق الأصفر بعد هذا الهدف الجميل.

انتهت العشرة دقائق الأولى كأنها لم تبدأ في الأصل لولا الهدف الذي أحرزه الفريق الأصفر عن طريق سبونج بوب.. مع بداية الشوط الثاني كاد الفريق الأزرق أن يدرك التعادل لولا روعة وبسالة العملاق زياد الذي استطاع أن يقتنص الكرة من اللاعب بعد انفراد بالمرمى ليرسلها سريعا مرة أخرى لسبونج بوب الذي راوغ لاعبا، ثم الثاني لينتهي المطاف بحادث مروع بعد اصطدامه بالجمهور.

توقفت المباراة لإصابة سبونج بوب وبعد تأكد مدرس الألعاب أنه لم يمت بعد، استؤنفت المباراة مرة أخرى.

فجأة تناسى علاء نصيحة مدرس الألعاب بعدم التسديد من بعد، فأرسل قذيفة جديدة رائعة لم يستطع حارس الفريق الأزرق أن يراها إلا حينما أطاحت بوجه أحد المشاهدين سيئ الحظ الذي كان يشاهد المباراة خلف المرمى.

انفجر الفريق الأصفر فرحا بالهدف الثاني إلا أن مدرس الألعاب أنهى هذه الفرحة بعدما ألغى الهدف بداعي أنه جاء عن طريق تسديدة عن بعد وهو أمر أصبح غير شرعي.

بعد دقيقة عاود سبونج بوب هوايته في المراوغة مرة أخرى من الناحية اليسري وانتهى الأمر إلى الاصطدام بالمشاهدين الذين لم يتوانوا في سبابه، بعد أن أحدث فيهم بعض الإصابات.. لم يعبأ مدرس الألعاب بسبونج بوب هذه المرة

وتركه بين أحضان المشاهدين ليكمل المباراة بعد أن أصبحت في لحظاتها الأخيرة.

فجأة وبعد اشتراك قوي من أحد لاعبي الفريق الأزرق بحارس الفريق الأصفر زياد، اشتعلت الأمور لتصبح معركة شديدة الخطورة وينتشر الهرج والمرج في الملعب بعدما تدخل المشاهدون بين مؤيد ومعارض لكل فريق، فأطلق مدرس الألعاب صفارة نهاية المباراة وهو يهرب نحو غرفته في محاولة للنجاة بنفسه من معركة بدأت ولا أحد يعلم كيف ستنتهي.

أخيرا انتهت المعركة بعد تدخل مجموعة العصى الغليظة وهي مجموعة المدرسين والمشرفين يقودهم المدير بنفسه والذين يحملون جميعا أدوات شبه قاتلة.. ومع انتهاء المعركة وتسكين الطلاب في الفصول انتهت المباريات الكروية في المدرسة بعد أن قرر مدير المدرسة إلغاء دوري الفصول..!

* * *

انتظر الشباب حصة الزراعة بفارغ الصبر حتى ينفسوا عن غضبهم ويجدوا من يتحدث معهم أو يسمح لهم بأن يتحدثوا بلا تسفيه لعقولهم بعد هذه المعركة التي أتت من حيث لم يحتسبوا!

أصبح العطر الخاص بمدرس الزراعة هو العلامة المميزة وبمجرد ظهوره يشعر الشباب بأنهم على وشك أن يصبحوا محترمين.

ألقى الأستاذ أحمد التحية عليهم بوجه غير الذي تعودوا عليه

– الأستاذ أحمد في ضيق: إزيكوا يا شباب.

– أجاب الجميع بالتحية ثم بسرعة نطق بهاء: في إيه يا أستاذ؟

– الأستاذ أحمد: قرفان قوي منكم.

– زياد في ذهول: حتى إنت يا أستاذ بقيت زيهم؟

– الأستاذ أحمد: لا أنا مش زيهم.. بس أنا زعلان عشان أنتوا اللي بقيتوا زيهم يا زياد.. كنت شايف قدامى شباب زي الفل.. بس في لحظة اتغيروا عشان ماتش كورة.. شتيمة وعصبية.. وخلصت على خناقة ذى ما تكون بين عصابتين.

– وقف سبونج بوب بعصبية: يا أستاذ إحنا مالنا.. هو الواد سامبو بتاعهم اللي بوّظ الماتش عشان لقوا نفسهم اتغلبوا خلاص.. أنت ماشفتش دخل في صدر الواد زياد إزاي بكل غباء ولما مسكناه كمان شتمنا.. إحنا مش هفيه ولا عيال كوفيات وكان لازم يتعمل معاه الجلاشة هو واللي يتشدد له كمان.

– الأستاذ أحمد متعجبًا: طب وماجبتش معاك سنجه ولا مطوه ولا حتى مسدس عشان تعمل معاهم الجلاشة صح ليه؟. أنتوا بالفعل ماكنتوش رايحين تلعبوا كورة.. إنتوا كنتوا رايحين تتخانقوا.

– بهاء في ضيق: يا أستاذ كورة إيه بس.. دول صعبان عليهم إن إحنا نلعب ولا حتى نطلع غلبنا في الرياضة.. عمرك شفت ماتش 10 و10 ؟ يعنى يا دوب تلمس الكورة مرة واحدة وكمان مش هتلحق تعرق في الفانلة.. يا أستاذ إحنا بنلعب وخايفين من العيال اللي بتتفرج علينا والعيال خايفه يحصل فيهم زي ما سبونج بوب عمل فيهم مرتين النهاردة.

- الأستاذ أحمد: كل كلامكم مظبوط.. بس لسه ماحدش جاوب على السؤال.. إنتوا كنتوا رايحين تلعبوا كورة ولا تتخانقوا.. دا حتى لعبكم كان خناقة في حد ذاته.

- وقف علاء يتحدث بجراءة: يا أستاذ إحنا بنضحك على بعض.. هما بيمثلوا إنهم بيخلونا نلعب كورة وإحنا بنمثل إن إحنا بنلعب كورة.. فطبيعي نبقى بالشكل الزفت دا.. أرجوك بلاش تعاتبنا إحنا وروح عاتبهم هما.. ماشي إحنا غلطانين بس إذا كنا بنعمل أخطاء يبقى هما بيعملوا مصايب.

- الأستاذ أحمد: طب وبعدين يا علاء.. نفضل بقى هما يظلموكم وأنتوا تظلموا نفسكم؟

- علاء مرتبكًا: نعم؟ مش فاهم سؤال حضرتك؟

- الأستاذ أحمد: أنا موافق إنهم سبب المشكلة.. لكن الصح دلوقتي إيه؟ لو هما غلطوا وظلموكم أنتوا كمان تغلطوا وتظلموا نفسكم؟ ولا الصح إنكم تشيلوا الظلم عنكم وتعملوا الصح؟

- نفخ بهاء في عصبية: يا أستاذ أنا مش فاهم حاجه بصراحة.. لكن تقريبًا السؤال ده ممكن تسأله للأستاذ عبد الحليم بتاع الفلسفة والمنطق.. مش إحنا اللي عملنا المشكلة.. إحنا ضحايا المشكلة.. اللي عمل المشكلة يحلها بقى!

- وليد: وأنا بردوا مش فاهم حاجة خالص.. خلونا في الماتش نفسه.. عجبك الماتش؟

– الأستاذ أحمد ساخرًا: كنتوا عاملين زي الفراخ وهي بتجرى وارا بعض.. قصدى وهي بتضرب بعض وتشتم بعض.. وعشان بهاء مايزعلش إنتوا فعلا مظلومين لأن مافيش وقت تلعبوا لعبكم ولا أرض تعرفوا تلعبوا عليها.

– رفع أحد الطلاب يده فأجاب الأستاذ أحمد: أيوه يا محمد خير؟

– محمد في دهشة: أنت حضرتك عايزنا نلعب بطريقه (التكى تاك) ذى برشلونة مثلا.. ولا عايزنا نلعب بطريقة 4 – 4 – 2 ومشتقاتها.. دي مصر يا أستاذ.. ماتحسرناش وحياة والدك.

– الأستاذ أحمد: أنا أبوى مات.

– محمد متهكما: طب كويس.. يبقى يعرف أبوى.

انفجر الفصل ضاحكا، بينما الأستاذ أحمد صامت، مما أحرج الجميع.

– رفع طالب آخر يده فأجاب الأستاذ أحمد: اتفضل يا محمود.

– محمود: خلاصة الحكاية إن ليس في الإمكان أفضل مما كان حتى لو حضرتك فاكر إن ممكن الشاطرة تغزل برجل حصان أو حمار مش متأكد.

انفجر الفصل ضاحكا مرة أخرى، بينما الأستاذ أحمد صامت.

– رفع طالب آخر يده فأجاب الأستاذ أحمد: اتفضل يا صالح.

– صالح: ماتزعلش نفسك يا أستاذ.. أهم لغوا الكورة.. خلينا نتكلم في حاجة مفيدة يعنى هي جت على الرياضة.

– الأستاذ أحمد: إيه الحاجة المفيدة يا صالح؟

- صالح: عايزين نعرف سبونج بوب عمل إيه في الكتاب اللي حضرتك اديتهوله؟

وجدها الأستاذ أحمد فرصة لتغيير الموضوع، فنظر إلى سبونج بوب الذي تغير لون وجهه وارتبك.

- الأستاذ أحمد: عندك إجابة يا سبونج بوب؟

- وقف سبونج بوب مرتبكا: أنا عرفت حاجة مهمة.

- بهاء بسخرية: إيه ماكانش في حرب أصلا؟

- الأستاذ أحمد ضاحكاً: اتفضل قول إلى أنت عايزه.

انتظر سبونج بوب حتى صمت الجميع، بعدها نظر إلى الأستاذ أحمد بكل فخر كأنه في طريقه لإعلان شرف ناله بعد مجهود كبير.

- سبونج بوب في كبرياء: أنا طلعت حمار.

انفجر الجميع في الضحك ومعهم الأستاذ هذه المرة.. فلم يكن أحد يتوقع على الإطلاق بعد هذا الكبرياء أن يصف سبونج بوب نفسه بالحمار.

- الأستاذ أحمد ضاحكاً: طب والحمار ذنبه إيه؟

أكملت كلمات الأستاذ على سبونج بوب نفسه، فانفجر ضاحكاً هو الآخر لكن فجأة فتح باب الفصل بقوة وهم غرقى في الضحك ليجدوا الأستاذ محسن مدير المدرسة أمامهم.

- المدير في غضب: أنا عايز أعرف إيه الضحك دا كله.. على المصيبة

والخناقة اللي عملتوها النهاردة..ولا على الإزاز اللي كسرتوه.. ولا على دوري الفصول اللي اتلغى بسببكم؟

– التفت المدير إلى الأستاذ أحمد في غضب: أنت بتقول لهم نكت يا أستاذ أحمد ولا إيه!.. المدرسة كلها سامعة صوت الضحك بتاعكم.. ماتضحكونى معاكم!

أيقن الجميع بأن هناك مشكلة ستحدث لا محال بين مدير المدرسة والأستاذ أحمد، إلا أن إجابة الأستاذ أحمد كانت مفاجأة للجميع.

– الأستاذ أحمد: فعلا كنت بقول لهم نكتة يا أستاذ محسن.. تحب تسمعها؟

ارتبك مدير المدرسة، فالرد لم يكن متوقعًا على الإطلاق

– مدير المدرسة: يا أستاذ أحمد أنا مش فاهم في إيه بصراحة.. أنت عامل سحر للعيال.. الأسبوع كله غياب ويوم الخميس كله بييجى والحضور في الفصل 100٪.. السبب في النكت بقى ولا إيه؟

– الأستاذ أحمد بإصرار: ما أنا قلت لحضرتك فعلا هي النكت.. أصل أنا أديت واحد كتاب يقرأه وفعلا خلّص الكتاب في أسبوع وجه قال لنا نكتة.

– المدير مذهولا: كتاب قرأه وفي أسبوع؟.. طب يا أخوى يقرى كتاب المدرسة.. يقرى كتاب ينفعه في الامتحان.. جرى إيه يا أستاذ أحمد.. دا اللي إحنا اتفقنا عليه؟

– الأستاذ أحمد: أيوه يا فندم هو دا اللي اتفقنا عليه.. حضرتك نسيت ولا إيه.. مش الترم الأول بتاعي؟

– المدير مستسلمًا: طيب يا أستاذ أحمد.. أما أشوف أخرتها معاك إيه!

انصرف مدير المدرسة وهو يتعجب من هذا الأستاذ الذي لا يوجد مثيل له في المدرسة بل لم ير مثله من قبل!

* * *

في نفس اليوم من الأسبوع التالى وعندما حان موعد الزراعة كان الفصل على أهبة الاستعداد.. كلٌ يمنى نفسه بمزيد من الثقة في النفس.. كلٌ له موضوع يود أن يطرحه للنقاش.. ولكن طال الانتظار ولم تظهر رائحة العطر بعد.. بدأ ينتشر السؤال في الفصل أين رائحة العطر.. لم يجرؤ أحد منهم على طرح افتراض أنه قد لا ياتي اليوم.. ولكن وضع الكل افتراض بأنه لم يضع العطر لهذا اليوم.. لم ييأس أحد وظلوا بالانتظار حتى أتى إليهم اليقين..!

بدون أي مقدمات ظهر الأستاذ إلهامى مدرس اللغة الإنجليزية على باب الفصل وهو ينظر إليهم بازدراء.. كذّب الجميع أعينهم فهذا هو المستحيل بعينه.. وضع الأستاذ إلهامى حقيبته وهو ينظر إليهم في شماتة.. فتأكد الجميع من نظراته بأن الأمر الذي لم يكن يتخيله أحد منهم قد حدث بالفعل.. لقد تغيب الأستاذ أحمد اليوم.. تبًا!

– وقف بهاء مرتبكا: هو الأستاذ أحمد فين لا مؤاخذة؟

– الأستاذ إلهامى: غايب.. ماجاش النهاردة

– بهاء في إنكار للأمر: طب وإحنا مالنا؟

– الأستاذ إلهامى: يعنى إيه وأنتوا مالكم.. أروح أجيبه من بيته عشان تتبسط؟

– بهاء مصدومًا: يا ريت.. وهندفع حق التاكسى.

– الأستاذ إلهامى بعصبية: اقعد يا ظريف.

– زياد: يا أستاذ إلهامى طب ممكن تقول لنا هو غاب ليه.. عيان.. طفش منكم.. انتحر بسبب المدير.. طمنا!؟

– الأستاذ إلهامى: عيان يا ظريف أنت كمان.

– وقف بهاء بسرعة وهو يلمم أغراضه: قوموا يا جدعان الأستاذ عيان.. بينا نطمن عليه.

– صرخ الأستاذ إلهامى: مكانك يا حيوان منك له.

– انفجر زياد غضبا في الأستاذ إلهامى واتجه نحوه: إيه حيوان دي.. أنت بتشتمنا ليه؟

– وقف زياد أمام الأستاذ إلهامى وهو يكاد يفوق ضعفه طولا: أنا مش حيوان.

شعر الأستاذ إلهامى بأنه قد تسرع وعندما يغضب العملاق زياد، فعليه تدارك الأمر.

– الأستاذ إلهامى مرتبكا: اقعد يا زياد يا حبيبى مش عايز أزعل منك.. ما أنتوا اللي عصبتونى!

– وليد بسماجته المعهودة: طب وأنت جاي تعمل إيه يا أستاذ؟

–الأستاذ إلهامى: حقك على يـا وليـد.. أنـا قلـت آجـى أشوف حـد فـيكم محتاج حاجة أشرحها له.

– سبونج بوب: شكرا يا أستاذ.. مش عايزين حاجة.. إحنـا عـازين نـروّح بقى طالما أستاذ أحمد ماجاش.

– نظر عمر إلى بهاء في غضب: يا عم بعد كدا لما يبقى ناوى يعيا يبقى يقول لنا.. مايجبناش على الفاضى.

– بهاء: عندك حق.. نبقى نقول له الكلام دا لما نشوفه.

– الأستاذ إلهامى في ذهول: يعنى أنتوا بتيجوا الخميس بس عشان حـصة الزراعة.

– بهاء: أيوه.. أكدب عليك يعنى.

– الأستاذ إلهامى في عصبية: هو ساحر لكم الراجـل دا ولا إيـه.. دا حتـى بتاع زراعة!

– صالح في غضب: ماله أستاذ الزراعة.. نصه إنسان ونصه حيوان يعنى؟

– الأستاذ إلهامى بغضب: سقفة كبيرة للواد صالح المتخلف.

لم يتجاوب أحد مع سخرية الأستاذ إلهامى، مما أشعره بالإحراج.. جلس

صالح وهو ينظر بحدة إلى الأستاذ إلهامى المتوتر.

- نفخ الأستاذ إلهامى بقوة: إنتو ليه مش عايزين تتعلموا؟

- علاء في عتاب: مين قال كدا يا أستاذ إلهامي.. إحنا عايزين نتعلم ونبقى بني آدمين.

- الأستاذ إلهامى: طب وإيه اللي مانعك يا أبوالعرّيف؟

- بهاء في عصبية: يا أستاذ قول لنا نتعلم إزاي.. أنت بتعاملنا كأننا من سكان لندن بس مخبيين عليك.. نقولك مش فاهمين تبص لنا بصة غلط.. طب نعمل أيه.. خدنا درس عندك وبردوا نفس المعاملة!

- الأستاذ إلهامى: ما هو أنت المفروض في ثانوية عامة تكون بتعرف إنجليزي كويس أو تكون على الأقل متوسط في اللغة.. لكن مش بلاطة خالص!

- بهاء بنفاد صبر: طب نعمل إيه إحنا في حظنا الهباب إننا ماتكعبلناش في مدرسين إنجليزي بيعرفوا إنجليزي.. كلوا كان حلوانى.. بنتعلم الإنجليزي عشان الامتحان وبس.. كلمتين ونرجّعهم على الورقة ونخرج نغنى في الشارع شى حا ناجحين إن شاء الله.. إنتوا ليه مش حاسين إن إحنا ضحايا مش مذنبين؟

- الأستاذ إلهامى مرتبكا: إنتوا إيه الكلام الكبير قوي ده.. اتعلمتوه من فين.. إيه الحكمة اللي حطت عليكم مرة واحدة دي؟

- سبونج بوب: البركة في الزراعة يا أستاذ إلهامى.. الزراعة اللي كنت بتتريق عليها من شوية.. مدرس الزراعة قال لنا إننا بني آدمين.. إننا نستحق

الاحترام.. ولا إحنا مانستحقش الاحترام؟

– الأستاذ إلهامى مستسلما: يا بني إحنا بنعلمكم عشان تبقوا محترمين.

– محمود متعجبًا: على فكرة بقى يا أستاذ.. ممكن يكون الإنسان مش متعلم بس محترم.. جدى الله يرحمه ماكنش متعلم بس كان كبير العيله في الصعيد وكلامه يتاقل بالدهب.

– علاء: مدرس الزراعة بنحس معاه إننا بني آدمين.. بنحس إننا لينا قيمة.

– سبونج بوب: وبمناسبة السعادة أنا إمبارح قريت جملة جميلة بتقول: "هناك من يستمد السعادة من إسعاده للآخرين وهناك من يستمد السعادة بأن يسرقها من الآخرين".

التفت بهاء في ريبة ينظر إلى سبونج بوب ثم تبعه الآخرون، فالجميع لا يثق في ثقافة سبونج بوب ولا كتبه التي يقرأها.

– سبونج بوب متوترا: لا بجد.. حقيقي فعلا مش زي الحرب.

– بهاء بإصرار: خلاصة الكلام يا أستاذ إلهامى.. كله إلا حصة الزراعة.. دي تطير فيها رقاب.. دا أنا أبلغ عنكم الوزارة.. أبلغ عنك أنت شخصيا أنك بتدى دروس خصوصية.. وإحنا بقى هنشوف شغلنا مع مدرس الزراعة بعد كده.. عشان لما يبقى ناوى يعيا ولا يغيب يبقى لازم يقول لنا إحنا الأول..مش يعيا ونلوص إحنا!

- زياد: يلا يا أستاذ إلهامى قول الكلمتين اللي عندك وريح ضميرك عشان إحنا عايزين نروّح إحنا كمان.. خلاص الإجازة اضربت والأسبوع كله باظ بسبب الزراعة.

نفخ الأستاذ إلهامى بقوة بعد هذا النقاش الحاد، لكنه استسلم وارتدى نظارته الطبية التي يبدو فيها أنيقًا وهادئا للغاية عكس ما يكون الواقع!

* * *

مرت الأيام بصعوبة، حتى أتى خميس الأسبوع التالى.. الكل في الانتظار والكل يحمل لوما للأستاذ.. تأكد بهاء بنفسه من حضور الأستاذ وعاد إلى الفصل سالما بعد نجاته من براثن عصا مدير المدرسة الغليظة.. حانت اللحظة.. سمع الجميع صوت أقدام تقترب، فظهرت سعادة على وجوه الجميع.. من دون أي مقدمات ظهر على الباب فجأة الأستاذ محسن، مدير المدرسة وعصاه الغليظة.. يا لها من صدمة.

- زياد في غضب: لا.. قسما عظما لو ماخدناش زراعة النهارده هلغى يوم الخميس من المدرسة خالص.

كان مدير المدرسة على وشك قذف زياد بالعصا الغليظة، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة بعدما تذكر من هو زياد فتدارك الأمر ولكنه صرخ غاضبا.

- مدير المدرسة وهو يجز على أسنانه: اقعد يا زياد يا حبيبى.

- بهاء بغضب: هو جاله إنفلونزا الطيور ولا إيه.. ماتفهمونا يا جدعان؟

مدير المدرسة وهو يكاد ينفجر: لو سمعت كلمة تانية منكم هولع فيكم كلكم.

بعد لحظات صمت، تحرك مدير المدرسة في الفصل وهو يضع يديه الاثنتين خلف ظهره يحوم حولهم، كأنه يبحث عني شيء بعينه.

– أزداد توتر الجميع فصرخ سبونج بوب: هو إحنا هنفضل في حرب الأعصاب دي كتير؟

– اقترب منه مدير المدرسة في غيظ: اتاخر.

– سبونج بوب: نعم؟

– مدير المدرسة: اتاخر يا بارد.. مش عارف يعنى إيه اتاخر؟

– سبونج بوب غير مستوعب: أيوه يعنى هتعمل إيه لما اتاخر؟

– بهاء بعصبية: يا عم اتاخر يمكن يمشي لو اتاخرت.

– نظر مدير المدرسة إلى بهاء: لا يا حلو أنا قاعد معاكم.. هاحضر معاكم الزراعة الى قالبه كيانكم دي.

نزل عليهم الخبر كالصاعقة..التفت الجميع إلى المدير وعلى وجوههم ضحكة بلهاء تعبر عن الإحباط الشديد.

– زياد في ذهول: أنت جاي تنكد علينا في شوية المزاج اللي بناخدهم كل أسبوع؟

– وليد بلا مبالاة: سيبك يا عم منه.. الأستاذ هييجى دلوقتي ويطرده بره.

- مدير المدرسة في شماتة: لا يا غلس.. الأستاذ عارف إني هاحضر معاكم.. اقعد بقى.

كانت مفاجأة جديدة ولكنها مريرة.. غرق الجميع في الإحباط بعد أن اكتشفوا أن حصة الزراعة ستضيع هباء للأسبوع الثاني على التوالي.. شعر الجميع أيضًا بالحنق على الأستاذ أحمد لتخليه عنهم بسماحه لمدير المدرسة بالحضور..

بدأت رائحة العطر تظهر في المكان، ومعها بدأ الكل يشعر بالنشاط ولكن هناك خنجر يطعنهم من الخلف..

ظهر الأستاذ أحمد وعلى وجهه ابتسامة ليجد الوجوه مكتئبة.. أدرك الأمر على الفور لأنه كان يتوقع رد فعلهم.. ألقى عليهم التحية وهو لا يزال مبتسما، ثم فاجأ الجميع.

- الأستاذ أحمد: أنا شايف وجه جديد في الفصل نفسه يعرف إيه السر في حصة الزراعة.. وعشان يقدر يحضر معانا لا زم يوافق على شرطين.. الشرط الأول لازم يسكت ومايتكلمش يعنى يبقى متفرج فقط مهما سمع من كلام.. ها موافق يا حضرة المدير على الشرط الأول؟

- مدير المدرسة وهو يكتم غيظه: موافق.

- الأستاذ أحمد: الشرط التانى هو موافقة الأغلبية على حضورك معانا النهارده.. لكن أنا هطلب الشباب نتغاضى عن الشرط التانى عشان حضرة المدير

ضيفى أنا.. وأتمنى إنهم مايرفضوش طلبى.

– مدير المدرسة بعصبية: هو إيه اللي يرفضوا.. جرى إيه يا أستاذ أحمد!

– الأستاذ أحمد: حضرتك اتكلمت.. وكدا أنت بتخل بالاتفاق.. أرجوك!

كتم مدير المدرسة غيظه، بينما كاد وجهه أن ينفجر بعدما تحول إلى لون الأحمر الداكن.

– الأستاذ أحمد: موافقين يا شباب؟

خرجت الموافقة من أفواههم متقطعة، فهم مجبرون على تقبل الأمر من أجل الأستاذ أحمد.

– وقف بهاء في عصبية: ممكن بعد كدا لما تبقى عيان تبقى تقول لنا قبلها عشان مانجيش.. دول جابوا لنا الأستاذ إلهامى وضرب لنا الأسبوع كله.. وحضرتك جاي النهارده وجايب لنا لا مؤاخذة ضيف مش عايز أقول عليه حاجة عشان تبعك.

تغير وجه مدير المدرسة لكنه تماسك عندما وجد الأستاذ أحمد يجيب.

– الأستاذ أحمد: أولًا أنا ماكنتش عيان.. ثانيا: أنا ماعرفش الغيب عشان أقولكم قبل ما أبقى عيان.

– عمر بغضب: ماشي يا أستاذ إلهامى بتكدب علينا!

– الأستاذ أحمد: الأستاذ إلهامى ماكدبش هو أكيد توقع سبب الغياب بأنه المرض.

- وليد: أومال كنت فين بقى إن شاء الله وسايبنا.

- الأستاذ أحمد: كنت في السفارة عندي مقابلة.

- زياد في دهشة: سفارة إيه.. ليه أنت رايح فين؟

- الأستاذ أحمد: أمريكا.

بهاء: نعم يا أخوى أنت هتروح أمريكا وتسيبنا؟

- وقف وليد في غضب ينظر إلى مدير المدرسة: ما هو اليوم باين من أوله..

- التفت بهاء هو الآخر إلى مدير المدرسة: أنتوا عملتوا إيه في الأستاذ.. هيطفش منكم الله يسامحكم.

وقف مدير المدرسة ليطيح بهم جميعا، لولا أن تحرك الأستاذ أحمد نحوه وأجلسه مرة أخرى وهو يقول.

- الأستاذ أحمد: مافيش حد طفشني ولا حاجة.. دي حكاية قديمة كنت ماشي فيها والحمد لله قربت خلاص.. أنا رايح أمريكا عشان دراسة.

- علاء: مش لما نخلص دراسة إحنا الأول يا أستاذ!

- بهاء يتصنع الدهشة: ثم أمريكا دي أحسن مننا في إيه؟ فيها إيه زيادة عن مصر؟ ممكن أعرف؟ يعنى عندهم التعليم أحسن يعنى؟ عندهم مستقبل؟ مش دول بتوع بوش يا عيال؟ مش دول اللي بيحاربوا الإرهاب عمال على بطال؟ وطايحين في العالم ضرب؟

- سبونج بوب: تلاقيه يا عم بهاء رايح للموزز الحلوة بتاعة أمريكا.

- بهاء: طب وإيه لازمة المشّورة.. ما عنده النت والشات يعمل اللي هو عايزه.. ما أنا بدخل الشات وبعاكس في البنات.. ولو هو عايز حته أمريكانى نتصرف ونشوف له طلبه.

- علاء في ضيق: بلاش هزار يا بهاء بيقولك أمريكا.. أمريكا يا عم!

- بهاء في عصبية: يا سيدى ما أنا عارف.. أومال أقول له إيه.. أقول له انفد بجلدك وإوعى ترجع تاني.. ولا أقول له روح أتعلم في بلد العلم.. ولا أقول له روح اعمل لنفسك مستقبل.. ولا أقول له عندك حق روح عيش عيشه البني أدمين.. يعنى اهبطه إزاي؟

- نظر سبونج بوب إلى مدير المدرسة: مجيتك عسل يا أستاذ محسن.. منور!

- الأستاذ أحمد في هدوء: خلاص قولتوا اللي في نفسكم؟ كل واحد ساب الأصل وبيدور على الصورة؟ كل واحد ساب نفسه واتعلق بغيره؟ ساب حياته وبيبص على حياة غيره؟ ركن أحلامه وبيحلم أحلام غيره؟

- مال سبونج بوب على بهاء: أنا ساعات مش بفهم حاجة من الجدع دا خالص! هو أيه أصل وصورة والكلام ده.. يعنى هو رايح يدرس تصوير؟

- التفت بهاء ينظر إلى سبونج بوب بمنتهى القرف: اخرس.. مش وقتك خالص!

- علاء: إحنا مش قصدنا كده يا أستاذ.. إحنا بس ما صدقنا لقينا حد قدر

يعرفنا على حقيقتنا.. قدر يعرف إن إحنا مش مجرد حيوانات.. مش بهايم زي ما أستاذ محسن بيقول.. أو متخلفين زي ما أستاذ إلهامي بيقول.. حد يعرف إن إحنا مظلومين مش فاشلين.. حد يعرف إن إحنا عايزين نتعلم بس مش لاقيين اللي يعلمنا.. حد يعرف إننا بني آدمين محتاجين نتكلم وحد يسمعنا.. حتى أبوى وأمى في البيت مش بيسمعونى.. دايما يقولوا أنت تسمع وتنفذ وبس.. طب اتكلم إمتى.. أنت خليتنا نتكلم ولما تمشى هنرجع نسكت تاني.. لكن ربنا يوفقك يا أستاذ أحمد.. إحنا نتمنى لك الخير.

– زياد منكسرا: ماكنش العشم يا أستاذ أحمد.

– الأستاذ أحمد: قول لي يا زياد أنت نفسك تطلع إيه؟

– زياد: مش عارف.

– الأستاذ أحمد: طب أنت يا وليد؟

– وليد: مش عارف.

– الأستاذ أحمد: طب أنت يا عمر؟

– عمر: مش عارف؟

– الأستاذ أحمد: طب أنت يا صالح؟

– صالح: مش عارف.

– الأستاذ أحمد: طب أنت يا بهاء؟

– بهاء: مش عارف.

- الأستاذ أحمد: طب أنت يا علاء؟

- علاء: مش عارف.

- الأستاذ أحمد: طب أنت يا سبونج بوب؟

- سبونج بوب: مش عارف.

- الأستاذ أحمد: طب أنت يا محمود؟

- محمود: مش عارف.

- الأستاذ أحمد: طب أنت يا إيهاب؟

- إيهاب: مش عارف.

- الأستاذ أحمد: طب أنت يا منتصر؟

- منتصر/ مش عارف.

- يئس الأستاذ أحمد، فلم يكمل بحثه عن أحد له طموح: يعنى إيه؟ ماحدش عارف هو عايز يطلع إيه؟ طب دخلتوا أدبي ليه؟

- سبونج بوب: عشان قالوا لنا أسهل.

- بهاء: أهو مواده تتفهم عن مواد العلمي.

- وليد: أهو غلاسه على أبوى عشان كان عايزنى أدخل علمي.

- محمود: عشان أدخل الجامعة.

- الأستاذ أحمد في سعادة: أيوه أخيرا.. طب عايز تدخل كلية إيه يا

محمود؟

– محمود: مش عارف.

– الأستاذ أحمد في أسى: رجعنا تاني لمش عارف.. طب حد عنده هدف في الحياة؟

ساد صمت في المكان ولا أحد يجيب.

– الأستاذ أحمد مصدومًا: معقولة ماحدش عنده هدف في الحياة حتى؟

– الأستاذ أحمد في صرامة: آن الأوان تعرفوا.. إنتوا مش محتاجين حد يتكلم معاكم دلوقتي.. إنتوا محتاجين تتكلموا مع نفسكم.. إنتوا محتاجين تحددوا هدفكم وتعرفوا إزاي توصلوا له.. ولو فضلتوا مش عارفين كل الكلام ده.. يبقى هتفضلوا محتاجين مدرس زراعة.

اللى عايز يبقى بني آدم يبقى لازم يعرف نفسه الأول واللي عايز يبقى بني آدم وحر يبقى لازم يعرف نفسه الأول

أعرف نفسك.. حدد هدفك.. ثق في نفسك.. اقتل فشلك.. ابن نجاحك..

ساعتها مش هتبقوا محتاجين مدرس الزراعة.. ساعتها الكل هيبقى زي مدرس الزراعة.

ظلت العيون زائغة بينما الأذن تسمع والعقل يفكر.. الكل يسأل من أنا.. ما الهدف.. كيف الطريق..!

– مال سبونج بوب على بهاء: أنا بردوا مش فاهم هو الأستاذ رايح يدرس

إيه في أمريكا؟

- بهاء في عصبية: أبوس إيدك يا سبونج بوب ماتشلينيش!

- سبونج بوب في ضيق: هو ماحدش عايز يفهمنى ليه؟

وقف مدير المدرسة فجأة، واتجه نحو الباب..

- مدير المدرسة: شكرا يا أستاذ أحمد.

خرج مدير المدرسة على عجل مما أسعد الجميع إلا الأستاذ أحمد الذي شعر بقوة بأن هناك أمرا ما..!

* * *

فور انتهاء الحصة، خرج الأستاذ أحمد من الفصل تاركا خلفه عقولا تفور كالماء المغلى.. زرع فيهم أملا وهو أمل النجاة من الفشل.. أمل أن يكونوا رجالا وليس أشباه رجال.

خطوات، ثم وجد أحد عمال المدرسة ينادى:

- العامل: يا أستاذ أحمد.. يا أستاذ أحمد.

- الأستاذ أحمد: أهلا يا عم صابر.. خير؟

- العامل: الأستاذ محسن مدير المدرسة عايزك.. عامل اجتماع مع كل المدرسين.

- الأستاذ أحمد بدهشة: دلوقتي!

- العامل: بسرعة يا أستاذ أحمد أحسن دا شكله غريب قوي.. عمري ما

شفته كدا خالص!

- نفخ الأستاذ أحمد في ضيق: ربنا يستر!

لحظات وأصبح الأستاذ أحمد بين المدرسين في انتظار وصول المدير.

- أبلة مها مدرسة الفيزياء: هو في إيه يا أستاذ أحمد.. ماكنش في اجتماع النهارده!

- الأستاذ أحمد: من الواضح إن الموضوع كبير.

- الأستاذ ثروت مدرس الأحياء: وبعدين بقى أنا عندي حصة بعد ساعة.. عايز الحق أكل لقمة قبل ما أدخل في المطحنة بتاعة كل يوم؟

- الأستاذ جميل مدرس التاريخ: طب هو الأستاذ محسن فين طيب؟

- الأستاذ أسامة، مدرس اللغة الفرنسية: قال لي هيطبع حاجة وييجى بسرعة!

- الأستاذ عبد الله مدرس اللغة العربية: يا خبر النهارده بفلوس بعد دقايق هيبقى ببلاش!

بالفعل أصبح الخبر الذي يبحثون عنه بين أيديهم بمجرد ظهور الأستاذ محسن.

- المدير: أهلا يا أساتذة.. مش هعطلكم كتير.. هو قرار إداري هيتوزع على الجميع والكل يمضى بالعلم.. يا ريت يا أستاذ عبد الله توزع القرار.. اللي عايز يعلق على القرار أنا ممكن أسمعكم للصبح للى عايز يعنى منكم وأنا عارف إنكم

واراكم مصالحكم.

مد الأستاذ محسن يده بالورق للأستاذ عبد الله، الذي ارتدى نظارته على عجل ليقرأ ما في الورقة قبل توزيعها.. قرأ القرار بالفعل، فأصابته الدهشة وعجز عن التوزيع.

– الأستاذ عبد الله مدرس اللغة العربية: إيه دا يا أستاذ محسن اللي في الورقة ده؟

– المدير بغضب: وزع الورق يا أستاذ عبد الله وبعدين ابقى اعترض!

بعد عدة دقائق وبعدما انتهى الكل من قراءة القرار أصبح شتان بين المؤيد والمعارض وشتان بين مذهول وآخر وفي الوقت الذي كان الذهول يعم معظمهم بسبب استنكارهم لما في القرار كان الذهول يصيب الأستاذ أحمد بسبب السعادة لما في القرار.. ففى الوقت الذي يشعرون جميعًا بأن أهم سلاح من أسلحتهم انتزع منهم كان الأستاذ أحمد قد بدأ يشعر بأن هناك أملا في التغيير.

– الأستاذ إلهامى مدرس اللغة الإنجليزية مرتبكا: يعنى إيه المدرس اللي هيشتم طالب هيتحول للشئون القانونية؟

– المدير: يعنى المدرس اللي هيشتم طالب هيتحول للشئون القانونية.. صعبة دي؟

– الأستاذ عبد الله مدرس اللغة العربية ينظر إلى الورقة بضيق: بس دا صعب قوي يا أستاذ محسن.

– المدير: لو تحب إن ابنك يتشتم في المدرسة ما تمضيش يا أستاذ عبدالله.. ولا تنابزوا بالألقاب يا أستاذ عبدالله.. لا تكن سبّابا ولا شتّاما يا أستاذ عبد الله.. ربنا كرم بني آدم مش هنيجى إحنا نشتمه ونقل من قيمته ونحقره.. عايز يتعلم يتعلم مش عايز يتعلم هو حر.. يبقى مش هنعرف نعلمه وكمان مش هنعرف نحسسه إنه إنسان محترم وله قيمة.

– الأستاذ ثروت مدرس الأحياء في دهشة: بس دا حضرتك أكتر واحد بتشتم يا أستاذ محسن!

– المدير: هتلاقينى أول واحد ماضي في الورقة.. اللي هيسمعنى بشتم حد.. يجرّسنى في المدرسة.

– الأستاذ جميل مدرس التاريخ: طب خليه يبقى لفت نظر في الأول يا أستاذ محسن.. بلاش الشئون القانونية على طول كدا.

– المدير: لو خليناها زي ما أنت عايز يبقى معملناش حاجة يا أستاذ جميل.

خيم الصمت على المكان. بينما ظل المدير يجول ببصره يبحث عمن له اعتراض، ثم أفزع الجميع مرة أخرى.

– المدير: القرار هيتعلق في المدرسة عشان كل العيال لا مؤاخذة قصدى الطلبة يعرفوه.. عشان يبقى الكل عارف اللي ليه واللي عليه.

ظهرت همهمة، وكلمات غير واضحة تعبر عن استياء المدرسين قابلها

مدير المدرسة بصرامة.

– المدير: اللي عنده اعتراض يتفضل يقوله من غير الكلام والودودة.. أنا مابقولش إن الحكاية سهلة.. أنا عارف إن الموضوع صعب.. لكن لو إحنا مابقناش قدوة ونقدر على اللي غيرنا مايقدرش عليه يبقى ما نستحقش يتقال علينا مدرسين.. أنا آسف لو كنت عطلتكم شوية.. تقدروا تتفضلوا تمشوا بعد ما تمضوا على القرار.. وإجازة سعيدة!

أنصرف جميع المدرسين بوجه عبوس بعد أن وقعوا على القرار ولم يتبق سوى الأستاذ أحمد الذي اتجه حيث يجلس مدير المدرسة.

– مد الأستاذ أحمد يده ليحيى المدير: شكرا يا فندم على اللي عملته.

– مد المدير يده هو الآخر: شكرًا ليك أنت يا أستاذ أحمد.

– الأستاذ أحمد: أنا سعيد إن حضرتك تجاوبت بالسرعة دي.

– المدير: المشكلة يا أستاذ أحمد إنى هنحت في الصخر عشان أقدر أغير.. لكن أنا هعمل اللي ربنا يقدرنى عليه

– الأستاذ أحمد مبتسمًا: أنا واثق من قدرة حضرتك على التغيير.. عن إذن حضرتك.

– المدير في ضيق: إنت رايح فين بس.. إيه حكاية أمريكا ده.. الموضوع بجد ولا إيه؟

– الأستاذ أحمد مبتسما: فعلا.. وحضرتك هتستلم استقالتي قبل أسبوعين.

– المدير: لا حول ولا قوة إلا بالله.. دول هتجيلهم صدمة.

– الأستاذ أحمد: ربنا يعيني أعرف أتعامل معاهم وأخليهم يتقبلوا والبركة في حضرتك.

– المدير مستسلما: بالتوفيق يا أستاذ أحمد.

انصرف الأستاذ أحمد وهو مشغول البال بكيف ستكون الأيام القادمة؟ وهل سينجح؟ أم سيرحل ويترك من خلفه الفشل؟

° ° °

انتظر الأستاذ أحمد مرور الأسبوع بفارغ الصبر حتى يلتقي بطلابه من جديد حيث كان الأمل يراوده في حدوث تغيير وأن تكون العقول قد بدأت في العمل بشكل أفضل.. بينما الشباب وعلى الرغم من مرارة الخبر الذي سقط على رؤوسهم برحيل مدرس الزراعة، إلا أن قرار مدير المدرسة بخصوص سباب المدرسين للطلاب كان علامة فارقة في مسيرتهم التعليمية.

دخل الأستاذ أحمد الفصل برائحته الجميلة وعلى وجهه ابتسامة.. حيا الجميع وبعدها أطلق التهنئة.

– الأستاذ أحمد: مبروك على القرار.

– زياد في دهشة: هو إيه اللي حصل صحيح؟

– الأستاذ أحمد: اللي حصل أنكم أجبرتوهم على أنهم يتغيروا.

– عمر: إحنا؟

- الأستاذ أحمد: مش علاء قام وقال إنكم مش مجرد حيوانات.. مش بهايم زي ما أستاذ محسن بيقول.. أو متخلفين زي ما أستاذ إلهامي بيقول.. مش علاء قال إنكم بني آدمين محتاجين تتكلموا وحد يسمعكم.. وإنكم مظلومين مش فاشلين.. مدير المدرسة سمع كلامكم وفهمكم وخد القرار.

- بهاء في دهشة: يعني هو كان مستني كلامنا عشان يحترمنا؟

- الأستاذ أحمد: عايزكم تفهموا إن لو أنتوا مظلومين هما كمان مظلومين ولما الظلم يبقى طايل الكل بنبقى كلنا بنلف في دايرة.. أنا أظلمكم وأنت تظلمني ونفضل على كدا.. ساعات كلمة بتصحى أو ساعات كلمة بتشيل غشاوة.. أوعوا تستقلوا بالكلمة.

- سبونج بوب: كلمة إيه؟

- نظر بهاء إلى سبونج بوب بغضب: كلمة تانية منك مش هستحملك.. مش يومك أنت خالص.. الراجل كلها كام يوم ويطفش.. مش هنلحق نعالجك من اللي أنت فيه.. ركز أبوس ودنك دي!

- التفت سبونج بوب يحدث زياد في تعجب: أيوه يعني الواد علاء قال حاجة وأنا غايب؟

- زياد بغضب: سبونج بوب.. مش ناقصاك.

- ضحك الأستاذ أحمد بقوة: هتوحشني يا سبونج بوب؟

- سبونج بوب في حيرة: ليه هو حضرتك مسافر ولا إيه؟

– وليد وهو يضحك: ما تاخد سبونج بوب معاك أمريكا هيفرحوا بيه قوي.. ويبقى أمريكا خدت على قد نيتها!

– اقترب الأستاذ أحمد من سبونج بوب: ها فكرت في نفسك وعرفت أنت عايز إيه؟

– سبونج بوب بثقة: أنا عايز أطلع رسام.. أنا قنبلة في الرسم.. بس في البيت عندي عمالين يكسروا دماغي ويقولوا لي مش هتلاقى تاكل وهتطلع ولا حاجه.. بس فعلا أنا موهوب في الرسم.

– الأستاذ أحمد: ممتاز.. يبقى أنت تركز في اللي أنت عايزه سواء دخلت الجامعة أو لا.. ركز في هوايتك وشوف أنت ناقصك إيه واشتغل عليه.. وعلى فكرة طالما بتحب الرسم والكرتون يبقى عندك فرصة في الجرافيكس وشغل الأفلام الكرتون.. أنت مستقبلك واضح بس هيحتاج تركيز.

– بهاء ساخرًا: طالما هيحتاج تركيز يبقى سبونج بوب فشل من قبل ما يبدأ.

– الأستاذ أحمد: غلط يا بهاء.. لأن حتى الإنسان لو مش بيركز كويس بييجى عند الحاجة اللي بيحبها ويركز فيها جدًا وتلاقيه مبدع.. إنتوا نسيتوا فيليبس ولا إيه.. نسيتوا المكنسة والمكوة الفيليبس؟

انفجر الجميع في الضحك بصوت قوي

– علاء في قلق: مابلاش الضحك ده عشان هيجيب لنا المدير يحضر معانا.

- عمر: مش مشكلة أهو بنطلع بمصلحة بعد ما يمشي

- توقف الأستاذ أحمد عن الضحك: عرفتوا بقى إنكم تقدروا تغيروا وإن ليكم تأثير.. عرفتوا إنكم ممكن تغيروا الظلم وتحطوه على جنب وتكملوا مشواركم.

- بهاء ساخرا: كفاية يا أستاذ عشان سبونج بوب دلوقتي هيقول لنا مشوار إيه هو أنتوا رايحين فين وسايبني لوحدى.

انفجر الجميع في الضحك مرة ثانية

- الأستاذ أحمد وهو يتفحص سبونج بوب: سبونج بوب مش فاضى لحد منكم دلوقتي.. مش شايفينه عامل إزاي من ساعة ما قلت جرافيكس وكرتون وأفلام.. ربنا يستر عليه ويكمل السنة.. شكله عرف الطريق.. عقبالكم أنتوا كمان لما تعرفوا الطريق.

- صالح: مش هكدب على حضرتك وأقولك عرفت الطريق..لكن فعلا بفكر عشان أعرفه وأمشي فيه.

- الأستاذ أحمد: برافوا عليك يا صالح.. طب وإنتوا كلكوا زي صالح؟

أجاب الجميع بالموافقة، إما بإشارة أو كلمة أو بهز رأس.. مما أسعد الأستاذ الذي اتجه في سعادة وكتب لهم بريده الإلكتروني.

- الأستاذ أحمد: ده الإميل بتاعي.. هكون في منتهى السعادة لو عرفت أخباركم.

- بهاء: على العموم مش هنبعت لحضرتك حاجة في الأول لغاية ما نتأكد.

- الأستاذ أحمد في فضول: تتأكد من إيه؟

- بهاء ساخرًا: أحسن يقبضوا عليك ويقولوا إرهابى.. إحنا مش ناقصين!

عاد الجميع مرة أخرى لينفجروا في الضحك غير عابئين بقوة الصوت، فقد كانوا يشعرون بأنها لحظات لن تعود مرة أخرى وقد تكون أجمل ذكرى!

* * *

قبل أن ياتي الخميس التالى أو الخميس الأخير انتشر خبر بأن الأستاذ أحمد لن يتمكن من الحضور يوم الخميس مما أثار فزع الجميع.. على الفور أرسلوا إليه رسالة عبر البريد الإكترونى فأكد لهم حضوره على الرغم من سفره صباح الجمعة.

لم يخلف مدرس الزراعة وعده وكان بالفصل في الميعاد يقف أمام شباب على وشك البكاء.. تماسك جيدًا ورسم على وجهه ابتسامة.. لحظات ثم طرق أحدهم باب الفصل.. فتح ليجده مدير المدرسة.

- المدير: ممكن أحضر آخر حصة زراعة؟

- نظر الأستاذ أحمد إليهم في رجاء: ممكن تقبلوا الضيف اللي جاى؟

سارت همهمة رافضة للطلب تعبر عن استياء بالغ.

- وليد يتحدث بصوت خافت: هو جاي يضيع علينا اللحظات الأخيرة.. أما راجل نكدى صحيح.

- بهاء بصوت خافت يحدث وليد: دا هيذلنا بقى عشان القرار اللي عمله.

- زياد: معلش عشان خاطر الأستاذ.. بس المهم مش عايزينه يطول.

أبدوا موافقة أشبه بالرفض ولكنها كانت كافية للمدير حتى يقترب من سبونج بوب.

- المدير: اتأخر.

- سبونج بوب: اشمعنى أنا يعنى اللي كل مرة تقعد جنبه؟

- المدير متهكما: بحبك يا ظريف.

- سبونج بوب غاضبا: أنت بتشتمنى يا أستاذ محسن.. طب أنا هبلغ عنك الشئون القانونية وكلهم شاهدين.

- المدير: هي ظريف بقت شتيمة كمان؟

- سبونج بوب: لا بس أنت بتتريق علي وأنا لا أسمح أبدا إنك تتريق علي.- المدير ساخرا: خلاص حقك على أنت مش ظريف.. ارتحت بقى؟

- سبونج بوب: ماشي.. هفوتها المرة دي بس عشان خاطر الأستاذ.

أنهى الأستاذ أحمد هذا الجدال وفتح حقيبة صغيرة مخرجًا منها ورقة مطوية.

- الأستاذ أحمد وهو يشير بالورقة: دي الاستقالة اللي أنا قدمتها للمدير.. أحب إنكم تسمعوها لأن فيها شيئا يخصكم.

فتح الورقة ونظر إلى الجميع ليتلوا عليهم نص الاستقالة.

الأستاذ أحمد /

السيد مدير المدرسة

تحية طيبة وبعد

أتقدم إليكم باستقالتي التي لا بُدَّ منها نظرا لسفرى إلى الخارج في رحلة دراسية لأنال نصيبا من العلم.. أود أن أتقدم بالشكر لهذا الصرح التعليمى العظيم الذي تتشرف سيادتكم بإدارته وإلى شخصكم النبيل الذي لا يكل ولا يمل في الأخذ بكل الطرق الممكنة ليعين جيلا من الشباب حتى يكونوا رجالا يفخر بهم الوطن.

سيدى.. وأنا على وشك الرحيل عن الوطن الذي ليس لي وطن سواه وأهله الذي أنا منهم وأحمل همهم وحلمهم وأكرس حياتي من أجل أمانيهم.. لا أجد مفرًا من أن أوصيكم بالآتى:

- بين جدران هذه المدرسة وبين طيات أعوام مقبلة تقود أنت فيها هذا الصرح لا تنس أنك بصدد صنع رجال أو أشباه رجال وأنت من تختار.

- في صفحة من صفحات تاريخ الوطن بيدك أنت إما أن تكتب سطورا ناصعة بالشرف والعمل أو سطورا يود الوطن لو ينساها وأنت من تختار.

- سيدى.. إن عجزت عن أن تصنع جيلا متعلما فلا تيأس ولا تفرط في أن تصنع جيلا من الرجال.

كما أود أن أقبّل رأس كل طالب على ما اقترفته أيدينا في حقه من إهمال

ولكن وصيتى لهم كالآتى:

- ستظل الحياة تسير إلى الأمام حتى يأذن الله وسيظل هذا الوطن عزيزا بنا أو من دوننا..

- الوطن ليس علما أو نشيدا.. الوطن يقبع بداخلنا فإن لم يوجد بداخلنا فلا نفع لعلم أو نشيد.

- أبحث عن نفسك وحينما تجدها ستجد الحياة والوطن.

لعل الله يقدر لنا لقاء نتذكر فيه ما مضى فنسعد بما من الله علينا..

خالص التقدير والاحترام

رفع الأستاذ أحمد رأسه عن الورقة ينظر فلم يجد سوى السحاب من حوله وهو يجلس بداخل الطائرة التي تشق عنان السماء متجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. شعر بالشجن ثم تحول الشجن إلى ضحكة كبيرة عندما تذكر سبونج بوب لحظة انتهائه من قراءة الاستقالة، حينما صرخ يستغيث والدموع على وجهه: "هو أنت مسافر ولا إيه؟".

لحظات وتنبه للركاب من حوله وهم ينظرون إليه في دهشة مما أشعره بالإحراج.. توقف عن الضحك ثم نظر إلى الورقة ليعاود القراءة مرات ومرات !

* * *

أجريوس

" حمل أجريوس رسالة من الملك تقول: "كفى بالموت زائرا"، ولكنه أجريوس ومثل أجريوس لا يأتي بخير أبدا.. "

فوق الهضبة الكبيرة وبعد أن انتهى المطر من مهمته وأصبحت الأرض موحلة، أتي من بعيد جندي يهرول ينتزع قدميه بصعوبة من الوحل يقصد خيمة قائد الجيش، توقف على الباب يلتقط أنفاسه، طأطأ رأسه احترما لمن بالداخل، وراح ينادى باحترام.

– الجندي: سيدي القائد أجريوس.. سيدي القائد أجريوس.

خرج أجريوس من خيمته فزعا، فلم يكن الجيش قد توقف للراحة والمبيت إلا منذ قليل، فلعل الأمر خطير.

– أجريوس: ما الأمر؟

– الجندي: الملك على التل ويريدك على الفور.

– أجريوس مذهولا: على التل؟

– الجندي: نعم سيدي.

– أجريوس: ألا يخشى على نفسه؟

– الجندي: أنت تعرف الملك..إن أراد شيئًا بقوة عجز النصح.

– أجريوس وهو يستدير: اذهب وسأتبعك بعد لحظات.

– الجندي: عفوا سيدي، أمر الملك حين رؤيتك أن تأتي كما أنت وعلى الفور.

– التفت أجريوس مرة أخرى للجندي متعجبًا: اذهب أيها الجندي ولتخبر الملك أن القائد أجريوس يعد نفسه وسيأتي بعد قليل.

- الجندي مرتبكا: سيدي.. أتريد أن تطير عنقي أم عنقك في الأمر؟

- أجريوس مندهشا متحديا الجندي: حسنًا سوف آتى معك الآن، فإن لم يكن الأمر كما تقول فستكون عنقك أنت.

ركب الجندي والقائد كلا على فرسه ليصعدا التل، وبمجرد الوصول ظهر لهم الملك يقف وحيدا بعيدًا ينظر من فوق التل إلى الأرض الشاسعة التي ستكون في صباح الغد أرض معركة ومن خلفها مدينة تحميها الأسوار العالية، تقف على استعداد للقتال هي الأخرى.

سمع الملك صوت أقدام القادمين، لكنه لم يتحرك وظل ينظر إلى ما ينظر إليه.

- الجندي: سيدي الملك.. القائد أجريوس.

لم يلتفت الملك إليهم وظل على حالة.

- الملك: هل أتى كما هو أم أضاع الوقت؟

- الجندي وهو يتنفس الصعداء: كما هو سيدي.

استدار الملك ينظر إلى أجريوس ليدرك من هيئة أنه لم يضع الوقت بالفعل، ثم نظر بعدها إلى الجندي مبتسما.

- الملك: لقد نجوت!

انحنى الجندي للملك الذي أشار إليه، لينصرف ففعل.

نظر الملك إلى أجريوس، فخر الأخير راكعًا للملك.

– أجريوس: خادمك المطيع أجريوس.

نظر الملك إلى أجريوس نظرة ذات مغزى ولم يأذن لأجريوس برفع رأسه.

– الملك في أسى وهو ينظر لهذا المنحنى: كم أنا نادم على إتيانك قائدا على هؤلاء الأبرياء، لقد نصحني البعض بالزهد فيك لكنني لم أسمع، ويا للعجب لست أنا من يدفع الثمن، بل هؤلاء المساكين حولي الذين ينتظرون الموت في الصباح.

تعجب أجريوس من كلام الملك ولكنه لم يكن ليرفع رأسه أو ليتكلم دون أن يأذن له الملك، فلم يجد مفرا في أن يظل على حاله.

– الملك بعد لحظات: قف وادنُ مني.

وقف أجريوس، ليدنو من الملك ولكن لم يكن لينظر في عيني الملك مباشرة، فنظر للأرض.

– الملك: انظر إلىّ أجريوس.

– نظر أجريوس إلى عيني الملك وهو يردد: سمعًا وطاعة.

– الملك: هل ترى سواد في رأسي؟

– أجريوس مرتبكًا: لا سيدي الملك.

– الملك: لعلك تراه في لحيتي؟

– أجريوس وقد زاد تعجبه: لا سيدي.

– الملك: هل ترى كيف خط الدهر على وجهي وعلى جسدي؟

- احتار أجريوس لا يدرى كيف يجب: عفوا سيدي الملك، نعم أرى.

- الملك: إذن أنت ترى الشيب.. فهل تعلمت من هذا الشيب شيئًا؟

لم يدرى أجريوس ماذا يريد الملك بالضبط، فحنى رأسه علامة على الطاعة.

- الملك وهو يقترب من الحافة: فلتقترب من الحافة حتى ترى ما أريدك أن تراه.

سار أجريوس خلف الملك حتى صار الاثنان يقفان بعيدًا عند الحافة ينظران إلى الأرض الواسعة على ضوء ما قبل الغروب بقليل مثل صقرين يحومان حول ضحيتهما.

- الملك: قف بجواري أجريوس.

- أجريوس مرتبكا: سيدي الملك لم تغرب الشمس بعد وأخشى عليك من سهم غادر من بعيد فنحن صيد سهل الآن لمن يريد عنقنا.

- الملك: عنقى أم عنقك؟

- أجريوس وقد ازداد ارتباكه: عنقي دون عنقك سيدي الملك.

- الملك وهو ينظر إلى أجريوس: كم أنت مغرور أجريوس، أعلم هذا.

- أجريوس وقد تملكه القلق: خادمك المطيع.

- الملك وهو ينظر إلى الأرض بعيدًا: أصدقني القول أجريوس.

- أجريوس: سمعا وطاعة.

- أغمض الملك عينيه ورفع رأسه يشم الهواء: أتشم رائحة الموت؟

– فزع أجريوس من السؤال: الموت؟

– الملك: نعم، الموت؟

– أجريوس في صلف: أنا لا أخشى الموت.

– الملك: تراه كم يحصد غدًا عندما تتقارع السيوف؟

– أجريوس وهو لا يزال في غروره: الكثير منهم والقليل منا.

– الملك: فكم تظن الكثير والقليل؟

– أجريوس: آلاف منهم ومئات منا.

– الملك وهو يهز رأسه: هل للمئات زوجات؟

– أجريوس: نعم سيدي.

– الملك: هل للمئات أطفال؟

– أجريوس: نعم سيدي.

– الملك: هل للمئات آباء وأمهات عجائز؟

– أجريوس: ربما سيدي.

انحنى الملك يلتقط حفنة من تراب الأرض بيده ثم قربها من أنفه يشتمها.

– الملك في أسى: أشم في هذا التراب رائحة الدم الذي سال على هذه الأرض مرارا وتكرارا.

– أجريوس في كبرياء: إن هذه الحرب مقدسة، هكذا قال الكهنة.

– أغمض الملك عينيه وهو يهز رأسه: الكهنة !

لم ينطق أجريوس ولكن انتابه القلق عندما أخرج الملك تنهيدة كالعاصفة تحمل على ما يبدو عبئا جاثما على صدره.

الملك: كم أضعت من أجيال قربانا للكهنة وخرافتهم؟

– أجريوس متعجبا: سيدي.. إن الكهنة في خدمة الآلهة !

– الملك بتهكم: أي عاقل هذا الذي يصدق تلك الخرافات؟

– أجريوس: لن ترضى عنا الآلهة ولا الكهنة إن لم نطعهم.

– الملك في إصرار: نعم.. ولن ترضى.. أبدا !

مد الملك بصره إلى حيث أسوار المدينة ينظر في هدوء.. لم يشأ أجريوس أن يقاطعه ولم يكن ليجرؤ.. !

° ° °

هناك حيث أسوار المدينة التي تنتظر قدوم الغزاة.. الغزاة الذين لا يملوا من أن يأتوا كل بضع سنين ليضحوا بأرواح جنودهم تحت أسوار المدينة، ثم يعودون من حيث أتوا، وقف حارس البرج ينظر في تعجب عبر منظاره إلى الملك وأجريوس غير مصدق ما يرى، لحظات ثم أرسل في طلب قائد الجيش على عجل فلبى القائد طلبه على الفور ليجده بعد برهة يقف إلى جواره.

– قائد الجيش: ما الأمر؟

– الحارس مرتبكا: سيدي، هنالك أمر غريب.. فهناك رجل إن لم أكن

مخطئا، فهو الملك إدوارد ومعه رجل لا أعلم من هو يقفان فوق التل بلا حراس يتحدثان والأمر في غاية الريبة؟

- قائد الجيش: دعني أرَى.

أمسك قائد الجيش بالمنظار فبدت على وجهه الدهشة.

- قائد الجيش: عجبا! إنه الملك إدوارد بالفعل ومعه المتغطرس أجريوس.

- الحارس مندهشا: أجريوس قائد الجيش! ياللعجب، كم هو صيد سهل يا سيدي.. أمرنا لنطيح بعنقهما بسهام لا تخطئ أبدا.

- قائد الجيش في تعجب: لم أر مثل ذلك من قبل، الأمر في غاية الغرابة.

- الحارس في شغف: دعنا لا نفوّت الفرصة فإنها غنيمة ليس بعدها غنيمة.. رأس الملك وقائد جيشه؟

- قائد الجيش في غضب: أي فرصة تتكلم عنها وأي غنيمة؟ إن أطلق سهم واحد من أسوار المدينة سأطيح بعنقك على الفور!

- الحارس مرتبكا: سمعا وطاعة سيدي.

- قائد الجيش في صرامة: سأذهب للملك لأعرض عليه الأمر وعليك أن تراقبهما فقط حتى أعود إليك.

مضى من الوقت الكثير لم يرفع الحارس عينيه عنهما حتى شعر بيد تحط على كتفيه، التفت منزعجا ليرى أمرا في غاية الغرابة، فقد كان الملك إريك بنفسه يقف بجواره مع قائد الجيش، تجاوز المفاجأة وسقط على الأرض تحية للملك.

- الحارس: سيدي الملك.

- الملك إريك: قف أيها الجندي فربما غدا يكون رأس من تنحني له معلقا على أحد أبواب المدينة.

- الحارس في فزع: لن يكون أبدا سيدي الملك.

- الملك إريك متجاوزا حماسة الجندي: دعني أرَى ما الأمر.

شاهد الملك ما شاهده الحارس وقائده من قبل، فظهر على وجهه التعجب هو الآخر.

- الملك إريك مندهشا: ما الأمر إدوارد؟ ماذا تخبئ لنا؟ سمعنا عنك من قبل خيرا ولكن لم نر منك سوى كل شر.

- قائد الجيش: إنني في حيرة سيدي الملك؟

اقترب الملك إريك حتى لامس أحجار السور ينظر بشغف إلى أعلى التل.

- الملك إريك وهو يهز رأسه: إما أن تكون نهاية هذه الأسوار التي نحن عليها أو يكون الأمر مثل الخيال. فلنراقب ولننتظر.

- قائد الجيش: سمعا وطاعة.

انصرف الملك إريك وقائد الجيش وتركا الحارس في حيرة شديدة بعد إهدار تلك الغنيمة التي ليس بعدها غنيمة.. رأس الملك إدوارد وقائد جيشه أجريوس..!

* * *

طال انتظار أجريوس ومع الانتظار غربت الشمس وتركت لهم الظلام بينما لا يزال الملك لا يتحدث، فقط ينظر إلى المدينة ومشاعل النار التي فوق أسوارها.. فقط يفكر ولا أحد يعلم فيما يفكر.. ولكن يبدو أن الأمر عظيم..!

– نطق الملك أخيرا: فلنرَ!!

– لم تكن الكلمة كافية لأجريوس بعد طول انتظار: ما الأمر سيدي؟

– الملك وهو يستدير عائدا: ستعلم كل شيء في خيمتي.

في الخيمة حيث اجتمع الملك مع أجريوس ولفيف من القادة الآخرين، أمر الملك بإحضار الكاتب من أجل رسالة أدرك الكل أنها رسالة تهديد ووعيد لمن خلف أسوار المدينة.

– نظر الملك إلى الكاتب طويلاً ثم قال: تعودت أن تكتب تهديدا ووعيدا؟ فهل بك طاقة لتكتب عكس ذلك؟

– الكاتب في هدوء: أكتب ما يمليه عليّ الملك.. مهما كان!

– الملك: مهما كان؟

– الكاتب في هدوء: إن الكلمة ستصيب بلا شك.. إما بخير أو بشر.

– الملك متعجبا: من علمك هذا؟

– الكاتب: تعلمت مما قلته للناس ومما قاله الناس لي.

– الملك: أرى فيك حكمة!

– الكاتب: كاتبك سيدي أقل من أن يكون حكيما!

ظل الملك ينظر إليه في تعجب، ثم التفت إلى الحاضرين الذين يقتلهم الفضول.

- الملك بعد أن أخرج من صدره تنهيدة قوية: لن أنتظر كل جيل جديد حتى آتى إلى تلك المدينة لأقدمه قربانا.. أرى الأمر على غير العادة.. أرى الموتى من حولي ينظرون ويسألون لماذا.. لماذا يضيع الجند ومن خلفهم من يعولون.. أشم رائحة الموت في المكان.. لم أجد أبدا مثل هذا الأمر من قبل.. لعلها أرواح المساكين تستوقفني حتى لا أرسل لهم المزيد..

صمت الملك حتى كاد يطيح بأعصاب قادته الملهوفين والجميع في انتظار سماع قول عظيم من الملك.

- الملك وهو يرفع رأسه إلى الأعلى في هدوء: لن أقتل جنودي غدا ولن أقدمهم قربانًا تحت أسوار هذه المدينة من أجل الكهنة أو آلهتهم.

ظهرت الحيرة على الجميع ولكن لم يجرؤ أحد ليسأل عن معنى هذا الكلام من الملك الذي صمت هو الآخر قليلًا، ثم عاد للحديث.

- الملك: أشيروا عليّ؟

- أجريوس في غضب: لا أفهم بالضبط ما الأمر حتى أشير عليك سيدي الملك.

- نظر الملك إلى الآخرين سائلا: هل أدرك أحد منكم ما أعنى؟

ظهرت الخشية على الجميع من الخوض في الحوار إما خشية على رقابهم

من الملك أو خشية أن ينالهم غضب القائد الأكبر أجريوس إن تحدثوا بما لا يرضيه.

لكن فجأة علا صوت في المكان، تلفت الجميع يبحثون عن صاحب الصوت فلم يصدق أحد منهم أن صاحب هذا الصوت قد تجرأ وتحدث في حضرة الملك بل وفي حضرتهم.. فقد كان صاحب الصوت أصغر القادة سنا بل وأصغرهم مقامًا.. إنه ديفيز..!

- ديفيز في جراءة: سيدي الملك.. اسمح لي بأن أتكلم.

رمقه أجريوس بنظرة علم ديفيز مغزاها على الفور، فقد كانت نظرة تعنى فلتنتظر الانتقام.. لم يعبأ ديفيز وظل مبتسما مما أثار فضول الملك.

- الملك بفضول: فلتقترب أيها الفتى.

- اقترب ديفيز من الملك: سيدي الملك.. خادمك المخلص ديفيز.

- الملك في دهشة: أنت صغير السن.

- ديفيز منحنيا: أخدم الملك ومهارتى هي ما أتت بي إلى تلك الخيمة.

- الملك معرضا بوجهه عن ديفيز: لكني لست بحاجة إلى مهارتك في القتال.. فاليوم نتوقف عن القتل.

- الفتى ديفيز: أعمل عقلي قبل قوتى لذا أصيب دائمًا.

- الملك بعد أن فرغ صبره: ماذا تريد؟

- الفتى ديفيز في ثقة: أنت من تريد سيدي الملك!

- الملك مندهشا: أنا؟

- الفتى ديفيز وهو يقترب خطوات نحو الملك: ألم تبحث عن أحد قد وعى ما قلت؟

- الملك مندهشا: وهل وعيت؟

- الفتى ديفيز: نعم سيدي.

- الملك مستسلما: فلنتحدث إذن.

- ديفيز وهو ينظر إلى عيني الملك: أنت تبحث عمن يشير عليك كيف تحمى الجند من ظلم الكهنة.. من حرب كأنها أصبحت عادة يجب أن نقوم بها كل بضع سنين.. نأتى هنا لنريق دماءهم ويريقوا دماءنا.. ثم نعود من أجل إكليل يوضع فوق رأسك ورأس القائد.. آن الأوان لكي نضع حدًا لهذا وكم أنا ممتن كونك أدركت الصواب اليوم، فأقدم عليه ولا تتراجع.. فما أسوأ أن نموت في حرب بلا هدف.

- تسمرت عينا الملك على ديفيز: كم عمرك أيها الصغير؟

- ديفيز: أكاد أكمل عامي الرابع والعشرين.

نظر الملك إلى الحاضرين، وهو غير مكترث بأجريوس، ثم أشار إلى ديفيز ليقترب أكثر.

- الملك في شغف: هل تدور في رأسك فكرة؟

- ديفيز: إننى أرى المشكلة والحلول لها كثيرة.

– الملك بعد أن شعر بأنه وجد ضالته: ما المشكلة إذن؟

– ديفيز: ليست تلك المدينة هي المشكلة.. بل إن المشكلة في مدينتنا نحن حين نعود.

– أبتسم الملك لديفيز معجبًا: أصبت.

– نطق أجريوس في غضب: ما زلت لا أفهم الأمر.

– الملك غير عابئ بأجريوس: أقترح على ديفيز.

– ديفيز بعد لحظات صمت: نرسل نبدى احترامنا لمن خلف أسوار تلك المدينة، فليس بيننا ما يستدعى كل هذا القتل ثم نعمل بيننا السلام فلا حاجة لنا في حرب بلا هدف ولا حاجة لهم في حرب من مغير.. هم قوم يدافعون عن مدينتهم.. يدافعون عن أرضهم.. فإن مت دون أرضك.. فنعم الناس أنت.

– انفجر أجريوس: ماذا تقول؟ نعمل بيننا وبينهم سلام؟ نرجع خائبين؟ هم نعم الناس؟

– ديفيز ضاحكا في تعجب: فلتقل لي أنت إذن.. لماذا نخوض هذه الحرب؟ بل قل لي.. من أكرم ممن يدافع عن أرضه وعرضه؟

– أجريوس بغضب: أنت مجرد قائد صغير لا تعلم أي شيء.. سينتشر الخبر بين الأمم أننا انسحبنا هربا.. أتريد هذا العار لنا؟

– ديفيز في إصرار: لا أريد هذا العار.. لكن من أقدم على حرب بلا هدف مثل هذه، فعليه إنهاءها.

- أجريوس يريد توريط ديفيز: من بدأ هذه الحرب أيها الصغير؟

نظر ديفيز إلى الملك نظرة ذات مغزى ولم يتردد في أن يجيب بعدها وبقوة.

- ديفيز: الملك.

- أجريوس متهكمًا: وتريدنا أن نرجع الآن بعد أن وصلنا أمام الأسوار لنصبح أضحوكة كل الأمم.

- ديفيز بإصرار: لا أريد أن أرجع سوى بالنصر الذي لم تستطع أنت أن تحرزه مرات ومرات.

- أجريوس في تعجب: وكيف هذا أيها المجنون وأنت تريدنا أن نرحل؟

- ديفيز بكل فخر: النصر هو أن أعود بهؤلاء الجند سالمين حاملا سلاما مع من خلف هذه الأسوار ووعد منا ألا نعود غزاة مرة أخرى نحارب من يدافعون عن أرضهم وعرضهم.

- أجريوس وهو يكاد يجن جنونه: وأين النصر أيها التافه؟

- ديفيز وهو ينظر إلى أحد الجند يقف بعيدًا: يمكنك أن تسأل الجند عنه حينما يعودون أو تسأل أطفالهم.

- أجريوس بعد أن جن جنونه: فلتخرج من هنا قبل أن أطيح برأسك.

ضحك الملك بصوت مجلجل مما أرعب الحضور، فهذه الضحكة تحديدا من الملك إدوارد تعنى أن ما سياتي بعدها هو الشر بل كل الشر.

- الملك وملامح وجهه تتغير: أنت الملك إذن أجريوس؟ أنت من تأمر هنا؟

– أجريوس مرتبكا: عفوا سيدي فقد جن جنون هذا الشاب.

– الملك ينظر بغضب لأجريوس: فلتخرس أجريوس ولا تتحدث إلا حينما أطلب منك.

ذهل أجريوس من حدة الملك عليه بهذه الطريقة.

– أجريوس مجبرا: سمعا وطاعة.

– صرخ الملك في الحضور وهو يلوح بيده: أريد فكرة، إن الأمر واضح وبيّن ولكن كيف السبيل؟

– تشجع الكاتب ليتحدث: سيدي الملك.. أتسمح لي بأن أعرض رأيى؟

– الملك في لهفة: فلتتحدث.

– الكاتب وهو يقترب من الملك: نرسل إليهم رسالة سلام نحفظ بها ماء وجهنا ودمائنا.. إن قبلوا السلام نعقد معاهدة بأن لا يتعرض أحدًا لنا أو ممتلكاتنا أو طرق تجارتنا في البر أو البحر ثم ننهى هذه الحرب المقيتة.

الملك بنظرة ذات مغزى للكاتب: وإن رفضوا وظنوا أنه خوف، نرجع وهم يظنون هذا الظن؟

– الكاتب في هدوء: سيدي الملك.. حينما تزهد في إدراك الحق فلا تحزن إن طرق الشر بابك من جديد.

– الملك في تعجب: ماذا تعنى؟

– الكاتب: نحاول أن ندرك الحق ولا نستبق النتائج، فإن استبقنا النتائج

فلن يكون هناك مفر سوى الشر أي الحرب.

- ديفيز في سعادة مما سمع: نعم الرأى.

سكت الجميع في انتظار الملك الذي طأطأ رأسه يفكر ثم رفعها ينظر إلى أجريوس الذي يكاد ينفجر من الغيظ.

- الملك: من نرسل أجريوس؟

- أجريوس في غضب وتسرع: أنا.

- الملك مندهشا: أنت؟

- أجريوس: نعم.. حتى يعلموا أننا لسنا بخائفين.

صمت الملك يفكر بينما طأطأ الكاتب رأسه ومثله فعل ديفيز منتظرين القول الفصل من الملك.

- هز الملك رأسه وهو يشير إلى أجريوس: إذن مع أول ضوء تذهب برسالة إليهم.

- أجريوس فرحا: سمعا وطاعة.

- أشار الملك إلى الكاتب: اكتب رسالتي عندك.

اعتدل الكاتب ليبدأ في تلقى كلمات الرسالة من الملك.

الملك / من إدوارد الملك إلى إريك الملك.

جئنا مع جيش جرار فشممت رائحة الدم في كل مكان حتى إنني لأرى الموتى حولى يصدون عن الحرب صدودا ويرفضون موتى الغد.

لا أريد الموت لأجيال جديدة هل تريد؟

لا أريد الحزن لأجيال جديدة هل تريد؟

لا أريد الثكلى الجدد هل تريد؟

لا أريد بوار الأرض هل تريد؟

لا أريد الشر هل تريد؟

إن كنت مثلي وأدركت ما أنا عليه فأنت بصدد معاهدة، يعيش معها الجميع، كفى بالموت زائرا!

الملك إدوارد

انفطر قلب أجريوس من كلمات الرسالة فصاح مذهولا:

- أجريوس وقد مسه جنون: هذا خنوع، جبن، سيظنون أننا خائفون!

لم يظهر الملك غضبه من أجريوس، بل سكت قليلًا يفكر ثم رفع رأسه ينظر إليه بابتسامة يعرفها أجريوس جيدًا

- الملك ينظر لأجريوس: أشعر بأن عنقك على وشك أن تطير!

ارتبك أجريوس فلم يجد مفرا من قول: الأمر كما تشاء.. سمعا وطاعة!

- الملك في صرامة: قبل شروق الشمس أريدكم جميعا فوق التل..جميعا!

ذهب الجميع بانتظار شروق الشمس، فبعد شروقها إما حربا أو سلاما، إما حياة أو موت..!

* * *

أشرقت الشمس وعند شروقها كان الجميع بانتظار الملك فوق التل، التل الذي يشرف على أرض ينتظر بها الموت بشغف لحصد الآلاف، الآلاف التي باتت ليلتها تسأل هل في الغد مصرعها أم نجاتها.. لم يحضر الملك إدوارد بعد والكل في انتظاره.. حتى الموت كان بانتظاره!!

مع انقشاع الضباب حضر الملك وبحضوره ظهرت أسوار المدينة مرة أخرى.

خر الجميع ينحنون للملك الذي لم يعبأ بهم على الإطلاق، تخطى الجميع ليقف على الحافة، ينظر تارة إلى الأرض وتارة أخرى إلى المدينة ثم رفع رأسه يشتم الهواء وهو مغمض العينين.

– الملك: لا يزال الموت يحوم حولنا!

لم يجرؤ أحد أن يعلق أو حتى يرسل استفسارا.

– الملك وهو لا يزال على حاله والكل خلف ظهره: هل تعى ما أنت مقدم عليه أجريوس؟

– تقدم أجريوس خطوات نحو الملك ليجيب: نعم سيدي الملك.

– الملك: كنت دوما رسول موت بينما الأمر اليوم ليس كذلك.. فأنت رسول سلام.. أتعى هذا؟

– أجريوس في غرور: تمامًا سيدي.

– الملك: فلتذهب.. لعلك تأتي بخير.

امتطى أجريوس فرسه يحمل راية الرسول، ثم انطلق نحو المدينة وبينما

كان البعض في حيرة مما ستؤول إليه الأمور كان البعض الآخر يثق بأن مثل أجريوس لا ياتي بخير أبدًا.

وقف الجميع في صمت ينظرون إلى أجريوس وهو يسرع بفرسه نحو أبواب المدينة.. وفي الوقت الذي رسم الكاتب على وجهه امتعاضه كان ديفيز يرسم على وجهه ابتسامة سخرية.. !

* * *

هناك حيث كان الكل يترقب فوق أسوار المدينة فزع الحارس عندما انقشع الضباب ليجد حشدا بجوار الملك إدوارد فوق التل فأرسل يستغيث بالقائد الذي كان يقف بجواره بعدها بدقائق.

– القائد: ما الأمر؟

– الحارس: جمع مع الملك، يبدو أن هناك أمرا ما.

– القائد وهو يتطلع إلى من فوق التل: فلتظهر لنا ما في جعبتك إدوارد؟

لم يكد ينهى كلمته حتى شاهد أجريوس يسرع على فرسه نحوهم، فعلت وجهه الدهشة.

– القائد: يرسلون رسولا؟

– الحارس: يبدو هذا سيدي.

– القائد مندهشًا وهو يتفحص القادم: يا للعجب أجريوس بنفسه هو الرسول!

- قفز القائد يهرول وهو يصرخ فيمن حوله: فلتوقظوا الملك على الفور ولينتبه الجميع، فمثل أجريوس لا ياتي بخير أبدا.

بعد دقائق وصل أجريوس إلى باب المدينة ليجده مغلقا في وجهه، فصاح بصوت غاضب مستنكرًا وبكل صلف.

- أجريوس في صوت جهورى: أنا أجريوس، لا تخشوا منى فأنا قادم كرسول ولن أحصد أرواحكم الآن.

وقف القائد خلف الباب وحوله العديد من الحرس، سمعوا ما صاح به أجريوس، فأصابت النفوس غضبة.

- أحد الحراس منفعلا: دعنى أطح برأسه.

- القائد وهو يكتم غيظه: إن فعلت أطاح الملك إريك برأسنا جميعا، الرسل لا تقتل حتى إن أساءوا الأدب.

تقدم القائد ليصبح في المقدمة، ثم أمر بفتح الباب الذي ما إن فتح حتى تلاقت عينا أجريوس بعيني القائد الذي لم تتغير ملامحه.

- القائد في جمود: أجريوس رسولا؟

- أجريوس في غرور: إنما أنا رسول إلى من هو أشرف منك.

- القائد متهكما: أجريوس يتكلم عن الشرف؟

- أجريوس في صلف: يشتاق سيفى للدم ولكن ليس لدى وقت لأمثالك، دعنى ألقِ ما عندي في وجه ملككم.

تحرك أحد الحراس في غضب، فأمسكه القائد وهو يبتسم.

- القائد ينظر لأجريوس مخاطبا الحارس: إنه مجرد رسول يحمل رسالة.. فلا داعي لأن تلوث سيفك بقتل رسول حتى إن كان أجريوس.

- أعطى القائد ظهره لأجريوس وهو يأمر الجند: أنزلوه من على فرسه، وتأكدوا من أنه لم يأت لشر، ثم أجلسوه ينتظر عند باب الملك حتى آذن لكم.

- أجريوس في غضب: لن أنتظر طويلاً.

لم يعبأ القائد بغضب أجريوس وترك أمره للجند الذين لم يتمنوا شيئا في هذه اللحظات سوى الإطاحة برأس أجريوس المتغطرس.

* * *

دخل القائد على الملك ليجده واقفا بانتظاره في شغف ليبدأ في طرح الأسئلة

- الملك إريك: رسول؟

- القائد في حيرة: نعم سيدي ولكن الغريب أن أجريوس بنفسه هو الرسول.

- جلس الملك على كرسيه في هدوء محبطا: إذن هو رسول شر.

- القائد: هل تأمر أن نعيده إليهم؟

- الملك في حيرة: لا أعلم هل أتحمل هذا الوقح المغرور.. قد أطيح برقبته.

- القائد: الأمر إليك سيدي.

- الملك مستسلما: دعني أرَى ما يحمل.

- القائد: سمعا وطاعة.

أمر القائد بإحضار أجريوس الذي دخل على الملك وهو مزهو بنفسه حتى إنه لم يحيي الملك، بل تقدم نحوه وهو ينظر باستهانة حتى صاح القائد فجأة.

- القائد: فلتقف حيث أنت.

لم يطع أجريوس الأمر، فصرخ القائد وهو يخرج سيفه:

- القائد: خطوة أخرى وأطيح برأسك.

- توقف أجريوس، ونظر إلى القائد: الرسالة إلى الملك من الملك فلا يتسلمها سواه.

تقدم القائد ليقف في مواجهة أجريوس يحول بينه وبين الوصول إلى الملك.

- القائد: الرسالة تضعها في يدى أنا، أنا من يقرأها فلعلها مسمومة.

- ضحك أجريوس بصوت قوي : قائد مخلص.

- القائد: وهل تعرف الإخلاص حتى تعرفني؟

- أجريوس وهو يضع الرسالة في يد القائد: لا ضرر، تلك هي الرسالة، لعلها تنجي رقابكم من سيوفنا.

امتص الملك غضبه حتى لا يجد القائد والجند من حوله مبررا لقتله فهو مجرد رسول حتى إن أساء الأدب.

- الملك إريك وهو يشير إلى القائد: اقرأ ما فيها.

فتح القائد الرسالة وبدأ في القراءة:

من إدوارد الملك إلى إريك الملك

جئنا مع جيش جرار فشممت راحة الدم في كل مكان، حتى إني لأرى الموتى حولي يصدون عن الحرب صدودا ويرفضون موتى الغد

لا أريد الموت لأجيال جديدة هل تريد؟

لا أريد الحزن لأجيال جديدة هل تريد؟

لا أريد الثكلى الجدد هل تريد؟

لا أريد بوار الأرض هل تريد؟

لا أريد الشر هل تريد؟

إن كنت مثلي وأدركت ما أنا عليه، فأنت بصدد معاهدة، يعيش معها الجميع، كفى بالموت زائرا!

الملك إدوارد

ظهر الذهول على الملك إريك وقائده من نص الرسالة، فهي شديدة الغرابة خاصة مع رسول مثل أجريوس.. لم ينطق أحد من الحضور أيضًا الكل ينظر إلى الآخر، ثم استقرت الأعين على الملك الذي رفع رأسه إلى الأعلى يفكر والصمت يسود المكان.

بعد لحظات وقف الملك فجأة ينظر إلى أجريوس، وعلى وجهه الجمود، ثم تناول الرسالة من القائد الذي صعد درجات حتى يتسنى له إيصال الرسالة إلى الملك.

– الملك وهو يتفرس أجريوس: هل الرسالة هي تلك التي في يدى أم ما تنطق أنت ؟

– أجريوس بثقة وصلف: أجريوس جزء لا يتجزأ من الرسالة.

– أشار الملك إلى الجند يأمرهم: فلينتظر بالخارج.

– استدار أجريوس ليخرج وهو يصيح غاضبا: لن أنتظر طويلًا.

جلس الملك على كرسيه فور اختفاء أجريوس من أمامه يفكر مذهولا من نص الرسالة ومن شخص من يحملها، نظر إلى القائد فوجد وجهه غير الذي كان منذ قليل.

– الملك: كيف ترى الأمر؟

– القائد: الأمور مرتبكة في رأسي.

– الملك متعجبًا: أرسل لي السم مع العسل.

– القائد في حيرة: أمر غريب حقا! ألم يجد سوى أجريوس ليرسله برسالة سلام؟

– الملك: هل تظن أن أجريوس ينطق بعكس ما يريد الملك إدوارد؟

– القائد: من المحتمل.

– الملك: إذن أجريوس يخاطر برقبته.

– القائد: أو أن أجريوس يفكر في أن يطيح برقبة الملك إدوارد نفسه.

– الملك ضاحكا: لا.. أنت لا تعرف إدوارد.

– القائد في إصرار: الخيانة قد تفعل الكثير.

– الملك: ليس مع إدوارد.

– القائد: ولمَ إذن أرسله؟

– الملك: يبدو أن إدوارد هو من يفكر في الإطاحة برقبة أجريوس.

بدا الأمر غريبا للقائد وغير مفهوم.. فكيف يرسل أجريوس برسالة كتلك وهو يخطط للإطاحة برقبته.

– القائد: ماذا ترى سيدي الملك؟

– الملك: هذا الأجريوس أتى خصيصا بنفسه لينقل عكس ما تقول الرسالة.

– القائد: قد يبدو الأمر معقولا سيدي الملك.

– الملك في حيرة: كيف آمن هذا الأجريوس على رسالة منى إلى إدوارد؟

صمت القائد للحظات ثم ابتسم في وجه الملك.

– القائد: نعم الرأى ما قلت سيدي فمثل أجريوس لا يؤتمن، فليعد بلا رسالة.

– الملك: سيعتبرها إدوارد إهانة وأجريوس يجعلها حربا في لحظة.

– القائد في سعادة: إنه لأمر عظيم أن يتوقف هذا الدم وهذا الأمر يستحق المخاطرة.

– الملك في فضول: ماذا يدور في رأسك؟

– القائد: نرسل رسولا من عندنا بعده.

- الملك في أسى: ما بين أجريوس ورسولنا هي اللحظات التي سيستغلها أجريوس لدق طبول الحرب التي إن دقت فلن يستطيع أحد أن يوقفها.

- القائد بعد لحظات صمت: إذن لدى خطة.

- الملك في شغف: هات ما عندك.

- القائد: يخرج أجريوس بلا رسالة، وفي منتصف الطريق يخرج رسولنا بالرسالة.. سيرى الملك إدوارد الأمر من فوق التل وأظن بأنه لن يسمع لأجريوس حتى ينظر في أمر الرسول القادم خلفه.

- الملك مبتسمًا: أحسنت ولكن ماذا تحوى الرسالة؟

- القائد: ما تمليه عليك حكمتك سيدي الملك.

- الملك: إلىّ بالكاتب إذن.

لحظات وكان الكاتب أمام الملك على أهبة الاستعداد لكتابة ما يمليه عليه.

الملك /

من إريك الملك إلى إدوارد الملك

لم نأت إلى أرضك لنقاتلك، بل أنت الذي فعلت.

إن شممت رائحة الدم حينما جئت، فنحن نشتمها على الدوام.

كفى للرعية ظلما سوى أن ملوكها يعشقون الظلم.

نعم.. كفى بالموت زائرا.

لكن..

هل يطرق الشر بابا للخير؟ وإن طرق هل يعود بخير؟

أتى الشر إلينا باحثا عن الشر، فرددناه.. لعل من أرسله يعي!!

الملك إريك

سمع القائد كلمات الرسالة من الملك، فشعر بفخر، حنى رأسه للملك احتراما على ما في الرسالة من حكمة، ثم سأل السؤال الذي يدور في ذهنه:

- القائد: هل يعي؟

- الملك وهو يهز رأسه: سيعى

- القائد: بماذا تأمر سيدى الملك؟

- الملك: أبحث عن الرسول.

- القائد وقد لمعت عيناه: إن أذن لي سيدي المّلك أريد أن أذهب بالرسالة.

- الملك مندهشا: أنت!!.. أجريوس خائن قد يجد ألف سبب ليطيح برقبتك.

- القائد: أعلم هذا ولكن الأمر يستحق المخاطرة.

- الملك مستسلمًا: إذن أنت وما تشاء.

- القائد: كيف نصرف أجريوس؟

- الملك: ادخل عليّ أجريوس، وعندما يخرج من عندي، أنت تعلم كيف تسير الأمور، فأنت صاحب الخطة.

- القائد: سمعا وطاعة.

- الملك بتأثر: لن أجد قائدا مخلصا حكيما مثلك، ارجع إليّ حيا مرة أخرى.

- القائد مبتسما: سأرجع لأكون في خدمتك سيدي الملك.

حمل القائد الرسالة بعدما انحنى للملك ليخرج في مهمة صعبة، بعدها بقليل دخل أجريوس على الملك، وهو يظن بأنه في طريقه لحمل الرد على الرسالة ويحلم بنجاح خطته.

- الملك في هدوء: سننظر في أمر الرسالة، فلتنصرف الآن، سيأتيكم رسولنا بعد حين.

- أجريوس سعيدا: قد لا نحتاج رسولكم، فقد نأتي بأنفسنا هنا لقطع الرؤوس حيث لا ينفع الندم.

أمسك الحراس مقابض سيوفهم منتظرين أمر الملك ليقطعوا رأس هذا المتغطرس، إلا أن الملك لم يأمر بذلك بل ابتسم في وجه أجريوس.

- الملك مبتسما في هدوء: لن أقتلك أجريوس فأنت أحقر من أن تنال هذا الشرف.

استدار أجريوس فرحا بما آلت إليه الأمور، يشعر من داخله بالشماتة في ذلك المتغطرس ديفيز الذي سينال عقابه بلا شك حينما تعود الأمور إلى نصابها بعد أن تدور رحى الحرب التي كان الملك يأمل في أن تتوقف.

* * *

هناك فوق التل لم يجرؤ أحد على أن يتكلم بعد رحيل أجريوس بالرسالة، الصمت خيم على المكان، أعين الجميع معلقة على أحد أبواب المدينة، ذلك الباب الذي دخل منه أجريوس، احترم الجميع صمت الملك الذي على ما يبدو كان يفكر فيما قد تؤول إليه الأمور.

فجأة فتح أحد أبواب المدينة ليخرج أجريوس منطلقا كالسهم بفرسه عائدًا، تعلق بصر الملك بأجريوس يمني نفسه بنهاية ترضية، ظهر شغفه الشديد حينما نطق.

– الملك في لهفة: هل تأتي بخير، أم شر أجريوس؟

لم يجب أحد على الملك.. لحظات ثم تحرك الكاتب نحو الملك ووقف بجواره مما أثار دهشة الجميع.. ظل ينظر هو الآخر إلى أجريوس إلى أن همس للملك بكلمات.

– الكاتب يهمس للملك: هل يطرق الشر بابًا للخير؟ وإن طرق هل يعود بخير؟

– اندهش الملك مما قاله الكاتب لكنه أجابه: سنرى !

ما إن أوشك أجريوس على أن يصل لمنتصف الطريق حتى فتح باب المدينة مرة أخرى ليخرج القائد برسالة الملك.. لم يشعر أجريوس بشيء، إلا أن الجميع فوق التل قد تنبه للفارس الآخر خلف أجريوس.. أصبحت الأمور محيرة.. اقترب أجريوس أكثر ليفزع كل من فوق التل حينما أخرج سيفه في إشارة إلى

الحرب.

نظر الملك في حيرة إلى أجريوس الذي يسرع حاملا سيفه ومن خلفه الفارس الآخر مخاطبًا الجميع:

- الملك في حيرة: هل من أحد يعلم ما الأمر؟

لم يجرؤ أحد أن يجيب، إلا أن ديفيز تقدم هو الآخر ليقف بجوار الملك.

- ديفيز يحاول أن يستوعب الأمر: عجبا إنه رسول من المدينة ولكن لماذا لم يرسلوا الرد مع أجريوس؟

- الملك وقد لمعت عيناه: قد أقدم رأس أجريوس قربانا للشعب، إن صدق ظنى.

وصل أجريوس إلى التل وقفز من فوق فرسه ينحنى للملك.

- أجريوس متصنعا الغضب: لم يرسلوا ردًا على رسالتك سيدي، لقد أحسوا بأننا ضعفاء ونخشاهم، سخروا من السلام سيدى الملك.

- الملك وهو يتفرس أجريوس: سنرى حينما يصل رسولهم.

لم يفهم أجريوس ماذا يعنى الملك من هذا الكلام.

- أجريوس مندهشا: لم يرسلوا الرد ولن يرسلوا أحدا سيدى الملك.

- الملك في هدوء: قف وانظر لهذا الفارس القادم من بعيد.

وقف أجريوس في دهشة يشاهد الفارس وهو يقترب.. أراد الحديث مرة أخرى، فأمره الملك بالصمت.. أصبح الجميع في انتظار وصول هذا الفارس..

الفارس الذي سيعلن الحرب أو السلام.

* * *

وصل القائد والعيون كلها نحوه، فكل كلمة بل وكل حركة سيصبح لها معنى وقيمة.

قفز القائد من فوق فرسه وعلى وجهه ابتسامة، ألقت أول سهم في قلب الملك إدوارد.. بعدها ألقى السهم الآخر حينما خر منحنيا للملك وهو يقول:

- القائد: طاب يومك سيدي الملك.

- الملك: طاب يومك أيها الفارس.

- وقف القائد: دروسوس.. قائد الجيش.. جئت خصيصا لكي أنال شرف لقاء الملك إدوارد وكي أحمل له رسالة من الملك إريك.

تحرك أجريوس بسرعة ليقف أمام القائد دروسوس ليحول بينه وبين الملك إدوارد.

- أجريوس في غرور: ضع الرسالة في يدى وتنح جانبا، حتى ننظر في أمر الرسالة وأمرك أنت أيضًا.

كان أجريوس يهدف لإيجاد أي سبب حتى يطيح برقبة القائد ولكن هل سينجح؟

- علا صوت الملك فجأة مناديًا: حراس.

أتى قائد الحرس ومن خلفه الحراس في سرعة البرق وهم على استعداد

للإطاحة برقبة الرسول القادم من خلف أسوار المدينة.

- الملك في صرامة: فلتحتفظوا بأجريوس في الخلف حتى أنظر في أمره.

كان الأمر مذهلاً للجميع، ارتبك حراس الملك وقائدهم في بادئ الأمر ولكن للحظات فقط ثم بعدها أطاعوا الأمر وقادوا أجريوس المذهول من هول المفاجأة إلى الخلف بضعه أمتار.

- نظر الملك إلى القائد مبتسما: إليّ بالرسالة أيها القائد.

انحنى القائد دروسوس أمام الملك قبل أن يمد يده بالرسالة.. فتحها الملك إدوارد وقرأ ما فيها والكل حوله يترقب

انتهى من القراءة مبتسما.. أشار للكاتب بها، فأتى الكاتب ليقرأها في صمت، ولكنه استوقفه.

- الملك: اقرأها بصوت يسمع الجميع حتى أجريوس في الخلف.

- الكاتب: سمعا وطاعة.

الكاتب بصوت جهور:

من إريك الملك إلى إدوارد الملك.

لم نأتِ إلى أرضك لنقاتلك بل أنت الذي فعلت

إن شممت رائحة الدم حينما جئت، فنحن نشتمها على الدوام

كفى للرعية ظلما سوى أن ملوكها يعشقون الظلم

نعم.. كفى بالموت زائرا

لكن..؟

هل يطرق الشر بابًا للخير؟ وإن طرق هل يعود بخير؟

أتى الشر إلينا باحثا عن الشر، فرددناه.. لعل من أرسله يعي!!

الملك إريك

انتهى الكاتب من قراءة الرسالة ثم نظر إلى الملك ليجده ينظر إليه في دهشة يردد.

- الملك في تعجب: هل يطرق الشر بابًا للخير؟ وإن طرق هل يعود بخير؟

نفس الحكمة التي ذكرها الكاتب للملك منذ قليل أثناء عودة أجريوس في الطريق.

- الكاتب في ثقة: لقد أرسل الملك إريك من الحكمة ما هي أتم وأكمل.

- نظر الملك للكاتب نظرة ذات مغزى وهو يردد: أتى الشر إلينا باحثا عن الشر فرددناه..لعل من أرسله يعي!

- الكاتب وهو يهز رأسه متفقا مع ما قاله الملك: نعم سيدي الملك.. لعل من أرسله يعي!!

كان الجمع حول الملك يشاهد الأمر كأنه حلم.. أجريوس في الخلف مقهورا.. الكاتب أصبح للملك حكيما.. ديفيز الصغير بجوار الملك عزيزا، القائد دروسوس حامل الرسالة مبهرًا، والملك هو الملك.!!

- نظر الملك للقائد دروسوس مخاطبا الكاتب: اكتب لهذا القائد النبيل

رسالة يحملها للملك إريك.

من إدوارد الملك إلى إريك الملك

صدقت..!

لا يطرق الشر بابًا للخير، وإن طرق لا يعود بخير!

من أرسله قد وعى!

اليوم نكرم جندنا ومن وراءهم شعبنا.. اليوم ننهى مملكة الظلم.

الملك إدوارد

أنهى الكاتب الرسالة والكل في ترقب ودهشة، فعلى ما يبدو لا مجال للحرب مع من خلف هذه الأسوار بعد اليوم.. أمسك القائد دروسوس بالرسالة من الكاتب مبتسما، ثم خر بعدها منحنيًا للملك الذي علت وجهه ابتسامة هو الآخر لتحية القائد.

- الملك: تحياتي للملك إريك وكل من خلف هذه الأسوار.

- القائد دروسوس في سعادة: كم هي كلمات عظيمة تخرج من ملك عظيم.

انحناءة أخرى بسيطة قدمها القائد دروسوس لمن حول الملك ثم امتطى فرسه عائدا من حيث أتى حاملا معه رسالة السلام!

ظل الملك معلقًا بصره بالقائد وهو ينصرف حتى أصبح على مقربة من أسوار المدينة

- الملك: كم هو محظوظ إريك بأن يكون له قائد للجيش مثل هذا.

سمع الكاتب كلمات الملك إدوارد فاقترب منه مرة ثانية.

- الكاتب: يمكنك أن تحظى بمثل حظ الملك إريك.

التفت الملك إلى الكاتب مندهشا فهو يعلم أن هذا الكاتب ذو رجاحة عقل وحكمة.

- الملك: أشر عليّ.

- الكاتب: انظر حولك.. القادة كثر.. لكن هناك واحد فقط.. أعطى النصيحة وصدقك القول حينما خشى

الجميع.

أدرك الملك إدوارد ما يعنيه الكاتب بالضبط، فالتفت مخاطبا الحرس.

- الملك: حراس.

اقترب قائد الحرس ومن خلفه الحراس في انتظار أمر الملك.

- الملك: يوضع أجريوس في قفص ويطعم فقط حتى نعود إلى المدينة وهناك قد أقدمه قربانا للشعب بعدما

أستشير قائد الجيش الجديد.

تغير لون وجه كل القادة حول الملك من هول ما سمعوا، فخر الجميع راكعين ينتظرون الأمر الملكي بتعيين قائد جديد للجيش ويالها من مرتبة.

- الملك بكل فخر: سنحظى أخيرا بقائد للجيش نستحقه.

- أجاب الجميع في صوت واحد: نحن في خدمة الملك.

- الملك في زهو: فليرفع ديفيز رأسه.. قائد الجيش الجديد.

يا له من خبر كالصاعقة وقع على قادة الجند، فأصغرهم سنا وأقلهم مكانة أصبح قائدًا للجيش ويا ويل من يظهر حتى ولو امتعاضة أو ظهر منه علامة عدم الرضا.

وقف ديفيز غير مصدق لما أعلنه الملك.. وقف مرتبكا ينظر بدهشة يريد أن يسأل ولكنه لا يجرؤ.. تعجز قدماه على التحرك نحو الملك.

- أتاه صوت الملك بكل صرامة: هل أنت أهل لها؟

- أتى صوت من داخل ديفيز يعلن وهو ينحني: أنا لها وفي خدمة الملك وشعبى.

- الملك بكل فخر: اليوم نعلن ديفيز قائدًا جديدًا للجيش يخدم الملك ويخدم الشعب.

بمجرد انتهاء الملك من إعلان ديفيز قائدًا جديدًا للجيش وقف كل القادة واتجهوا إلى حيث يقف ديفيز وفي حركة جماعية انحنى القادة أمام ديفيز معبرين عن الولاء والطاعة لقائدهم الجديد وبعدها خر ديفيز ومن خلفه القادة منحنين للملك.

في خضم تلك اللحظات، سمع الجميع صوت هتاف قوي ياتي من خلف أسوار المدينة البعيدة.. أدركوا على الفور بأنه هتاف الفرحين بحقن الدماء..

- ديفيز: أيأذن لي سيدي الملك في أمر؟

- الملك: فلتفعل ما ترى.

- التفت ديفيز للقادة في سعادة: فليحتفل الجند احتفالات النصر فسنعود بانتصار مبين.. سنعود بالسلام!

انطلق القادة بعد أن أذن لهم الملك.. تبعهم الكاتب في الحصول على إذن بالانصراف، إلا أن الملك لم يأذن له.

- الملك: عندما نعود إلى المدينة أريدك أن تطرح عنك كونك كاتبا لتكون جليس الملك.

- الكاتب: عفوا سيدي ولكن لي شرطا.

- الملك متعجبًا: شرطا.. أتشترط على الملك؟

- الكاتب في إصرار: عفوا سيدي.. لكنه أمر محتوم كالموت الذي لا بُدَّ أن نراه يومًا ما.

- الملك: هات ما عندك؟

- الكاتب: إن كنت جليس الملك فلن أقول إلا الصدق.

- الملك في صرامة: إن لم تفعل قطعت عنقك.. فلهذا أتى بك جليسا.

خر الكاتب منحنيا بعد أن ارتضى بما قاله الملك.. وهم بالانصراف لولا أن هتف أحد الحراس مناديا.

- الحارس: هناك رسول يخرج من المدينة.

تحرك الملك نحو الحافة مرة أخرى يتبعه ديفيز والكاتب.

– ديفيز: إن لم أكن مخطئا فهو نفس الفرس الرائع لهذا القائد الرائع.

– الكاتب: صدقت.

– الملك: هل من جديد؟

– الكاتب: أجده خيرا.

بعد عدة دقائق، وصل القائد دروسوس مرة أخرى إلى حيث يقف الملك إدوارد.. انحنى على الفور للملك الذي أذن له أن يرفع رأسه.

– القائد دروسوس: أرسلني الملك بنفسي إلى سيدي الملك إدوارد حتى أبلغه بدعوة الملك إريك لزيارة مدينتنا ليرى بنفسه كم نحن شعب كريم، فلا نستحق أن يقال بأنه قد جاءنا زائر كريم مثل الملك إدوارد ولم نكرم ضيافته.

نظر إليه الملك إدوارد مندهشا من هذه الدعوة ثم التفت إلى الكاتب يبحث عن مشورة فتلقى منه إيماءة بسيطة بالموافقة تبعتها نفس الإيماءة من قائد الجيش ديفيز.

– الملك مبتسما: يا لها من دعوة كريمة.. كم هو رائع أن نحظى برؤية من هم خلف هذه الأسوار.

– القائد دروسوس سعيدًا: ستفتح أبواب المدينة كلها لاستقبال الملك ومن معه جميعًا.

انحنى القائد دروسوس في سعادة للملك إدوارد، ثم قفز فوق فرسه وانطلق عائدًا نحو المدينة.

اقترب الكاتب من الملك لأمر ما.

- الكاتب: هناك أمر يجب أن يعمل حسابه من الآن سيدي الملك.

- الملك: هات ما عندك؟

- الكاتب وهو ينظر إلى الملك: الكهنة.

قطع الحوار صوت الجند من خلفهم وهو يصيحون فرحًا بعدما أعلن عليهم أنه لا حرب.. لا دماء.. لا موت.. فانطلق الهتاف يعلو بحياة الملك إدوارد.

- الملك في ثقة: ديفيز؟

- اقترب ديفيز: سمعا وطاعة سيدي

- الملك: من تجده من الكهنة على الطريق لا تأتنى به يكفينى أن أرى رأسه فقط.

- ديفيز: سمعا وطاعة سيدي.

- الكاتب في رضا: نعم الرأى.

اقترب الملك من حافة الهضبة مرة أخرى ينظر إلى المدينة.

- الملك مبتسما: فلنستعد لزيارة تلك المدينة إذن.

لم يكن ينتهي الملك من جملته، حتى فتحت أبواب المدينة، لتأذن للملك بأن يدخل المدينة التي عجز أن يدخلها فاتحاً ولكنه استطاع أن يدخلها مسالمًا..!

المفاوض

" لن ينسوه أبدًا .. نعم أبدًا .. فالدموع على وجهه كانت بمثابة تذكار لكل منهم .. تذكار بأن النجاح قد يعني في نفس اللحظة كل الفشل .. "

في طقس بارد، بل درجة برودة هي الأقصى هذا العام، وصل أحمد إلى صالة الوصول التي كانت تنعم بالدفء مقارنة بالخارج.. استشعر الدفء بمجرد دخوله الصالة.. أسرع نحو شاشة البيانات يبحث عن رقم رحلة شقيقته القادمة من لندن وهو يأمل أن تصل في الميعاد، بعدما ظلت المسكينة يومين حبيسة المطار بعد أن عصفت بمعظم أوروبا عاصفة ثلجية كانت سببًا كافيا لفشلها في الوصول من أجل والدتها التي توفيت فجأة.. ظلت تحمل أمل أن تلقي علي والدتها النظرة الأخيرة ولكن وقف القدر لها بالمرصاد.

ألقى أحمد بجسده على المقعد بعد أن اطمأن أن الطائرة ستصل في غضون **15** دقيقة وليس هناك تأخير..أغمض عينيه يحاول أن يزيح عنه القلق، فهو لا يدرى كيف سيكون اللقاء بشقيقته التي يخشى انهيارها لحظة رؤيته فقد كانت وفاة الأم مفاجأة للجميع.

في شغف، ظل ينظر إلى ساعة يده كل بضع دقائق حتى مرت الدقائق أخيرًا.. وقف بعدها واتجه نحو الشاشة التي أعلنت بالفعل عن وصول الرحلة القادمة من لندن.. أخرج هاتفه ينظر إليه في شغف في انتظار اتصال من شقيقته ولم يطل انتظاره فبعد دقيقتين وجدها تتصل بالفعل.

– أحمد في شغف: حمد لله على السلامة يا سلمى.

– سلمى: الله يسلمك يا أحمد.

– أحمد: معلش تعبتي.

- سلمى في أسى: يا ريته جه بفايدة بردوا مالحقتش!

- أحمد: معلش كأنك كنتِ موجودة.. حمد لله على السلامة.. أنا في انتظارك.

لم يتلق أحمد إجابة من سلمى، ولكنه بدأ يسمع أصواتا قوية من حولها، ثم صراخ شديد مما أفزعه، فانطلق ينادى عليها ولكن بلا فائدة.. علا صوت أحمد مما أثار انتباه من حوله.. أخيرا جاء صوتها عبر الهاتف عبارة عن خليط من الذهول والرعب.

- سلمى: يا أحمد في ناس معاها مسدسات!

- أحمد في رعب: ناس مين؟

فجأة قطع الحوار صوت طلقة رصاص أعقبتها صرخة مدوية من شقيقته.. انقطع الاتصال وهو يصرخ في يأس مناديًا على شقيقته ولكن بلا جدوى!

نظر أحمد إلى الهاتف في يده برعب ثم رفع رأسه يبحث عن أحد ليستغيث.. لمح عبر الصالة أحد ضباط الأمن في زيه الأسود فانطلق نحوه بأقصى سرعة.. لم يفلت من الاصطدام بالعديد من الأشخاص الذين انهالوا عليه بالسباب.. انتبه الضابط إلى أحمد يجرى نحوه بأقصى سرعة.. انتظر لحظات يراقبه حتى اقترب منه، فوضع يد على مسدسه والأخرى رفعها يشير لأحمد بالوقوف، إلا أن أحمد لم يردعه هيئة الاستعداد التي أصبح عليها الضابط وظل مندفعا نحوه.

قبل أن يصل بعدة أمتار تعثر فجأة فوقع على الأرض مندفعا بجسده نحو الضابط الذي رفع يده التي كانت على المسدس لتستعد بجوار الأخرى لالتقاط أحمد.

– تلقف الضابط أحمد وهو يطلق استفهاما في صوت أشبه بالرعد: في إيه؟

– أحمد وهو يكاد يلفظ أنفاسه: في ضرب نار في طيارة لندن.

– الضابط في شك: وأنت عرفت إزاي؟

– أحمد وهو على وشك البكاء: أختي كانت بتكلمني من عليها دلوقتي وقالت في ناس معاها مسدسات وبعدها سمعت صوت رصاص.

– وقف الضابط وهو ينظر بصرامة إلى أحمد: أنت عارف لو كلامك طلع غلط أنت هيتعمل فيك إيه؟

– جاءت إجابة أحمد في شكل توسل: أرجوك بسرعة أختى على الطيارة.

لم يجد الضابط مفر من التحرك حتى وإن كان بداخله شك فيما يقوله أحمد.. صرخ الضابط في أحد الجنود.

– الضابط: توقف مكانك وما تتحركش من هنا.

– الجندي: تمام يا فندم.

– أمسك بيد أحمد يدفعه أمامه: أنت بقى تعالى معاى.

انطلق الضابط يهرول بأحمد في محاولة منه لعدم لفت الانتباه، حتى مر من بوابة صغيرة بعدها انطلق بأقصى سرعة حتى وصل إلى أحد المكاتب..دفعه بقوة

من غير استئذان ليصاب من بداخله بالفزع من هذا الاقتحام.

- صرخ الاثنان الجالسان في رعب: في إيه؟

- الضابط وهو يلهث: البيه بيقول إن طيارة لندن فيها ضرب نار.

نظر الاثنان إلى أحمد في فزع غير مصدقين.

- أحدهما: عرفت إزاي؟

- أحمد وهو يلهث: أختي كانت بتكلمني من على الطيارة، وقالت إن في ناس معاها مسدسات وبعد كده سمعت صوت رصاص والخط قطع.

- الآخر: طب كلم أختك تاني دلوقتي.

أمسك أحمد بالهاتف في ارتباك للاتصال بشقيقته بينما أمسك أحدهم التليفون في صرامة.

- أحدهم: شوفلي طيارة لندن أخبارها إيه يا بني؟

وضع أحمد الهاتف على أذنه.. لحظات وهز رأسه في أسى.

- أحمد: مش بترد.

خيمت لحظة صمت على الجميع، ثم قطع الصمت صوت الهاتف على المكتب، ليرفع أحدهم سماعة الهاتف

- أحدهم: ها إيه الحكاية؟

- ظل الرجل ينظر إلى أحمد بقسوة وهو يستمع إلى المتصل ثم نطق: طيب.. شكرا.

جلس الرجل بهدوء مرة أخرى بعدما ظل واقفا منذ دخول أحمد والضابط.. أخذ نفسا عميقا، ثم نظر إلى أحمد في شماتة.

– الرجل: كلامك طلع فاشوش.

– أحمد: يعني إيه؟

– الرجل: يعني السلم وصل الطيارة ودقيقة وهيتفتح الباب والركاب ينزلوا.

– أحمد في سعادة: يا ريت يا فندم.

– الرجل الآخر مندهشا: يا ريت! ! طيب طالما يا ريت بقى.. اسم أختك أيه عشان تشرفنا معاك شوية.

– أحمد مندهشا: ليه؟ أنا قلت الموقف اللي حصل!

– الرجل: طيب إحنا عايزين نسمع منها هي كمان.. هو دخول الحمام زي خروجه؟

– أحمد في أسى: سلمى.

– نظر الضابط إلى أحمد بغضب: أنت عارف نيلت إيه؟

– أحمد في أسى وهو يرتمي على المقعد: معلش بكملت المصايب.. أمي ماتت من يومين وأختي بقالها يومين بتحاول ترجع مصر عشان تلحق الدفنة والعزا، لكن فضلت محبوسة عشان العاصفة التلجية.. ماجتش على شوية مشاكل في المطار كمان.

– الضابط: الموضوع مش بالسهولة اللي أنت بتقولها دي.. الموضوع مش شوية مشاكل!!

– أحمد في حيرة: أعمل إيه بس! أمال صوت الرصاص اللي سمعته وصرخة أختى وكمان بتقول في ناس معها مسدسات كل ده يطلع إيه؟

قطع صوت الهاتف على المكتب مرة أخرى حديث أحمد.

– رفع الرجل السماعة بهدوء: نعم؟

فجأة تغيرت ملامح الرجل ليصيبها الجمود، ثم تحولت ملامحه إلى الرعب.

– وقف الرجل وهو يردد: طيب أنا جاى.. أنا جاي حالا!

– وضع السماعة وهو ينظر إلى أحمد ووجه غير الوجه: الباب مافتحش والطقم مش بيرد!!

– وقف أحمد مرعوبا: يعنى الموضوع حقيقي؟

– الرجل وهو ينفخ: شاكله كده.

– نظر إلى الرجل الآخر: أنت عارف هتعمل إيه.. هاروح أبص وأرجع تاني.

– أمسك أحمد بيد الرجل: أرجوك خدنى معاك.

– نظر إليه الرجل في شك ثم نظر بعدها إلى الضابط: هاتوه معاك ومايغبش

عن نظرك لحظة إحنا مش عارفين إيه المصيبة دي لسه.

هز الضابط رأسه ثم انطلق خلف الرجل ممسكاً بأحمد، الذي كان يجر قدميه جرا.. وصل الثلاثة إلى المهبط ينظرون بشغف نحو الطائرة التي كان الجميع من حولها ينتظرون باب الطائرة ليفتح ولكن بلا جدوى.

فجأة رن هاتف أحمد التفت الرجل والضابط إلى أحمد الذي ما إن نظر إلى الرقم حتى صرخ فيهم.

- أحمد: دي سلمى أختى.

- الرجل: طب رد أنت مستنى إيه؟

- أحمد في لهفة: أيوه يا سلمى.

لم يأت صوت سلمى عبر الهاتف، بل جاءه صوت رجل غريب.

- الغريب: أنت أحمد أخو سلمى؟

- أحمد في ذهول: أيوه.

- الغريب: البقاء لله.

لم يستطع أحمد أن يتحمل ما سمع، سقط الهاتف من يده، ثم سقط هو بعده أيضًا فاقدًا للوعى..!

* * *

لم يكن أحمد يدرى كم من الوقت مر عليه وهو فاقد للوعى عندما أفاق على كلمات كانت مثل طوق النجاة من الضابط.

- الضابط: يا بني قوم بقى أختك سليمة ماحصلش حاجة!

فتح أحمد عينيه في لهفة يحاول أن ينهض، فساعده الضابط الذي أكد له مرة أخرى.

- الضابط: أختك بخير يا أحمد.. ماتخافش.

- أحمد متعجبا: أمال إيه اللي قاله الراجل ده؟

- الضابط: دا كان بيعزيك في وفاة والدتك.

- أحمد في رعب: بيعزيني.. طب وبعدين؟

- الضابط: مافيش بعدين أنت هتيجي معاى دلوقتي عند فؤاد باشا لأنهم مستنين إنك تفوق.. الموضوع كبير يا أحمد وفعلا الطيارة اتخطفت.

لم ينتظر الضابط أي كلمة من أحمد وانطلق، فقفز أحمد خلفه مسرعا إلى أن وصلا أمام باب وقف عنده الضابط منتظرا وصول أحمد ثم فتح الباب.. دخل أحمد خلف الضابط ليجد مشهدا غريبا في انتظاره، فقد كان هناك العديد من الأجهزة والشاشات بالإضافة للعديد من الأشخاص في الحجرة الكبيرة التي أشبه بحجرة اجتماعات تطل عبر شرفتها الزجاجية على المهبط حيث تقبع الطائرة المختطفة.

تحولت الأنظار جميعها إلى أحمد الذي ازداد ارتباكًا من نظرات الكل.. تحول ببصره إلى الطائرة واقترب من الزجاج ينظر في أسى إلى الطائرة حتى سمع صوت من خلفه.

- صاحب الصوت: يا ريت تتفضل يا باشمهندس أحمد عشان عايزين نتكلم

معاك شويه.

التفت ليجد أنظار الجميع ما زالت موجهة نحوه.. ارتمى على المقعد القريب وهو ينظر إلى الرجل الذي جلس هو الآخر أمامه وعلى وجهه علامات التركيز.

– الرجل: أعرفك بنفسي، أنا اللواء فؤاد المسئول عن غرفة العمليات اللي أنت فيها دلوقتي والمسئول عن تحرير الرهائن والقبض على الخاطفين وبدون لف ودوران أنا عايز أعرف إشمعنى أنت؟

– أحمد غير مستوعب: أنا إيه؟

– فؤاد: إشمعنى أنت اللي عايزين يكلموك ورافضين يتكلموا مع أي حد؟

– أحمد: أنا مش فاهم حاجة؟

– فؤاد: الراجل اللي اتصل بيك رفض يتكلم معانا وطالبك إنت بالاسم.

– أحمد مذهولا: أنا؟

– فؤاد: إحنا ماعندناش وقت كتير نضيعه بسرعة لو سمحت.

– أحمد مرتبكًا: ماعرفش.

– فؤاد في صرامة: لازم تعرف وبسرعة.

أحمد في غضب: يعنى إيه لازم تعرف؟ اسأله هو مش أنا.. أنا أختى على الطيارة وكانت بتكلمنى ساعة ضرب الرصاص يمكن هو دا السبب.. أنا ما أعرفش.

– فؤاد متشككاً: كلامك مش مريحنى.

– أحمد مذهولا: وأنت سايب بقى اللي في الطيارة وقاعد تحقق معاى أنا؟

– فؤاد في عناد: أنت أول الخيط.

– أحمد في تهكم: طب خليك مع أول الخيط وسيب المصيبة اللي في الطيارة.

– فؤاد وهو يقف: على العموم أنت هتتكلم معاه دلوقتي وعايزك تعرف طلباتهم إيه وتهدده إن لو حد من الركاب حصل له حاجة هيبقى مافيش كلام بعد كده.

– أحمد مرتبكا: حاضر!

أمسك فؤاد بهاتف أحمد وأشار بيده لمجموعة أمام أجهزة وشاشات من خلفه فوضعوا السماعات فوق أذنهم.. صمت الجميع وتعلقت أبصارهم بأحمد.

أمسك أحمد الهاتف ووضعه على أذنه.. لحظات وسمع صوت رجل يجيب.

– الرجل: أنت أحمد؟

– أحمد: أيوه

– الرجل: 5 دقايق وتكون عندنا على الطيارة.

– أحمد وهو ينظر إلى فؤاد: عندكم !

– الرجل: منتظرينك.

– أحمد بعد أن تذكر أسئلة فؤاد: طب إنتوا طلباتكم إيه؟

لم يتلق أحمد إجابة من الرجل الذي أغلق الهاتف بعد أن كرر كلمته

الأخيرة: منتظرينك.

– وضع أحمد الهاتف على الطاولة أمامه وهو يردد: دا عايزني أروح لهم.

– فؤاد: مش دي المشكلة.. المشكلة أنه عايزك بعد **5** دقايق وأنا أخاف لو أتأخرت يكون رد فعلهم سيئ.. أنا عايز الحكاية تمشي بهدوء من غير ما نضطرهم أنهم يتصرفوا تصرف دموى.

– التفت فؤاد إلى أحد الحاضرين الجالس في هدوء بعيدًا: مافيش وقت للأسف يا محمود.

هز محمود رأسه مؤكدًا ما قاله فؤاد، ثم نظر فؤاد بعدها إلى رجل يقف بعيدًا في ملابس سوداء ومدجج بالسلاح في هيئة غريبة.

– فؤاد: وأنت كمان مافيش وقت لكن حاول تقول لأحمد اللي أنت عايز تعرفه وأنت بتوصله للطيارة.

– نظر فؤاد إلى أحمد: أنا مش عارف أقولك إيه لأن مافيش وقت نقولك أي حاجة لكن خليك هادى وماتنفعلش مهما شفت والعقيد إيهاب هيقولك على شوية حاجات في الطريق.. يلّا بسرعة أرجوك.. مش عايز أي رد فعل وحش ممكن يحصل لو اتأخرت.

في اللحظة التي أنهى فيها فؤاد حديثه كانت هي نفس اللحظة التي فتح فيها العقيد إيهاب الباب، انطلق أحمد بسرعة يعدو خلف العقيد الذي كان يصرخ في الجميع بالخارج..

حينما وصلوا إلى السيارة التي ستقلهم حتى الطائرة كان العقيد إيهاب قد ألقى عن نفسه سلاحه وارتدى قميصا أبيض وخلع عنه خوذته كي يغير من هيئته، حتى لا يثير حفيظة الخاطفين وما إن تحركت السيارة حتى نطق العقيد إيهاب

– العقيد إيهاب: عايزك تعرف عددهم وعايزك تعرف أماكن تمركزهم، يعني تعرف ببساطة هما واقفين إزاي.. أنا عارف أنك مش خبير لكن أدق التفاصيل في الأمور دي يا أحمد بتنقذ أرواح.. وأنا واثق أنك قدها.

توقفت السيارة على مسافة بعيدة من الطائرة مما أثار دهشة أحمد:

– أحمد: هو أنا همشي كل المسافة دي؟

– العقيد إيهاب: الأفضل أنك تمشي من هنا عشان مش عايزين أي رد فعل.

– أحمد وهو يقفز من السيارة: الأمر لله..

– العقيد إيهاب: لما تنزل من الطيارة هرجع أجيبك تاني من هنا.. بالتوفيق.

انطلق أحمد يهرول نحو الطائرة وهو يحاول بث الطمأنينة في قلبه الذي يرتجف رعبا مما هو مقدم عليه وألمًا على شقيقته التي على متن الطائرة.

وقف أمام السلم ينظر إلى أعلى لا يدرى هل يصعد أم ينتظر فتح الباب.. لحظات مرت ولم يفتح الباب، فقرر صعود السلم.. وقف أمام الباب في حيرة لا يدرى ماذا يفعل لكن انتهت حيرته عندما فتح الباب.. شعر بأن دقات قلبه تكاد

تقفز من صدره عندما لم ير أي شخص بجوار الباب.. تغلب على خوفه وقرر دخول الطائرة.. وعلى الرغم من أن قدميه تحاولان عبثا أن تثنيه عن ذلك، فإنه استطاع أن يرفع قدميه ليدخل إلى عالم آخر من الرعب..!

هناك حيث كان الكل يراقب ويضع احتمالات، وقف فؤاد ومحمود أمام الزجاج يشاهدان أحمد وهو يصعد السلم

– فؤاد قلقًا: تفتكر هينجح؟

– محمود وهو يهز رأسه: منطقيا.. هيفشل فشل ذريع وممكن يكون السبب في فشل كل حاجة.

– فؤاد في حيرة: طب والحل؟

– محمود: الحظ.. تسمع عن حظ المبتدئين؟

– فؤاد: اسمع بس دا لو كان اللي جو الطيارة هما كمان مبتدئين.

– محمود: لو الحظ معاه مش هتفرق كتير.

– فؤاد في توتر: أنت الرجل بتاع التفاوض وهو دلوقتي بيقوم بدورك.. أنت اللي المفروض تقول لي إيه اللي هيحصل.. قول لي توقعك إيه.. أنا مش عايز احتمالات كتيرة.. أنا عايز رأى واحد متخصص.

– محمود: طيب هقولك لكن بعد ما يرجع.. وأتمنى أنه ينجح.

– فؤاد وهو ينفخ بقوة: أتمنى.

دخل أحمد الطائرة ليجد الظلام الدامس في انتظاره.. سمع صوت من خلفه

يأمره بالتوقف وعدم الالتفات.. تسمر مكانه ثم سمع باب الطائرة يغلق مرة أخرى.. أضيء المكان بإضاءة خافتة، لكنه استطاع من خلالها أن يرى وبوضوح الركاب على مقاعدهم ولكنه لم ير أحدا من الخاطفين أمام عينيه سوى الذي يتحدث إليه من الخلف.

- أخيرا نطق الرجل من الخلف: تقدر تلف.

التفت أحمد ليجد أمامه رجلا مقنعا يحمل مسدسا في يده.. ظل أحمد معلقا بصره على المسدس، بينما ظل الرجل يتفرس في أحمد وينظر إليه من أعلى إلى أسفل، ثم يدور من حوله.. نطق أحمد بسؤال عفوي يعبر عن قلق شديد

- أحمد: في حد مات؟

- الرجل: لغاية دلوقتي.. لا.

- أحمد: طب أختى اللي أنت بتتكلم من تليفونها فين؟

- الرجل: موجودة.

- أحمد في لهفة: عايز أشوفها؟

- الرجل في برود: لا.

- أحمد: طب وطقم الطيارة؟

- الرجل: موجود.

- أحمد: طب إيه طلباتكم؟

ظل الرجل صامتا ينظر إلى أحمد ولا يجيب عن سؤاله، ثم هز رأسه كأنه

يقرر أمرا ما.

- الرجل: 100 مليون دولار بالإضافة للأسماء اللي موجودة في الورقة دي تيجى مع الفلوس.

- أمسك أحمد بالورقة ينظر في الأسماء في فضول: مين الناس دي؟

- الرجل: مش شغلك، هما عارفين مين دول.

- أحمد: حاضر.. لكن إشمعنى أنا؟

- الرجل: مجرد صدفة.

- أحمد: طب أقول لهم إنتوا مين بالظبط.

- الرجل في جمود: نسر

- أحمد: نعم؟

- الرجل: قول لهم نسر وهما هيعرفوا.

- أحمد مرتبكا: حاضر.. لكن أرجوك بلاش تأذى أي حد.

- الرجل بصرامة: دا دوركم أنتوا مش إحنا.. أرواحهم كلها في أيديكم دلوقتي.

لم يدر أحمد ماذا يقول تعقيبا على كلام الرجل أو نسر سوى أن يهم بالرجوع..!

فُتح له باب الطائرة مرة أخرى بعد أن أطفئت الأنوار وعم الظلام.. خرج مسرعا وفي نفس لحظة ظهوره على باب الطائرة كانت العربة التي يقودها العقيد

إيهاب تتحرك هي الأخرى لالتقاطه من نفس المكان..

- قفز أحمد داخل السيارة منفعلا وهو يردد بقوة: ده واحد بس اللي خاطف الطيارة.

- المقدم إيهاب متعجبًا: واحد بس.. أنت متأكد؟

- أحمد: أيوه واحد بس ومعاه مسدس.

- المقدم إيهاب في حيرة: صعب قوي واحد معاه مسدس يعمل كدا.

- أحمد: بيقول اسمه نسر.

- المقدم إيهاب: نسر!!! دي شكله لقب مش اسم.

وصلت السيارة وانطلق أحمد خلف المقدم إيهاب حتى غرفة العمليات.

- فؤاد في لهفة: ها إيه الحكاية.. بهدوء وتركيز؟

- أحمد: واحد بس اللي فوق وطالب 100 مليون دولار ومع الفلوس عايز الناس اللي في الورقة دي.

أمسك فؤاد بالورقة لقراءة الأسماء وما إن انتهى من القراءة حتى ظهرت على وجهه علامات التعجب.

- فؤاد: هو قالك مين هو؟

- أحمد: أيوه قال لي إن اسمه نسر.

تغيرت ملامح فؤاد عند سماعة كلمة نسر.. استدار للخلف، ثم جلس بهدوء على المقعد وهو يردد

- فؤاد: نسر!

- أحمد في فضول: مين نسر ده؟

- فؤاد بعد لحظات صمت: مش مهم تعرف.

- أحمد وهو لا يزال على فضوله: طب مين الناس اللي هو عايزها دي؟

- فؤاد: مش شغلك.

تحرك محمود نحو فؤاد وقد تملكه الفضول.

- فؤاد: بس أنا محتاج أعرف الحكاية.

- وقف فؤاد وأشار لمحمود ليتبعه: تعالَ معى.

خرج الاثنان من الحجرة وسط نظرات الدهشة من الجميع ثم عادوا مرة أخرى بعد 10 دقائق.

- اقترب محمود من أحمد بهدوء: تحب تشرب حاجة يا أحمد؟

- أحمد كأنه تذكر العطش فجأة: أيوه عايز أشرب.

- محمود في دهشة: الميه جانبك أهي تقدر تشرب.

- أحمد وهو يمسك بزجاجة المياه: شكرا.

أفرغ أحمد زجاجة المياه بأكملها، وعندما انتهى وجد محمود ينتظره بسؤال.

- محمود: عايزك توصف لي لحظة بلحظة من ساعة ما دخلت لغاية ما خرجت..كأنك بتعيد المشهد ولكن بالبطيء عشان ماتنساش أي حاجة.

ظل أحمد مستغرقًا في وصف كل شيء والإجابة عن أسئلة محمود ومن حوله في ظل مراقبة الجميع لكل كلمة تخرج منه إلى أن توقف الحوار عندما رن هاتف أحمد مرة أخرى ليجد المتصل شقيقته أو بالأحرى نسر. !

أشار فؤاد بيده للجميع حتى يستعدوا.. مرت لحظات ثم أعطى الهاتف بعدها لأحمد الذي أجاب بسرعة.

- أحمد: أيوه.

- نسر: وصلت الطلبات.

أشار فؤاد بيده لأحمد إشارة إلى أنه بحاجة للحديث إلى نسر، فنقل أحمد إلى نسر الطلب.

- أحمد: طب المسئول هنا عايز يكلمك.

- نسر: مش هتكلم مع حد غيرك أنت ولو حد كلمني غيرك يبقى هتخسروا أول راكب.

أشار فؤاد لأحمد بأن يتناسى الأمر.

- أحمد: طيب طيب.. أرجوك خليك هادى.

- نسر: أنا هادى.. مين قال إني عصبى!

- أحمد: طب طلباتك؟

- نسر: قدامكم ساعتين عشان الفلوس والناس توصل وقبل ما شحن التليفون ينتهي.. واضح ؟

إشارة من فؤاد مرة أخرى أدرك بعدها أحمد أن الوقت غير كاف.

- أحمد: لكن مش هنلحق في ساعتين.

- نسر في هدوء: دي مشكلتكم أنتوا.

لم ينتظر نسر أي كلمة أخرى وأنهى الاتصال مما أثار رعب أحمد الذي وضع الهاتف بيد مرتعشة على الطاولة معبرا عن خوفه.

- أحمد: وبعدين دا شكله واثق من نفسه قوي وممكن يموت أي حد لو ماعملناش اللي هو عايزه.

- فؤاد: بعد نص ساعة هتكلمه أنت وتقول له أن مافيش وقت نجيب الفلوس من البنك لأن الساعة دلوقتي واحدة بعد نص الليل وكمان نقل الناس اللي هو عايزها لحد هنا هياخد وقت.. لازم يبقى في مرونة عشان نقدر نعمل اللي هو عايزه.

- أحمد: حاضر.

- اقترب فؤاد من أحمد ينظر في عينيه بقوة: أنت متأكد أنه واحد بس؟

- أحمد في حيرة: دا اللي أنا شفته.

- نظر فؤاد إلى المقدم إيهاب: إيه رأيك في الكلام دا؟

- المقدم إيهاب: صعب.. ولو الكلام حقيقي فعلا.. يبقى أكيد ملغم الطيارة وإن كنت أظن أن في ناس تانيه معاه وهو مش عايز يظهرهم دلوقتي عشان هو عارف إن إحنا محتاجين نعرف عددهم.

- فؤاد في ضيق: يعنى أنت بترجح إن في متفجرات لو لواحده؟

- المقدم إيهاب: تمام.

- فؤاد: ولو مش لواحده يبقى الناس فين؟

- المقدم إيهاب: عادي يا فندم في الحمام أو كأنهم ركاب وأكيد أحمد مش هيلاحظ حاجة خاصة إن الإضاءة ماكنتش كافية.

- نظر فؤاد إلى محمود: إيه رأيك؟

- محمود: تفسير منطقى وإن كنت أعتقد إن مافيش متفجرات وأنه معاه ناس تانيه هو فضل أنهم مايظهروش عشان مانعرفش عددهم.. وبعد اللي عرفته منك يبقى أكيد الأمور صعبة ومعقدة أكتر بكتير مما كنت أظن.

- نظر أحمد إليهم في رعب: يعنى إيه..يعنى الراجل ده خطير قوي كده؟

- نظر فؤاد إلى أحمد: أخطر مما تتصور.

ألجمت الإجابة أحمد، فسكت عن الكلام وتحرك نحو الزجاج، ينظر إلى الطائرة بعدما غلبته دموعه يتحسر على شقيقته التي أتت من أجل وفاة والدتها لتقع في كارثة قد تودى بحياتها هي الأخرى..!

* * *

مرت نصف ساعة على أحمد وهو لا يزال على حالته ينظر من النافذة إلى الطائرة القابعة على أرض المهبط

لا يعير لكل هؤلاء من خلفه أي أهمية ولم ينتبه حتى لأحاديثهم

الافتراضية وعالم الاحتمالات.. وقف بجواره محمود وهو ينظر إلى الطائرة أيضًا موجها حديثه إليه.

- محمود: نفسي أقولك آسف يا أحمد لكن حاسس إنها ملهاش فايدة.. أنا عرفت أن والدتك تُوفيت من كام يوم وأختك كانت بتحاول تلحق تشوفها بس ماعرفتش وللأسف في الآخر تقع في فخ كفيل بتحطيم أي إنسان مهما كان.

- قاطع أحمد استرسال محمود في الكلام: تفتكر الحكاية هتخلص على خير؟

- محمود مبتسما: ماعنديش احتمال غير كدا.. لازم تخلص على خير.

- أحمد في أسى: ياريتنى كنت مكانها.

- محمود: وهي لو مكانك كانت هتقول يا ريتني كنت مكانه.. مش إحنا اللي بنختار قدرنا.. مافيش داعي نلوم نفسنا على حاجات مش من اختيارنا ومالناش يد فيها.

- أحمد: ذنبهم إيه الناس دي كلها.

- محمود في أسى: تعرف إن على الطيارة أطفال؟

- انتفض أحمد من جملة محمود مذهولا: أطفال!!!

- محمود: تفتكر حالتهم هتكون إزاي؟

لم يجب أحمد على السؤال وظل صامتًا للحظات ثم بعدها اتجه وأمسك بهاتفه من على الطاولة.

انفعل فؤاد على أحمد: أنت بتعمل إيه.. ماتعملش حاجة من دماغك؟

– أحمد في صرامة: هتعرف دلوقتي.

– أمسك محمود بفؤاد يمنعه من التدخل: سيبه أما نشوف إيه اللي هيحصل.

لحظات وأجاب نسر على أحمد

– نسر: إيه الأخبار؟

– أحمد: مافيش أخبار.. لكن أنا منسحب مش هقدر أستحمل أكتر من كدا.

– نسر: مش قرارك دا قرارى أنا.

– أحمد في هدوء: أنت غلطان..أنا مش مسئول عن الناس ولا عن البلد ومَاليش دعوة ومن دلوقتي أنا منسحب.

– نسر: أختك هتبقى أول ضحية.

– أحمد في برود: بلغها سلامي.. أنا هعتبرها ماتت مع أمي وعلى فكرة الموت والحياة مش قرارك لو فاكر أنك صاحب القرار.

– نسر: يعنى مش هامك أختك ولا الناس ولا بلدك.

– أحمد: طبعا يهمونى.. بس عشان أستمر لازم تثبت لي إن لي قيمة مختلفة عن اللي كنت المفروض تتكلم معاهم.

– نسر: عايز إيه.. عايزنى أفرج عن أختك؟

– أحمد: لا.. عايزك تفرج عن كل الأطفال اللي على الطيارة مع أمهاتهم.

– نسر بصرامة: طلبك مرفوض.

– أحمد بصرامة: يبقى أنا منسحب.

هذه المرة لم يمهل أحمد، "نسر" أي فرصة للحوار وأنهى الاتصال..

– نظر إليه فؤاد بغضب: إنت إيه الغباء اللي أنت عملته ده؟

– جلس أحمد على الكرسي وهو ينظر إلى فؤاد: دا اسمه الضغط عليه عشان يحس أنه ممكن يفقد ميزة هو طالبها.

– فؤاد وهو ينفجر غضبًا: وافرض قتل حد عشان يضغط عليك أنت؟

– أحمد: هو عارف أني أنا مش المسئول ولا في أي حاجة في إيدي عشان اعملها غير إني مجرد وسيط.

– فؤاد: اللي أنت عملته دا اسمه غباء ولو في حد مات يبقى أنت المسئول ومش هرحمك.

– اقترب أحمد من فؤاد ينظر إليه بقوة: هو ليه مش عايز يتكلم مع حد فيكم؟ أعتقد أن عندك إجابة للسؤال ده؟

– أبعد فؤاد نظره عن أحمد وهو يقول: ماعنديش إجابة.

فجأة رن هاتف أحمد.. قفز فؤاد وأمسكه ليجد نسر هو المتصل.. استشاط غضبا ونظر إلى أحمد.

– فؤاد: أنت عارف لو في حد مات.. أوعدك تقضى بقية عمرك في السجن.

- لم يعبأ أحمد بما قاله فؤاد وهو يقول: ممكن تليفونى عشان أرد!

- أمسك أحمد بهاتفه: نعم؟

- نسر: دا أول وآخر طلب ليك.. لكن الأطفال بس.

- أحمد بصرامة: آسف.. طلبى يتعمل كله وإلا المرة الجايه دور على طريقة اتصال تانيه عشان هكون سيبت المكان ومشيت.

- نسر: أنت بتلعب بالنار.

- أحمد: أنت اللي عملت الحريقة دي.. أنت ماتفرقش معاى حاجة وعلى فكرة ولا اللي هنا يفرقوا كمان معاى حاجة.. أنا بتكلم عن طلب يخصنى أنا لو عايزنى أكمل.. أنت حر!

صمت نسر لحظات ولم يتكلم أحمد في انتظار قرار نسر، بينما يكاد فؤاد ينفجر في وجه أحمد غضبا مما يسمع ولكن أخيرا جاء رد نسر.

- نسر: تعالَ خدهم بنفسك.

- أحمد: دقايق وهكون عندك.

أنهى أحمد الاتصال ليجد أنظار الجميع منصبة عليه وتعلو وجوههم الدهشة من هذا الانتصار الذي لم يكن يتخيله أحد!

- أحمد في سعادة: عايز عربية أجيب الناس.

نظر فؤاد إلى أحمد غير مصدق، بينما فاجأ محمود الجميع بتصفيقه بقوة وهو يردد:

– محمود: رائع يا أحمد.. رائع.. إنقاذك للمجموعة دي هو أول خطوة للنجاح.

– لمعت عينا فؤاد وهو يقول: وممكن ينقذ الباقي.

– نظر محمود إلى فؤاد مندهشا: ينقذ الباقي.. إزاي؟

– فؤاد: مش هو بيقول إن على الطيارة واحد بس يبقى ممكن ينجح في التخلص منه.. على أساس إن أحمد مافيش خوف منه.. وهنا عنصر المفاجأة.. لأنه لن يتخيل إن أحمد مسلح.. بالإضافة إن أحمد هيكون رايح يجيب المجموعة اللي هيفرج عنها.. كل دي عناصر في صالحنا لو أحمد عمل المفاجأة وتخلص منه.

ظهر على وجه محمود الامتعاض من فكرة فؤاد..

– محمود: ولو مش لوحده؟ ولو في مجموعة معاه متوزعة على الطيارة ودا شيء متوقع؟ ولو اكتشف إن أحمد مسلح؟ في الغالب يبقى كدا خسرنا أحمد وخسرنا المجموعة اللي هيفرج عنها والموقف يتعقد زيادة.

– فؤاد بإصرار: لو حصل يبقى لحظتها مافيش غير الاقتحام.

– قطع أحمد الحوار غاضبا: ومش مهم الناس اللي على الطيارة؟ مش مهم الناس اللي أنت كنت هتحبسني طول عمري لو حد منهم مات بسببى؟ يعنى اللي كانوا هيموتوا بسبى غير اللي هيموتوا بسبب الفكرة العظيمة بتاعتك؟

– نظر فؤاد إلى أحمد بغضب: اتكلم كويس.

– أحمد بغضب: لو عايزنى أتكلم كويس يبقى لازم أنت كمان تفكر كويس.

شعر فؤاد بالإحراج من كلمات أحمد وكان على وشك الرد، لولا أن قاطعهم صوت المقدم إيهاب.

– المقدم إيهاب: أنا أفضل نأجل الاقتحام لأننا لسه مش عارفين هل ملغم الطيارة ولا لأ.. ومش عارفين معاه ناس تانيه ولا لأ.. وكون أحمد هيطلع الطيارة تاني دا شيء كويس.. لأن دي فرصة نتأكد بيها من العدد.

– محمود: أنا متفق مع الكلام دا مافيش داعي للتهور.. إحنا لسه في البداية والحمد لله مافيش خسائر بل بالعكس في عدد هيفرج عنه.. بلاش تهور!

ظهر على فؤاد الضيق من كلمات محمود ولكنه لم يجد بدا من الانصياع لآراء الجميع.

– فؤاد مستسلما: معاه يا إيهاب.

– أمسك محمود بيد أحمد قبل ذهابه: خلي بالك يا أحمد المقابلة دي مش هتكون سهلة زي ما أنت فاكر.. أنت قدرت تطلع منه بحاجة هو ماكنش عايزها وهيبقى عدوانى معاك في الغالب.. عايزك تبقى هادى وتتجنب أي كلمات ممكن تصعّد الأمور.. أنت بالنسبة له دلوقتي مش أحمد الساذج اللي كان همزة الوصل.. أنت بالنسبة له دلوقتي ند وهيبقى عايز يعرف كويس هو بيتعامل مع مين.

هز أحمد رأسه بعدما استوعب كلام محمود، ثم أنطلق خلف إيهاب ليجدا في انتظارهم على أرض المهبط المركبة التي قادها المقدم إيهاب بنفسه.

– المقدم إيهاب: أنا هنتظرك جنب الطيارة وهكون على مرمى نظرهم عشان

مش عايزين نثير شكوكهم خالص.

– أحمد مندهشا: هو أنت ليه واثق إنهم أكتر من واحد؟

– المقدم إيهاب: العقل والمنطق بيقول كده.. حاول يا أحمد تدخل شويه في الطيارة وتعرف.. لكن دا مش معناه أنك تظهر لهم أنك بتدور على حاجة.. أنا متأكد إنك فاهم قصدى وأنا واثق في ذكائك يا أحمد.

– أحمد: تفتكر هو عايزنى آجى أخدهم بنفسي ليه؟

– المقدم إيهاب: لأنه عايز يتكلم معاك ويعرف شخصيتك كويس لأنه كان فاكر أنك شخص سهل لكن طلعت مفاوض ممتاز قدرت تنتزع منه بعض الرهاين.. فببساطة عايز يقراك من تاني.

– أحمد: يبقى شكلها هتبقى مقابلة صعبة فعلاً.

– المقدم إيهاب: المهم حاول تقنعه إن الموضوع عادي وإنها جت معاك صدفة.. حاول يبان عليك التأثر من الموقف ومن منظر الناس المحبوسة في الطيارة..

هز أحمد رأسه، لأنه لم يكن هناك وقت لاستمرار الحديث فقد وصلت المركبة حيث يجب أن تتوقف..!

* * *

صعد أحمد السلم، وانتظر لحظات حتى فتح الباب.. دخل ليجد الظلام الدامس الذي سرعان ما تحول إلى إضاءة خافتة بعدما أغلق الباب من خلفه ليجد

"نسر" أمامه.. أدرك في تلك اللحظة صدق توقع المقدم إيهاب بأنهم أكثر من واحد بعدما أغلق الباب من خلفه الثاني.

- فاجأ "نسر" أحمد بسؤال لم يكن على باله: مش عايز تشوف سلمى؟

- أحمد: يا ريت..أرجوك.

أشار نسر بيده فاقترب من بعيد شخص ثالث يقود شقيقته.. أفلتها فانطلقت تحتضن أخاها.. لم يستطع أحمد أن يتحمل فظهرت دموعه على وجهه.

- أحمد يطمئن شقيقته: متخافيش متخافيش إن شاء الله هتخرجوا كلكم بالسلامة.

- قاطعهم "نسر" في تلك اللحظة: على فكرة أخوكي رفض إني أفرج عنك.

- نظرت سلمى مندهشة من الجملة: رفض؟

ارتبك أحمد ولكن تحول الارتباك إلى إصرار بعد لحظات.

- أحمد: أنا فضلت الأطفال مع أمهاتهم يخرجوا الأول وبعدين يبقى الدور على الباقي كلهم ولا أنت رأيك إيه؟

- سلمى مستسلمة: عندك حق.. الأطفال أهم مني.

- أحمد: متخافيش إن شاء الله خير.

- نسر بإلحاح: دا كان مستعد كمان يتخلى عنك خالص وقالي سلم لي على أختي وهعتبرها ماتت مع أمي.

- سلمى في عناد: لكل أجل كتاب.

- نظر إليه أحمد في تحد: أنت عايز توصل لإيه؟

- نسر بعصبية: عايزك تعرف إن طلباتك خلصت ومالكش أي طلبات تانية بعد الطلب دا ولما ترجع هيكون تقريبًا ناقص ساعة على تسليم الفلوس والأربعة وإلا سلمى هتكون أول ضحية.

- أحمد بإصرار: أنت بتحلم إن بعد ساعة يحصل الكلام ده.. الساعة دلوقتي 2 بعد نص الليل مافيش بنوك فاتحة وكمان بلغونى إن الأربعة هياخدوا وقت عقبال ما يجيبوهم فحاول تكون واقعى عشان تنجح ونتفادى أي خسائر بالنسبة لك وبالنسبة لنا.

- نسر: على العموم بعد ساعة هتعرفوا أنا جد في الكلام ولا لأ.

شعر أحمد بالارتباك لكنه حاول أن ينهى الأمر عند هذا الحد: فين الأطفال وأمهاتهم؟

أشار نسر بيده فأمسك أحدهم بسلمى يجرها إلى الخلف وهي تودع أخاها بنظراتها كأنها على يقين بأنها لن تراه مرة أخرى.. شعر أحمد كأن أحدهم يطعنه بلا رحمة بل ينتزع قلبه انتزاعا.. ظل ينظر إليها والألم يعتصر قلبه.. بعدها بلحظات ظهرت ثلاث سيدات يحملن أطفالهن.. لحظات أخرى وفتح الباب ليبدأ الجميع في النزول ومن خلفهم أحمد..!

هرول الجميع بمجرد نزولهم من السلم نحو المركبة التي بانتظارهم.. نظر المقدم إيهاب وهو يتحرك بالمركبة بقلق إلى أحمد الذي كان يبدو على وجهه

علامات البكاء.

- المقدم إيهاب: في إيه يا أحمد؟

- انفجر أحمد يبكى كالأطفال: أختى هتموت.

- المقدم إيهاب في محاولة لطمأنة أحمد: مافيش حد هيموت يا أحمد.. ماتخافش.. اجمد شوية.

- أحمد وهو ما زال يبكى: عينيها كانت بتودعني.. كانت بتقول لي مش هشوفك تاني.. كانت بتقول لي إنها هتموت.. ذنبها إيه في كل دا.. ذنب الناس دي كلها إيه؟

- المقدم إيهاب: هانت يا أحمد إن شاء الله هتنتهي الحكاية على خير.

وصلت المركبة لتجد مجموعة من الأطباء في انتظارهم، بينما انطلق المقدم إيهاب وأحمد يعدوان إلى غرفة العمليات إلا أن المقدم إيهاب لم ينتظر الوصول وأمطر أحمد بالأسئلة.

- المقدم إيهاب: إيه الأخبار؟

- أحمد: طلع عندك حق في اتنين معاه.

- المقدم إيهاب: بس؟

- أحمد: دول اللي شفتهم.

- المقدم إيهاب: طب شفت مسلحين بإيه؟

- أحمد: واحد كان معاه مسدس والتانى معاه رشاش بس صغير.

– المقدم إيهاب مذهولا: إزاي الكلام دا حصل.. طلعوا بكل دا إزاي على الطيارة.. دي مصيبة.

اقتحم المقدم إيهاب الغرفة ومن خلفه أحمد وهو يلهث.. ارتمى على المقعد وهو يحاول أن ينطق.

– أحمد: طلع معاه اتنين تانيين والمصيبة أنه مصمم على الميعاد.. بيقول إن بعد ساعة لو ماجتش طلباته أختي هتبقى أول ضحية.

جلس فؤاد في هدوء يفكر، بينما اقترب محمود من أحمد ليجلس بجواره وعيناه تلمعان.

– محمود: احكى لي الحوار بالظبط.

استغرق أحمد في سرد تفاصيل الحوار والجميع يتابعه باهتمام.. أجاب عن كل الأسئلة التي طرحت عليه حتى أطلق هو السؤال الصعب.

– أحمد: هي أختي هتموت؟

– محمود سريعًا: لا، أختك مش هتموت ومافيش حد هيموت.

– أحمد: بس دا بيقول هيموتها بعد ساعة وأنتوا مش ناويين تعملوا اللي هو عايزه.

– محمود: مين قال كدا؟

– أحمد في حيرة: أمال إيه؟

– محمود: الفلوس جاهزة والأربعة اللي هو عايزهم جاهزين.

- ظهرت السعادة على وجه أحمد: الحمد لله الناس دول مالهومش ذنب.

- محمود: بس إيه اللي يضمن أنه هينفذ الكلام؟

- أحمد: مش عارف.

- محمود: يرضيك يعمل عملته دي ويهرب؟

- أحمد: مش عارف.

- محمود: يرضيك نبقى ملطشة وكل من هب ودب يخطف لنا طيارة ويبيجي يهددنا وياخد اللي هو عايزه ويمشي بأمان؟

- أحمد: مش عارف.

- محمود: شفت بقى إن الموضوع صعب؟

- أحمد: الركاب اللي على الطيارة ليهم ذنب؟

- محمود: لأ

- أحمد: الركاب اللي على الطيارة يفرق معاها اللي أنت بتقوله؟

- محمود: لأ

- أحمد: الركاب اللي على الطيارة هيعيشوا كلهم لو أنت حققت اللي أنت عايزه؟

- محمود منكسرًا: لأ

- أحمد: الناس اللي هو طالبها أغلى من الناس اللي مخطوفة؟

- محمود: لأ

– أحمد: تفتكر إيه هو النجاح؟

– محمود: النجاح إنني أحقق هدفي.

– أحمد: دا النجاح بتاعكم أنتوا.. في نجاح تاني.

– محمود: نجاح تاني؟

– أحمد: أيوه في نجاح تاني.. إن الناس تعيش وماتموتش عشان أنت تنجح.. نجاحك يساوى موتهم.

– محمود: إحنا بدأنا في حوار بيزنطى كدا يا أحمد.

– أحمد: لا، بالعكس.. أنت اللي شايفه بيزنطى عشان ضد هدفك.. إنما أنا شايف إن دي الحقيقة.

– محمود: وإيه الحقيقة؟

– أحمد: الحقيقة إن نجاحك يمثل فشل للركاب اللي على الطيارة.

– محمود: أنا مش هتنازل عن سلامة الناس اللي على الطيارة.

– أحمد: أنت مش هتتنازل عن نجاحك مش عن الركاب.. وعلى العموم أدينا هنشوف.

ظل أحمد ينظر إلى فؤاد المنهمك في حوار عبر الهاتف ويبدو عليه الجدية الشديدة.. بعدها نظر فؤاد إلى محمود وعلى وجهه علامات حيرة مما أثار رعب أحمد.

– أحمد في خوف: خلاص دقايق والمهلة هتخلص إيه العمل؟

- محمود: هتحاول تقنعه إن المدة مش كفاية ولازم ينتظر.

- أحمد: افرض رفض؟

- محمود: هيبقى مافيش حل غير الاقتحام.

وقف أحمد فجأة بعدما نزلت كلمات محمود عليه كالصاعقة.

- أحمد في ذهول: أنت بتقول إيه؟

- محمود: للأسف بعد اللي أنا عرفته مابنفعش نديله الناس اللي هو عايزها.

- بدأ صوت أحمد يعلو: ليه ماينفعش.. أنت بتساوى عدد الناس اللي على الطيارة بالأربعة اللي هو عايزهم؟

- محمود: أرجوك أهدى، للأسف ماقدرش أقولك تفاصيل أكثر.. لكن على العموم فؤاد بيحاول يوصل لحل مع القيادة السياسية عشان يقبلوا بعض المطالب.

جلس أحمد على المقعد مرة أخرى مصدومًا.. أغمض عينيه وهو لا يجد شيئا ليفعله سوى انتظار الكارثة..!

* * *

ظل السؤال يتردد في عقل أحمد بلا إجابة.. ما ذنب شقيقتي؟ بل ما هو ذنب كل من على الطائرة؟ لكن لا أحد يجيب.. ولن يجيب أحد.!

أفاق أحمد من حالته على صوت فؤاد:

- فؤاد: عايزين نعمل اتصال يا أحمد.

التفت أحمد لفؤاد وعلى وجهه جمود.

- أحمد: ليه؟

- فؤاد مندهشا: هو إيه اللي ليه؟

- أحمد: خلاص قررتوا تضحوا بالكل عشان مجرد أربعة ممكن يموتوا منكم في السجون أو من التعذيب؟

- فؤاد بغضب: ماتتكلمش عن حاجة أنت ماتعرفهاش والزم حدودك.

- أحمد بغضب: حتى المناقشة خايف منها؟ إيه المانع أنك تنقذ كل الناس دي وبعدين تبقى تدور عليهم تاني وتجيبهم؟ إيه المانع إنهم يبقوا هدف ليك من جديد في سبيل إنقاذ أرواح الناس؟

- فؤاد بغضب: ويبقى كل من هب ودب ييجي يخطف له طيارة ويهرب.. لازم يبقى الجزاء رادع عشان ماحدش يكررها تاني معانا.

- أحمد: الجزاء الرادع ده هيبقى للمساكين اللي على الطيارة.

- فؤاد: دا قدرهم.

- أحمد مذهولا: أنت إزاي تدير أزمة زي دي؟

- فؤاد في عصبية: أنت تعديت حدودك وأوعدك أنى هارد عليك في الوقت المناسب.

- أحمد: قصدك بعد ما تموّت كل اللي على الطيارة.

- تجاهل فؤاد عبارة أحمد ونظر إلى محمود: محتاجين مهلة ساعتين

منهم، أنت عارف هتعمل إيه.

- محمود وهو ينفخ بقوة: خلاص اتقفلت كل السكك؟

- فؤاد وهو ينفخ أيضًا: للأسف مافيش حل.

- محمود: متأكد.

- فؤاد وهو يستدير يبحث عن العقيد إيهاب: مافيش وقت يا محمود للكلام ده.. اتحرك بسرعة.

استدار محمود إلى أحمد البائس لا يدرى ماهية الكلمات التي من الممكن أن تواسى هذا الشاب الذي فقد الأم وفي طريقه ليخسر شقيقته.. بلا ذنب!

- محمود: قضى الأمر يا أحمد.. مش عارف أقولك إيه بس ساعات بتبقى في حاجات أكبر مننا ومش في إيدينا.

دفن أحمد رأسه بيد يديه مستسلما مما دفع محمود ليجلس بجواره وهو يكاد يحتضنه.

- محمود: أنت مسودها ليه بس يا عم.. إن شاء الله الخسائر تكون بسيطة وأختك تخرج بالسلامة.

- نظر أحمد بغضب إلى محمود: هو أنت ليه فاكر إن كل تفكيرى في أختى بس.. أنا بفكر في كل المساكين اللي على الطيارة.

- محمود: تفاءل.. إن شاء الله الخسائر هتكون بسيطة.

- نظر أحمد بتحد إلى محمود: أنت مقتنع بالكلام ده؟

- محمود مستسلما: ماعنديش حل غير كده.

- أحمد في أسى: مافيش فايدة.

- محمود: أرجوك يا أحمد لازم تتصل دلوقتي بيه وتقنعه ينتظر ساعتين عشان يشعر بأنه في طريقة للنصر بعدها هيبقى في حالة استرخاء وكل ما اقتنعوا بأن الأمور ماشية في صالحهم كل ما كانت الخسائر قليلة.

أعطى محمود الهاتف لأحمد الذي نظر إليه في حيرة.

- أحمد: هقول إيه..؟

- محمود: قول له إن الناس في الطريق والفلوس جاهزة.. مجرد ساعتين فقط.. وعايزك تسأله إيه اللي هيحصل بعد ما ياخد كل اللي عايزه.. عشان يفكر في اللي بعد كده ويطمن.

- أحمد مندهشًا للأمر الذي لم يأت على باله قط: طب ما هو مش معقولة ياخد الناس والفلوس وبعدها يفرج عن الركاب ويبقى هدف سهل!

- محمود: أكيد مش هيسيب الناس هنا أكيد هيطير ويروح أي حته وهو دا اللي إحنا عايزين نعرفه كمان عشان نعرف تفاصيل خطته كانت إيه كلها.

أمسك أحمد الهاتف وهم بالاتصال إلا أن محمود استوقفه.

- محمود: أرجوك مينفعش تكلمه وأنت بالحالة ده.. لازم يشعر بأن الأمور هتتحل.. مش من صوتك تقوله إن إحنا بنخدعه.

أخرج أحمد تنهيدة كبيرة.. وقف بعدها واتجه إلى الزجاج ينظر في هدوء

للطائرة القابعة على أرض المطار في سكون لا تدرى ما سيحدث لها ولمن بداخلها بعد هذا السكون.. قام بالاتصال وبصره ما زال معلقا بالطائرة.

– أجاب "نسر" بسرعة: جاهزين؟

– أحمد في هدوء الواثق: أيوه جاهزين.. طلباتك في الطريق.. قبل ساعتين هتكون عندك.

– نسر بغضب: ساعتين.. مافيش ساعتين.. قصدك دقايق.

– أحمد: طلباتك اتوافق عليها وهتوصلك قبل الساعتين.. بلاش عصبية.. مافيش داعى.

– نسر بغضب: بعد 5 دقايق بالظبط هتشوف عصبيتى لما أرمى لكم أول جثة.. وأنت عارف مين هي أول جثة.

– أحمد وهو ما زال على هدوئه: بلاش تغلط غلطة تضيع كل شيء.. في حالة قتلك ضحية واحدة هيتساوى قتلك لواحدة زي قتلك للكل.. وهتخسر فرصتك للنجاح.. والأمور هتخرج على السيطرة وهيبقى أنت السبب.. أنت ناجح لغاية دلوقتي عشان مافيش ضحايا.. الفرصة في إيدك بلاش تضيعها.. لكن في حالة قتلك لأى حد اعتبر الاتفاق اتلغى وهيطلعوا يجيبوك حتى ولو جثة وفي اللحظة اللي هنصلى فيها على الضحايا اللي بسببك.. ما اعتقدش أنك هتلاقى حد يصلى عليك وغالبا هندفنك من غير صلاة..

– نسر بغضب: أنت بتهددنى؟

ما زال أحمد على هدوئه والجميع من حوله يسمع وينظر لـه بدهـشة غـير مصدقين جرأة الحوار.

– أحمد: بالعكس أنا وضحت لك الصورة كاملة وأنت صاحب القرار دلوقتي واختار.. ساعتين وتنجح أو حالا وتفشل..؟

ظل نسر صامتا للحظات وبعدها: بعد ساعتين أوعدك إن أختك هتكـون أول واحدة تتقتل وهيكون بإيدي أنا لو كل حاجة ماتنفذتش زي ما أنا عايز.

– أحمد: مافيش حد هيموت.. أوعدك.

– نسر: أتمنى.

– أحمد: عندي سؤال.. بعد ما تستلم اللي أنت عايزه هتعمل إيه؟

– نسر: ساعتها هتعرف.. مش عايز تكلم سلمى.. يمكن تكـون آخـر مـرة تكلمها؟

– أحمد: أنا واثق إني هكلمها بعد ما الحكاية تنتهي على خير.

– نسر: المهم ماتندمش.

أنهى نسر الاتصال.. ظل الجميع ينظر إلى أحمد الذي لم يلتفت إليهم وظـل على حالته متجمدا ينظر إلى الطائرة بحسرة.. اسـتطاع أن يطلـق لدموعـه العنـان بعدما عاد إلى طبيعته وبعـدما استطاع نـسر أن يهـز مـشاعره ليـشعر بالتأنيـب والخوف على شقيقته التي يعلم أنها بلا شك ستكون أول ضحية على الطائرة.

* * *

خلع محمود سماعة الأذن التي كان يسمع من خلالها الحوار، ثم اقترب من أحمد يحتضنه وهو يكرر بغير ثقة.

- محمود: اطمن.. هتعدى على خير وسلمى والكل هيبقوا بخير إن شاء الله.

أدرك الجميع بأن أحمد قد نجح في مهمته الأخيرة، ولكنه على الرغم من نجاحه إلا أنه أدمى قلوبهم تأثرا بما قاله وبما يشعر الآن.. بل إن الدموع تلك التي على وجه أحمد كانت بمثابة تذكار لكل منهم لن ينسوه أبدًا.. تذكار بأن النجاح قد يعني في نفس اللحظة كل الفشل..

في نفس اللحظة التي أفاق الجميع فيها من التأثر بما جرى، أشار فؤاد بيده إلى العقيد إيهاب ليقترب من أجل وضع اللمسات الأخيرة للاقتحام.. بل من أجل وضع الفصل الأخير من المأساة وليتركوا للقدر أن يتخذ هو القرار.. من يعيش ومن يموت..!

فجأة استدار أحمد في ظل تلك اللحظات الصعبة والجميع منهمك في وضع خطة الاقتحام ليترك الحجرة.. تنبه محمود إلى أحمد.. ظل يراقبه بعينيه حتى اختفى.. فكر أن يلحق بأحمد إلا أنه فضل تركه لمشاعره، فاللحظات في غاية الصعوبة بالفعل.. فالأخ يشاهد لحظات في الغالب قد تكون آخر لحظات حياة شقيقته وهو في الوقت نفسه لا يملك أن يتدخل لينقذها..!

كان الجميع يعلم ماهية أحمد وأنه هو الذي يتفاوض لذالك عندما خرج

أحمد من الحجرة لم يمنعه أحد من التحرك حيث يشاء.. ظلت خطواته هادئة حتى وصل إلى أرض المهبط.. ظل ينظر من بعيد إلى الطائرة.. ثم حدث أمر لم يكن يتوقعه أحد على الإطلاق.. فقد انطلق أحمد كالسهم نحو الطائرة والجميع من حوله مندهش من تصرفه فليس بصحبته العقيد إيهاب ولا سيارة لتقله للطائرة البعيدة مما أثار الريبة في النفوس فقاموا بالاتصال بسرعة للاستفسار حول الأمر إلا أن أحمد كان منطلقا نحو الطائرة كأنه يهرب من موت يلاحقه!

انطلق الهاتف في الحجرة والجميع مشغولون بوضع اللمسات الأخيرة.. التقط محمود الهاتف.. تسمر مكانه من هول ما يسمع.. ألقى بالهاتف وانطلق نحو الزجاج في رعب وهو يصرخ.

– محمود: أحمد رايح على الطيارة.

– صرخ فؤاد في غضب: إزاي وصل هناك؟

– المقدم إيهاب مرتبكا: مش عارف.. هما ماعندهمش أمر بمنعه، لأنه طلع على الطيارة كتير.. أكيد افتكروا أنه طالع بمعرفتنا.

صرخ فؤاد في الجميع وهو ينظر لأحمد المنطلق كالسهم في غضب شديد.

– فؤاد: صفوه قبل ما يوصل الطيارة.

نظر الجميع بدهشة إلى فؤاد غير مصدقين مما دفعه لتكرار الأمر بغلظة.

– فؤاد: قلت صفّوه قبل ما يطلع الطيارة.. حالا.

صرخ محمود في الجميع: ماينفعش تضربوه.. صوت الرصاص هيتسمع

واللي في الطيارة هيشوفوا اللي حصل وأكيد هيفهموا وهيبقوا مستعدين ويبقى كده فقدنا عنصر المفاجأة وهنخسر كل اللي على الطيارة.

– أجاب فؤاد عليه بالصراخ هو الآخر: يعنى إيه؟ هنسيبه هيطلع يقول لهم على الحكاية؟

– محمود وهو يستجمع هدوءه: نستنى نشوف هيعمل إيه وتصرفه ده هيودينا لفين؟

– نظر فؤاد إلى الجميع في ذهول يكاد ينفجر من الغضب كأنهم هم من دفعوا أحمد للذهاب إلى الطائرة فصرخ ينفث عن غضبه: غبى..!

* * *

عندما أطلق أحمد لساقيه العنان كان يدرك أنه قد لا يستطيع الوصول إلى هدفه وفي الغالب سيسقط قتيلا عبر أي من القناصة المنتشرين حول الطائرة، لكنه لم يتردد في أن يجازف ليس من أجل شقيقته فقط، بل أيضًا من أجل الآخرين على الطائرة.. كان يظن أنه من الممكن أن يقهر العدل الظلم.. بل كان يؤمن بأنه من الممكن أن تصل الأمور إلى نهاية أفضل بكثير مما يخطط لها الآخرون الآن.. كان عليه أن يحاول حتى إن فقد حياته في هذه المحاولة.. فهو يؤمن بأنه لا يملك قرار موته ولا قرار بقائه على قيد الحياة.. إذن لا مانع من المحاولة..!

أنفاسه متلاحقة كملاحقة القتلة لشقيقته والآخرين حتى يحكموا عليهم بالإعدام.. ضربات قلبه يسمعها ومعها يسمع صرخات شقيقته والآخرين عندما

يحدث الاقتحام.. كلما يقترب من الطائرة يشعر بأن نهايته قد حانت.. كان ينتظر الموت بعد كل متر يقطعه، إلا أن الموت لم يأت ليجد نفسه أمام سلم الطائرة.. صعد بسرعة كالمجنون.. طرق بقوة على الباب وهو يصرخ لكي يفتحوا له باب الطائرة أو بابا للحياة قبل أن يدركه الموت الذي يلاحقه.

مرت خمس دقائق بلا جدوى.. لم يستجب أحد على الرغم من توسله لمن بالداخل كي يفتحوا له باب الطائرة.. تمكن منه اليأس وسقط على ركبتيه.. أسند رأسه على الباب، منتظرا رصاصة تأتيه عقابًا لتهوره كي ينقذ أرواح قرر الآخرون أن تزهق بلا ذنب.. حتى إذا أدرك أن المأساة آتية لا محالة شعر بالباب يفتح..

وقف ملهوفا ينتظر فتح الباب..انسلخ إلى الداخل بسرعة وبنفس السرعة أغلق الباب من خلفه.. أضيء المكان فور إغلاق الباب ليجد كل الأسلحة مصوبة نحوه..!

استطاع منظر الأسلحة أن يهز كيان أحمد ويلقي الرعب بداخله.. حاول أن يستجمع قواه وهو ينظر إلى ملثمين لديهم الرغبة في أن يطيحوا برأسه.. ينظرون إليه منتظرين منه إجابات عن سبب قدومه بهذا الشكل المريب..!

استجمع أحمد قواه وبدأ الحديث.

– أحمد: أنا جاي أمنع كارثة

– اقترب نسر وهو لا يزال ملثما: كارثة إيه؟

– أحمد: هيقتحموا الطيارة دلوقتي.

خلع نسر قناعه ليظهر وجهه لأول مرة وعلى وجهه علامات الدهشة.

– نسر في شك مندهشا: وأنت جاي تحذرنا؟

– أحمد: أنا جاي أشوف حل عشان ما حدش يموت!

– نسر بملامح صارمة: وإيه الحل؟

– أحمد وهو على وشك الانهيار: مش عارف.

– نسر: جيت ليه لما أنت مش عارف؟

– أحمد: قلت يمكن أنت تعرف؟

– نسر: أنا قلت اللي عندي.

– أحمد: أنت بتؤمن بالله.

كان السؤال غريبا للغاية حتى إن نسر ظهر عليه الارتباك.

– نظر نسر إلى أحمد بغضب: أيوه بآمن بالله.. لكن هل إنتوا بتآمنوا بالله؟

– أحمد: إحنا مين بالظبط؟

– ارتبك نسر: أنتوا كلكم.

– أحمد: إحنا مين؟ أنا وأختي؟ ولا الناس الغلابة دول اللي مالهومش ذنب في اللي بينك وبين اللي عندنا؟ أنا حتى ماعرفش أنت مين! ولا أنت عايز إيه! ولا إيه اللي اتعمل فيك عشان يكون عندك كل الرغبة دي في الانتقام حتى

ولو على حساب أبرياء مالهومش ذنب!

- "نسر" بعصبية: طالما أنت ماتعرفش يبقى بتسألنى ليه إذا كنت بآمن بالله ولا لأ؟

- أحمد في هدوء: أنا بسألك أنت عشان عايز أعرف هتشيل دم الناس دي كلها وتقف بيها قدام ربنا إزاي يوم القيامة.. إزاي هتقدر تشوف دم الأبرياء حواليك لمجرد الانتقام.. حتى انتقامك مش من الناس اللي أذوك.. بالعكس أنت بتحارب الظلم بخلق ظلم جديد ونفضل من ظلم لظلم ومن ظلم لظلم ويتوه العدل.. وماحدش يبقى عارف هو مات ليه ولا حتى ذنبه إيه!

- أمسك نسر بأحمد في غضب يصرخ في وجهه: طالما أنت عارف إنى مظلوم ليه عايزنى أنا اللي أحط ميزان العدل وأعدل بين الناس؟ روح قول الكلام ده للظالم مش لي أنا.. أنت ماتعرفش الظلم اللي شفناه ولا عمرك هتحس بينا.. إحنا مجرد صفر على الشمال مالوش أي اعتبار.. ظلمنا نوع من أنواع العدل بالنسبة لكم..!

- أحمد بعصبية وهو يفلت يده من نسر: مهما كانت دوافعك حارب بشرف حتى ولو عدوك بيحارب من دون شرف.. حارب الظلم لكن ماتبقاش ظالم.. في فرق كبير بين الدفاع عن الحق وبين تبادل الظلم.. أنت تظلم يوم وعدوك يظلم يوم.. ونبقى عايشين في مملكة الظلم.

- نسر في ذهول: مملكة الظلم ! لكن مين هو الملك في مملكة الظلم؟ مين

اللي بينشر الظلم؟

– أحمد: مايهمنيش مين الملك.. لكن لو انتقامك هيكون من الناس الغلابة اللي عايشين في المملكة وبيشربوا كل يوم ظلم يبقى أنت غلطان.. لو عايز تنتقم من الظلم روح لصاحب مملكة الظلم مش للمظلومين أمثالك عشان تنتقم منهم.

– نسر: مجرد فلسفة.. الهدف منها إيه؟ عايز توصل لي إيه؟

– أحمد: عايز أوصل أنك لو ليك حق خده من اللي ظلمك.. بلاش مظلوم ينتقم من مظلوم..بلاش دايرة الظلم ده.. بلاش تأسس مملكة الظلم!

– نسر: مملكة الظلم.. اسم جميل.. معبر.. يا ريت لو كنت أقدر أكافئك على اختيارك للاسم.. لكن للأسف أنت بقيت واحد من مملكة الظلم وهتجرب الظلم.. هما هيجوا حالا يقتحموا.. مش هيفرقوا بين أي حد.. الكل هيبقى ضحايا للرصاص.. طب الهدف إيه لما يضربوا الكل بالرصاص.. لكن هي دي طبيعة الظلم والاستبداد.. البشر آخر شيء ممكن يكون ليه قيمة.

– أحمد بغضب: ماتتكلمش عن الظلم وأنت ظالم.. ماتتكلمش عن الاستبداد وأنت مستبد.. ماتتكلمش كأنك ضحية.. لا.. أنت لغاية ما خطفت الطيارة يمكن كنت تكون مظلوم.. يمكن لو سمعنا قصتك نتعاطف معاك لكن دلوقتي مفيش أي فرق بينك وبين اللي ظلمك.. إنتوا الاتنين واحد..

– نسر وهو يستدير: تعاطف.. كلمة جميلة.. لكن بلا معنى حقيقي ملموس على الأرض.. كنت هكسب إيه من تعاطفك.. أطفالى كانوا هيكسبوا إيه

من تعاطفك. !

- أحمد: خلاص.. موت وخد الأرواح البريئة دي معاك كمان ولما تقابل ربنا أبقى قول له الكلام دا.. قوله ظلمونى فقررت إنى أظلم ناس مالهاش ذنب.. وجيت لك عشان تحكم بيني وبينهم.. بس يا خسارة ساعتها هتلاقى اللي معاك وأنت واقف قدام ربنا هما الضحايا بس.. المظلومين اللي أنت ظلمتهم.. وهتتحول من مظلوم كان حق علي الله أنه ينصرك لظالم حق على الله أنه يقتص منك للناس اللي أنت ظلمتهم.

- نسر في حيرة: إنت عايز إيه؟

- أحمد في إصرار: عايزك تديني المسدس اللي معاك.. أروح أخطف بيه أي طيارة.. عشان لما تموّت أختى أروح أموت كل اللي في الطيارة وأنتقم من اللي مالهمش ذنب وأسيب اللي ظلمنى.. مش دا المبدأ اللي أنت عايزنى أؤمن بيه.. مش دي المملكة اللي أنت بتأسس ليها.. مش هو ده الضمير المتلون بميت لون.. مش هو ده الضعف اللي أنت عايز الكل يبقى فيه؟

- نسر وهو يجلس على المقعد: مافيش فايدة من الكلام.. الدم بدأ ومابينفعش الرجوع.

- أحمد: مين قال كدا؟ ممكن يكون في فايدة؟ وفي احتمال للرجوع؟ بل ممكن يكون في عدل.. ممكن يكون في رحمة وانتصار لمبدأ جديد.. !

- وقف نسر وهو يشهر مسدسه إلى الأعلى: الاقتحام هيحصل لا محال..

وفي الحالة دي لازم أدافع عن نفسي.

– أحمد في أسى: والناس هتموت معاك لا محال.. ودمهم في رقبتك لا محال.

ظل نسر صامتا للحظات: إحنا مش هنقتل حد.. لكن أنا عارف إن هما اللي هيقوموا بالواجب دا.. يعنى ذنبهم هيبقى في رقبتهم هما مش فى رقبتنا إحنا.

– أحمد مبتسمًا بسخرية: كلامك هروب من ذنب ماسك فيك بإيده ومش هيسيبك لأنك ببساطة ممكن تنقذ أرواحهم.. لكن عشان الكبر والانتقام أنت هتسيبهم يموتوا حتى ولو على إيدهم هما مش على إيدك أنت.. لكنك في الآخر أنت اللي رمتهم للتهلكة وبالعكس الذنب مش في رقبتهم زي ما بتقول.. لأ.. دا في رقبتك أنت لا مفر.. الذنب ذنبك لا مفر.. صدقنى لا مفر.

– نسر ضاحكاً: أنت عايز إيه؟. عايزنى أسلم نفسي ليهم؟ عايزنى أديهم الناس وبعدين بيجوا يقتلونا من دون أي تمن؟ أنت عايز تديهم كل النجاح؟ عايزنى اتظلم مرتين؟

– أحمد: بالعكس زي ما أنا عايزك ماتظلمش المرة دي.. بردوا مش عايزك تتظلم أنت كمان.

– نسر: وإزاي ده بقى؟

– أحمد: مش عارف لكن ممكن نلاقى ليها حل.

– نسر في إصرار: مافيش حل.

- تغير وجه أحمد فجأة وصرخ: أنا عندي حل.

- نسر في محاولة لإحباط أحمد: كل الحلول اللي عندك أكيد فيها ظلم لينا.

- أحمد في لهفة: لا.. اسمعنى كويس.. هما مش عايزين يدوك اللي أنت عايزه عشان مايبقاش أنت كسبت.. وكل يومين ييجى حد ويعمل نفس العملة وياخد اللي هو عايزه ويهرب.. لكن ممكن تقول إنك مش هتاخد أي مكاسب.. لا الناس اللي أنت عايزها هترجع معاك ولا الفلوس اللي أنت طالبها.. وتكمل أنت الخطة بتاعتك كأنك بالظبط حصلت على اللي أنت عايزه وتهرب زي ما كنت مخطط وتفرج عن الناس وينتهي الموضوع من غير مكاسب ليك ولا حتى هما يبقى كسبوا انتصار عليك..

- ضحك نسر بقوة: هبقى مجنون لو سمعت كلامك.

- أحمد في إصرار: وهتبقى مجنون لو ماسمعتش كلامي بردوا لأنك هتضحى بنفسك وباللى معاك وبالناس اللي مالهمش ذنب وفي الآخر هتقابل ربنا بكل دا.. فلو دا جنان ودا جنان.. اختار الجنان اللي هيعفيك من السؤال قدام ربنا.

- نسر: وافرض رفضوا واقتحموا الطيارة؟

- ظل أحمد صامتا لبرهة يفكر في هذه العقبة: هقول لهم إن الطيارة متلغمة.. في حالة الاقتحام الطيارة هتنفجر وهتبقى العملية فاشلة بكل المقاييس.

التفت نسر ينظر إلى الاثنين الملثمين الآخرين فهز الاثنان رأسيهما علامة

على الموافقة.. استدار إلى أحمد مرة أخرى وظل صامتا يفكر.. بعدها أخرج تنهيدة من صدره كالرياح العاتية.

– نسر: على العموم حتى لو اقتحموا أنا مش هضرب رصاصة على الناس اللي في الطيارة.. أنا بريء من اللي ممكن يحصلهم دلوقتي.. ذنبهم في رقبتك وأنت المسئول عنهم.

– أحمد منتهزا الفرصة: ناقص حاجة.. أنا محتاج أتأكد إنك مش هتبدأ الحكاية مرة تانية لما تمشي من هنا..

– نسر ساخرا: عايزنى أفرج عن كل الناس من هنا مثلا؟

– أحمد: مش للدرجة دي.. لكن أرجوك أفرج عن جزء وخليهم ينزلوا معاى.. حتى عشان يظهر حسن النية وكمان عشان مايتهوروش ويقتحموا ويعرفوا إن كل الناس هترجع بالسلامة تاني بعد ما تمشي بيهم من هنا.

هز نسر رأسه غير ممانع للفكرة.. بعدها قف واتجه إلى أحد معاونيه الذي تلقى منه أمرا ما.. بعدها ظل يسير بطول الطائرة يشير لكل السيدات على الطائرة.

– نظر نسر إلى أحمد: أنا هخلى الرجالة معاى بس.. مبسوط كده؟

– أحمد في سعادة: مبسوط جدا.

ازدادت سعادة أحمد عندما وقعت عيناه على شقيقته سلمى، إلا أنه تذكر فجأة أمرا هاما عندما شاهدها.

– أحمد في لهفة: فين التليفون بتاع سلمى؟

– مد نسر يده بالهاتف لأحمد: من حسن الحظ إنى سيبت تليفونى هناك عندهم.. أكلمهم عشان مايحصلش أي حاجة.. مش عازين مصايب.

اتصل أحمد من هاتف شقيقته على هاتفه على أمل أن يجيب أحد منهم وبالفعل أجاب محمود على الاتصال.

– أحمد متلهفاً: أنا أحمد..مين معاى؟

– محمود: أنا محمود يا أحمد.

– أحمد: الحمد لله أنك أنت اللي رديت على.. اسمع كويس اللي هقولك عليه.. أنا هرجع ومعى جزء كبير من الركاب يا محمود.. في تعديل في الأمور.. ماحدش يتهور ويقتحم.. الطيارة متلغمة.. زارعين متفجرات في كل مكان..فاهم يا محمود؟

– محمود في هدوء: واضح يا أحمد.

– محمود: ابعت حاجة عشان تخدنا لكن تقف بعيدا عن الطيارة بمسافة كبيرة.. أرجوك يا محمود.. الأمور خلاص هتتحل.. بلاش أي تهور.. أرجوك يا محمود!

– محمود: واضح.. واضح يا أحمد.

– أنهى أحمد الاتصال، ثم نظر إلى نسر: طيب أقول لهم أنت هتروح على فين؟

- نسر في صلابة: مش دلوقتي.. إحنا محتاجين وقود الأول..أكد عليهم بلاش تهور.. الناس دي مش في رقبتي دلوقتي.. واضح؟

- أحمد في سعادة ممزوجة بقلق: مافيش تهور إن شاء الله.

عندما اقترب الجميع من باب الطائرة أمسكت سلمى بيد شقيقها بقوة غير مصدقة.. بينما لم يكن أحمد نفسه يصدق هو الآخر أنه استطاع أن ينتزع شقيقته من هذا الكابوس، بل ويصل إلى حل رائع يستطيع من خلاله أن ينجو الجميع من هذا الجحيم.

* * *

كالعادة كان العقيد إيهاب بانتظار أحمد والركاب بعيدًا.. قفز الجميع في المركبة بسرعة وانطلقت عائدة.. لم ينتظر العقيد إيهاب كثيرًا ليطرح السؤال الأهم على أحمد.

- العقيد إيهاب: عرفت إزاي إن في متفجرات على الطيارة؟

- أحمد: هما قالوا لي.

- العقيد إيهاب: بس كدا؟

- أحمد: لا، شفت شنطة في أول الطيارة وواحدة في نص الطيارة واللي اسمه نسر معاه جهاز غريب كدا رابطه على صدره.

- العقيد إيهاب: شكله إيه الجهاز ده؟

- أحمد مندهشا: جهاز أسود وطالع منه إريال..هو المهم الجهاز ولا المهم

التفاصيل اللي أنا راجع بيها.

- العقيد إيهاب: تفاصيل إيه؟

- أحمد: هيفرج عن الناس كلها

- العقيد إيهاب: إزاي؟

- أحمد: فوق هتعرف التفاصيل.

التفت أحمد ليجد بعض من الركاب المفرج عنهم ينظرون إليه في دهشة مما يقول، فلا يوجد على الطائرة ما قام بوصفه على الإطلاق إلا أنه لم يشأ أحد منهم أن يعلق على كلامه وفضل هو الآخر تجاهل الأمر.

لم يستطع أحمد أن ينطق بحرف واحد بمجرد دخوله حجرة العمليات، فقد انطلق فؤاد ودفعه إلى الحائط بقوة مما أربك الجميع ليصبح المكان متوترًا للغاية.

- فؤاد: إزاي تتحرك من غير مانقولك.. أنت نسيت نفسك؟

- أحمد بهدوء: أنت شايف إن في وقت للكلام دا؟

- فؤاد: أنت غبى.. كان زمان الموضوع انتهى.

- أحمد بغضب: احمد ربنا.. بدل ما تشكرنى.. الطيارة متلغمة.. كنت هتعمل إيه لما تخسر كل اللي جوه ومعاهم رجالتك فوق البيعة.

- فؤاد بغضب: ومين قال لك إن الطيارة متلغمة.

- أحمد بتحدٍّ: عينى قالت لي.

- فؤاد بغضب: وأنت تفهم إيه في المتفجرات؟

- أحمد: أما أشوف أسلاك ماشية جوه الطيارة ومتوصلة بشنطة أول الطيارة وتانية في نص الطيارة وجهاز عجيب في إيد واحد ولما يقول لي هو بنفسه إن الطيارة متلغمة يبقى أكيد دي متفجرات مش هدايا مجهزها للى هيقتحموا.

- فؤاد بغير اقتناع: مش مقتنع بالكلام ده.

- أحمد: طب اسمع الكلام اللي أنا جاي بيه طيب.. يمكن يطلع فيه الفايدة بدل عصبيتك اللي مالهاش أي فايدة.

- ترك فؤاد أحمد وابتعد عنه: انطق قول اللي عندك.

- أحمد: أنا قلت له إنكم مش هتدوه اللي هو عايزه.. وكمان قلت له أنكم هتقتحموا الطيارة.. وكده قضيته خسرانه والأفضل إنه مايخسرش أكتر من كدا.

- انفجر فؤاد مرة أخرى: أنت بتقول إيه؟ أنت قلت له على الكلام ده؟ أنت عارف أنا هعمل فيك إيه؟

- قاطعة أحمد: أيوه عارف.. المفروض تزودوا الطيارة بالوقود عشان تتحرك للمكان اللي هو لسه ماقلش عليه وهناك هيفرج عن كل الناس اللي على الطيارة.. وكدا يبقى إحنا خسارتنا صفر.. كسبنا أرواح الناس وكسبنا الطيارة وكسبنا سمعتنا ومافرطناش في أي حاجة لا فلوس ولا الناس اللي هو كان عايزها.. مافيش أفضل من كدا.

- فؤاد مصدوم: أنت سبب فشل المهمة.. ومش هرحمك.

- أحمد في دهشة: هو الهدف كان قتل كل الناس ولا إيه؟

ظلت لحظات صمت تخيم على المكان إلى أن نطق محمود أخيرا.

- محمود: أنا شايف إن بلاش نضيع وقت.. خلاص الطيارة متلغمه.. أي تحرك حتى ولو الطيارة مش متلغمه بقى في خطورة شديدة.. عندنا فرصة نرجع الناس سليمة ومانحققش أي طلب من طالباتهم.. أنا شايف إن إحنا نأمن الكلام ده وننفذه

- فؤاد بحسرة: ونسيبهم يهربوا منا؟

- محمود: مش كدا كدا كانوا هيبقوا جثث يبقى كانوا هيهربوا.. بس لو هربوا جثث كانوا هياخدوا معاهم الكل.

- فؤاد: المفروض إنه مايهربش.. المفروض نمسكه حي أو ميت.

- محمود: دا بالنسبة ليك كرجل أمن.. لكن في الاختطاف أرواح الناس ليها الأولوية.

- فؤاد بحسرة: يعنى هما عايزين يموّنوا الطيارة وبعدين يتحركوا.. فين بقى مش عارفين.

- محمود: أكيد هنعرف في الوقت المناسب.

- تدخل أحمد في الحوار: المهم أرجوك من غير أي تهور بدل ما نلاقى الطيارة انفجرت زي البالونة لوحدها.

- اقترب فؤاد مرة أخرى من أحمد: أنت تسكت خالص وماتتحركش من

مكانك إلا لما أنا أقولك.

- أحمد مستسلما: حاضر.

- فؤاد بعصبية: هنزل أتكلم مع الناس اللي نزلت من الطيارة.. لأنى شاكك في حكاية المتفجرات ده.

- محمود: طب ومش هنموّن الطيارة؟

- أشار فؤاد بيده للعقيد إيهاب: عايزك تكون هناك والطيارة بتتموّن.. عايزك تحاول تتأكد من موضوع المتفجرات دي.. حاول ضرورى.

- العقيد إيهاب: تمام يا فندم.

- أحمد بسرعة مخاطبا العقيد إيهاب: أرجوك بلاش تهور.

- انفجر فؤاد مرة أخرى: أنا قلت لك اقفل بؤك ماتتكلمش.

انصرف العقيد إيهاب بعد أن ألقى نظرة غريبة على أحمد لم يفهمها الأخير وإن كانت كافية لتلقى بالرعب داخله

- خرج فؤاد من الحجرة هو الآخر وهو يردد: مايتحركش يا محمود من عندك ولا حتى يتكلم في التليفون.

نظر أحمد إلى محمود ليجده مبتسما في وجهه.. كان على وشك أن يسأل عن سر هذه الابتسامة، إلا أنه فضل السكوت حتى لا يضع نفسه في مشكلة جديدة.

بعد مرور ساعة وقف أحمد ينظر من الزجاج إلى الطائرة وقد بدأ إمدادها بالوقود.. وقف محمود بجواره يضحك مما أثار استغراب أحمد.

- أحمد: بتضحك على إيه؟

- محمود: عليك.

- أحمد في دهشة: ليه؟

- محمود: عشان أنا مش مقتنع بالكلام اللي أنت قلته.

- أحمد مرتبكاً: صدقني ده اللي حصل.

- محمود: طب أنت أقنعته إزاي إنه يلغى خططه؟

- أحمد: بالمنطق.

- محمود في تعجب: بإيه؟

- أحمد مبتسمًا: المنطق.. إوعى تقول إنك ماتعرفش المنطق؟

- محمود: لا أعرفه.. بس بردوا إزاي؟

- أحمد: المهم إنه اقتنع.

- محمود: طب والمتفجرات؟

- أحمد: مالها؟

- محمود: مش داخله دماغي؟

- أحمد متهكمًا: أنت حر.. الطيارة عندك روح اقتحمها.

- محمود مبتسمًا: على العموم يا سيدى الطيارة بتتمون بالوقود دلوقتي.

- أحمد: عندي إحساس إنكم كنتوا بتتمنوا إن يحصل دم في الحكاية.

- ضحك محمود بقوة: لا، أنت غلطان.

- أحمد في تشكك: مش مصدقك.

- محمود في هدوء: أنت حر.. بس عايزك تعرف إن دا السبب في وجود المفاوض مع رجل الأمن عشان يحجمه ويخليه مايتصرفش تصرفات جنونية بناء على الفكر الأمني فقط.

- أحمد: أنا خايف جدًا من فؤاد.. حاسس إنه بيتمنى يشوف دم.

- محمود وهو يضحك: ما أنت حطت له العقدة في المنشار ومش عارف يفلت منها.

- أحمد: قصدك المتفجرات؟

- محمود: أيوه

- أحمد وهو ينفخ من القلق: طيب طمنتني.

- محمود بدهاء: بس أنا خايف فؤاد يسمع كلام من الركاب اللي أنت جبتهم معاك غير اللي أنت قلته.

- أحمد في لا مبالاة: مش مهم.

- محمود بضيق: لا، مهم.. لأن ممكن يتهمك إنك ساعدتهم على الهرب.

- ظل أحمد صامتا للحظات بعدها أجاب في لا مبالاة: بردوا مش مهم.. المهم عندي إن الناس ماتموتش من دون ذنب.

- محمود معجبًا بالإجابة: شيء جميل إنك تضحى.. لكن على العموم

حضر نفسك بكلام مقنع لأن في الغالب فـؤاد هيرجـع والـشكوك عنـده أكـبر إنـك بتكدب.

- أحمد بصرامة: أنا مش بكدب.

- ضحك محمود: أنا بقول هو اللي شاكك إنك بتكدب مش أنـا.. لأنـي أنـا عن نفسي واثق إن مافيش متفجرات على الطيارة.

نظر أحمد بدهشة إلى محمود، وهو يذهب بعيدًا ثم عاد ببصره إلى الطائرة مرة أخرى يتمنى أن تنتهي الأمور على خير..!

* * *

قبل أن تمر الساعة على أحمد وهو لا يزال ينظر إلى الطائرة فتح فؤاد الباب بقوة وهو يصرخ غاضبا

- فؤاد بعصبية: ماحدش عارف يديني عقاد نافع.. الكـل مـش عـارف، و مش متأكد.. ماشافش بس شاكك.. كله كلام غريب كأنـهم ماكانوش على الطيارة!

لم يجب أحد على فؤاد الذي جلـس وهـو يـنفخ بغـضب.. اقـترب محمـود وجلس أمامه.

- محمود: مافيش حل قدامنا غير إن إحنـا نكـون حـذرين ونمـشي بمبـدأ السلامة عشان مانخسرش كل حاجة.

- نظر فؤاد إلى أحمد الذي استدار ليتابع الحوار: أنـت عـارف لـو كلامـك طلع كدب مش هتنازل عن إنى أسجنك.. هتبقى متهم بمساعدتهم على الهرب..

هتتعامل على إنك إرهابى.. هتفضل في المعتقلات طول عمرك.

- محمود في محاولة لتغيير الموضوع: الطيارة جاهزة وأنا شايف إن أحمد يتصل بيه عشان نعرف التحرك هيكون على فين.

- نفخ محمود مرة أخرى ثم نظر إلى أحمد: قول له إنى مش هسيبه.. ولو فلت المرة دي.. مايحلمش إن يكون في مرة تانيه.. وهفضل واراه.. وهجيبه لو هو في آخر الدنيا..

- محمود: قول له يحدد مكان وصوله عشان نبقى على علم..

- هز أحمد رأسه: حاضر.

أمسك أحمد هاتفه ليجرى آخر اتصال.. لحظات وسمع صوت نسر.

- أحمد: الطيارة جاهزة تقدر تتحرك.. لكن محتاجين نعرف هتروح فين؟

- نسر: بعدين هتعرفوا مش دلوقتي.. الطيارة هتتحرك خلال دقايق.

- أحمد: في رسالة عايز أوصلها لك.. بيقولوا لك إنهم مش هيسيبوك ولو فلت المرة دي ماتحلمش إن هيكون في مرة تانية وهيجيبوك ولو أنت في آخر الدنيا.

- نسر وهو يضحك بتهكم: اشكر اللي بعت الرسالة.

- أحمد: حاضر بس أرجوك سلامة الناس أمانة في رقبتك.

- نسر: طول ما الأمور ماشية في هدوء يبقى الناس هتبقى في أمان.. الدور

والباقي عليكم إنتوا تحافظوا عليهم.

- أحمد: مافيش مشاكل هتحصل إن شاء الله.

- نسر: سلام.

- أحمد: كان لي طلب عندك؟

- نسر ضاحكا: تاني.

- أحمد ساخرًا: معلش آخر طلب.. لو سمحت ابقى أبعت الموبيل بتاع سلمى مع كابتن الطيارة عشان عليه نمر مهمة!

- نسر وهو يضحك: حاضر.. تحياتي للى حواليك.. وكل اللي سمعيني معاك دلوقتي.

- نسر: سلام.

- أحمد: سلام.

أنهى أحمد الاتصال.. ليجد وجه فؤاد يكاد ينفجر من الغضب.. ينظر إليه وكل ملامح الشر على وجهه

تحرك أحمد نحو الزجاج يشاهد الطائرة منتظرا تحركها، غير عابئ بصيحات الغضب والسباب التي بدأت من خلفه بعدما بدأ الجميع في اتخاذ الإجراءات والاتصالات لتحرك الطائرة.

لم يدرى أحمد كم مر عليه من الوقت وهو يقف متصلبا خلف الزجاج يكتم أنفاسه منتظرا الطائرة تتحرك حتى وجدها تتحرك بالفعل أمامه.. ثوان وكان

بجواره محمود يتابعها وكذلك فؤاد الذي كانت ملامحه كمن يقتطع جزءا من جسده أو كمن خسر حياته لحظة تحرك الطائرة.

اختفت الطائرة عن الأنظار بعدما حلقت بعيدًا.. استدار الجميع بمشاعر مختلفة ولكن كانت المفاجأة في انتظار أحمد الذي كان يشعر بالرضا كون أن الأمور ستنتهي بلا دماء وكم كانت المفاجأة قاسية بالفعل.

أشار فؤاد بيده إلى اثنين يقفان بعيدًا فتحركا باتجاهه.. تحدث معهما قليلاً ثم أشار إلى أحمد.

– فؤاد: اتحفظوا عليه عشان في الغالب كلها كام ساعة وهنوجه له تهمة مساعدة إرهابيين على الهرب.

في اللحظة التي ظهر الذهول على وجه محمود من كلمات فؤاد كان على وجه أحمد ابتسامة رضا.

– أحمد مبتسمًا: أهلا وسهلا.. أنا راضي.. المهم إن الناس بقت في أمان.

– فؤاد ساخرًا: لما تعيش بقيه عمرك في المعتقل ابقى قول الكلام ده.

– أحمد في رضا: مش مشكلة.. أنا موافق وراضي أضحي عشان كتير مايموتوش.

– فؤاد متهكمًا: عايش في دور البطل؟

– أحمد بكل فخر: أنا بالفعل بطل.

– فؤاد بغضب: بطل من ورق.

- أحمد: بالعكس أنا عملت اللي أنت ماقدرتش تعمله ولا كنت تعرف تعمله.. أنا أنقذت الأرواح وأنت كنت عايز تنقذ نجاحك.. أعمل اللي أنت عايزه.. أنا راضي ومستعد.

أشار فؤاد بيده فانطلق الاثنان بأحمد وخرجا مسرعين من الحجرة، بينما أظهر محمود رفضه مما حدث بأن تحرك هو الآخر نحو الباب وهو يوجه كلامه لفؤاد.

- محمود: على فكرة أحمد بالفعل بطل.. وحتى لو اتسجن هيفضل بردوا بطل.

لم يعبأ فؤاد بكلمات محمود وتركه ينصرف بلا أي تعليق على كلماته، ثم استدار إلى الطاقم في الغرفة.

- فؤاد بعصبية: ها، إيه الأخبار؟

في الوقت الذي أرضى فؤاد غروره بالبطش بأحمد، كان الأخير يشعر بالرضا أيضًا ولكن مع الاختلاف.!

* * *

سمع أحمد صوت هاتفه المحمول.. شعر بالصوت كأنه مطرقة تضرب رأسه.. لم يهنأ بالنوم منذ أسبوع.. كم كان بحاجة للنوم.. تغلب على نعاسه وأمسك بالهاتف في ندم لأنه لم يغلقه قبل نومه.. نظر إلى المتصل فوجد رقما لا يعرفه.. نظر إلى الساعة فوجدها العاشرة صباحا.. حاول أن يقنع نفسه بأن من

حقه تجاهل الاتصال والعودة للنوم.إلا أن أخلاقه استطاعت أن تزيح تلك الفكرة من رأسه وتدفعه لكي يجب على المتصل.

– أحمد: ألو.

– صاحب الصوت: صباح الخير يا أحمد.

– أحمد: صباح النور.. مين؟

– صاحب الصوت: محمود.

– أحمد: محمود مين؟

– صاحب الصوت متهكمًا: يا أخي المفروض ماتنساش الاسم ده خالص بعد اللي جرى!

– أحمد: بجد مش واخد بالى؟

– صاحب الصوت ضاحكًا: محمود من طرف المعلم نسر.

– أحمد ضاحكا: محمود أهلا.. أهلا.

– محمود: إزيك يا أبوحميد.. حمدا لله على سلامتك.. عرفت إنهم أفرجوا عنك إمبارح.

– أحمد: الله يسلمك يا محمود.. شفت يا سيدى.. أسبوع كامل بيحققوا معاى ومتحفظين عليّ كإنى أنا اللي خطفت الطيارة!

– محمود: احمد ربنا إنها جت على قد كدا.. هما كان نفسهم يطلعوا غلبهم فيك.

- أحمد في دهشة: كل دا وماطلعوش؟

- محمود بجدية: لعلمك بقى كانوا هيصدروا أمر اعتقال فعلا لولا إن في ناس عاقلة رفضت الفكرة وطالبت بأنك تخرج والموضوع ينتهي.

- أحمد: طب الحمد لله.

- محمود: أنت فاضى شوية؟

- أحمد: خير.. أوعى تقول في طيارة تانية ومحتاجينى.

- محمود ضاحكا: لا أنت ماتنفعش معانا.. إحنا ناس بتاعت طاخ طيخ، وضرب في المليان أسلوبكماينفعناش.

- أحمد باهتمام: خير.. إيه سبب الاتصال؟

- محمود: أنا تحت بيتك.. قلت اشرب عندك شاى!

- أحمد: بس أنا مش بحب الشاى.

- محمود متهكمًا: رغيف فينو ألاقى؟

- أحمد ساخرًا: ممكن تلاقى بس ناشف.

- محمود: مش مهم اغمسه في شوية ميه.

- أحمد: اتفضل بس هات الميه معاك عشان الميه قاطعة عندنا.

- محمود ضاحكاً: لا، خلاص يا أحمد.. أنا هروح أحسن.

- أحمد: خلاص اتفضل.. في شوية ميه في التلاجة كنت شايلهم لوقت عوزه مش خسارة فيك.

بعد عدة دقائق كان محمود يجلس أمام أحمد في حوار هادئ للغاية.

- محمود: يعني مش عايز تقولى أنا كمان يا أحمد؟

- أحمد: عايز تعرف إيه؟

- محمود: مين صاحب فكرة المتفجرات اللي على الطيارة دي؟

- أحمد: ليه؟

- محمود: عشان أبوسه.

- أحمد: ماتشغلش بالك.. الموضوع انتهى خلاص.

- محمود: أنت عارف إن لولا موضوع المتفجرات ده كان فؤاد هيقتحم الطيارة.

- أحمد: أنا كنت حاسس بكدا.

- محمود: على العموم لو أنت صاحب الفكرة يبقى أهنيك لأنك عملت اللي مايقدرش عليه أي مفاوض.. أنت بالفعل مفاوض رائع.

- أحمد: أشكرك

- محمود بإصرار: يعنى أنت صاحب الفكرة؟

- أحمد ضاحكا: عشان أنا ديمقراطى هخيرك.. تعرف مين صاحب الفكرة وأنت تقولى إيه حكايتكم مع نسر بالظبط ولا تريح نفسك خالص وتشرب حاجة سخنه في الجو التلج اللي إحنا فيه ده.. ها؟

- محمود: مافيش مقارنة ومش هضعف قدام الإغراءات.. هشرب حاجة

سخنه طبعا.

انفجر الاثنان في الضحك هربًا على ما يبدو من حوار لا يجدى، وأسئلة ليست لها إجابات..!

الجمعة

" ظل الركب يبتعد بعيدًا عن المسجد، وعلى باب المسجد وقف الصبي الصغير تعلو وجهه ابتسامة، هي خليط من السخرية والأسى ينظر إليهم جميعا وهم يحملون السيد الجديد ليتوجوه على المملكة الجديدة.. مملكة الظلم!.. (الجمعة)"

مليجى: هو الاسم الحركى لمن عذب وأذاق المنطقة النائية كل الويلات ليل نهار.. هو اسم الشهرة للرجل الذي فاقت سطوته وجبروته كل أنظمة الحكم.. يشعر سكان هذه المنطقة أنها قد سقطت سهوا أو ربما عمدا من خريطة الوطن.. يعتقد البعض الآخر أن المدعو مليجى هو من استأجر المنطقة بمن يعيشون فيها وليس هناك مفر من الخضوع لحكمه فكلها أنظمة حكم.. لم ينازع مليجى أحد و يبدو أن الكل لا يؤمن بأن هناك من يستطيع أن يقهر مليجى.. مجرد ذكر الاسم كان يعنى إما انتهاء المشكلة أو بداية المشكلة.. لم يجد أهل المنطقة مفرا من الخنوع تحت سطوة زعيم الهلاك الذي لا يتردد في الانتقام حتى ولو من نفسه.. طالما قرر هو ذلك فلا مفر..

الوداع: كلمة وجدها سكان المنطقة مكتوبة على باب منزل مليجى صباحًا.. لم يفهم أحد ماذا تعنى الكلمة لكن بعد الاستعانة بفقهاء المنطقة من العلماء الكبار الحاصلين على الشهادة الابتدائية وحكماء المنطقة ممن استطاعوا الوصول لميدان رمسيس عدة مرات والعودة سالمين، فقد أجمع الكل على أنهم أمام خطر عظيم.. فإما أن مليجى مريض وهو في سكرات الموت أو أنه فخ كبير نصبه مليجى بنفسه حتى يوقع العديد من الضحايا الذين سيفرحون برحيله فيعلم حينها أعداؤه وينتقم منهم..

العلامة: هي تلك التي اتفق عليها الجميع بأنها ستكون الفاصلة في تحديد مصير مليجى.. ففى حالة موت مليجى ستفوح الرائحة ويتأكد الجميع من موته وعندها سيعلن رسميًّا انتهاء نظام حكم المليجى إلى الأبد والبحث عن نظام حكم

بديل وقد يكون أحد قطاع الطرق غير المرصوفة أو لصول البيوت الفقيرة فهـذا مـا سيحدده الفقهاء والحكماء.. أما في حالة عدم ظهور رائحة مع عدم ظهور مليجى مرة أخرى، فهذا يعنى بأنه عليهم الانتظار طويلًا، بل طويلًا جدًّا حتى يكتشفوا ماهية كلمة الرحيل التي كتبت على الباب..

الشمامين: هي فرقة المتطوعين من مدمنى المنطقة الذين ظلوا طـوال أسبوع يحومون حول منزل مليجى حتى يجدوا العلامة الأولى وهي رائحة موت مليجى ولكنهم فشلوا في اختراق المنـزل بـأنفهم طـوال الأسـبوع.. بعـدها أعلنـت لجنـة الفقهاء والحكماء أن مليجى لم يمت وهو غير موجود بمنزله الذي لن يجرؤ أحد على اقتحامه خشية أن يكون مليجى مختبئـا بداخلـه ويفتـك بمـن يجـرؤ علـى الاقتراب من ممتلكاته.

القرار: هو ما اجتمع عليه لجنة الفقهاء والحكماء بالإجماع وهو أن يـترك أمر مليجى لربه ولكن نظـل خاضـعين لمنهجـه، فحتـى إن غـاب عنـا لـشهور أو سنوات فلا بُدَّ من يوم محتوم لعودة مليجى مرة أخرى وسيكون يوم العذاب علـى من فرط وبدد ونسى منهج مليجى ويوم النعـيم لمـن صـان الأمانـة وعمـل للعـشرة القديمة ولم يترك المنهج..

الحياة الجديدة: هي التي عاشها سكان المنطقة على منهج مليجى وإن كـان مليجى نفسه غير موجود فهم في انتظار ليـوم عودتـه الـتي يثـق الجميـع بأنهـا ستأتي لا محال.. ظل سكان المنطقة لشهور عديدة بعد اختفاء مليجى يمرون مـن أمام منزله ولكن لم يجرؤ أحد أن يتخطـى حـدود بـاب المنـزل.. حتـى اللـصوص

أصدقاء مليجى أنفسهم الذين هالهم تلك النهاية العجيبة وكيف أن زعيمهم مليجى لم يلق عليهم التحية قبل رحيله كانوا يعلمون أنها نهاية طبيعية للعشرة الحرام وأن الحرام لا يدوم ولكن لم يجرؤ أحد منهم أن يتبع الحرام مع مليجى ويدخل منزله.

عاشت المنطقة كل يوم جديد كأنه يوم عودة مليجى.. ذلك الوحش الكاسر والغول المرعب الذي لم يرحم أحدا من قبل ولن يرحم..

استيقظ الحاج محروس من نومه فزعا يصرخ في رعب مرددا:

– الحاج محروس: حمدا الله على السلامة.. حمدا الله على السلامة.

– زوجه الحاج محروس: بسم الله الرحمن الرحيم.. في إيه يا حاج لا سمح الله.. دا كابوس ولا إيه؟

– الحاج محروس وهو يحاول التقاط أنفاسه: اللي عملت حسابه لقيته يا وليه.. سلم يااااارب.

– زوجة الحاج محروس: خير يا حاج طمني؟

– الحاج محروس في أسى: شفت مليجى واقف على أول الطريق وعينيه مليانة شر.

– الزوجة وقد انتقل الرعب إليها: فال الله ولا فالك يا حاج محروس.. الشر برا وبعيد.

– الحاج محروس: زي ما بقولك كدا يا وليه.. هو أنت كنتى فاكره إنه

مش راجع.. اللي زي ده أكيد لازم يرجع تاني.

- الزوجة بعد أن بدأت في البكاء: ليه بس كدا يا رب.. إحنا ما صدقنا إنه غار في داهية.

- تلفت الحاج محروس مرعوبا: غار إيه يا وليه.. اتكلمي كويس ليكون سامعنا الله ينتقم منك.

- الزوجة وهي تتلفت في رعب هي الأخرى: يوه لا مؤاخذة.. معلش نسيت نفسي.

- الحاج محروس في حزن: ربنا يستر.. أما نشوف بكره هيجيب إيه معاه.. نامي أنت.. أنا هاروح أفتح الجامع وأستنى صلاة الفجر..

- الزوجة: خلي بالك من نفسك يا حاج.. ربنا يجيب العواقب سليمة.

بعد انتهاء صلاة الفجر اجتمع الحاج محروس بلجنة الفقهاء والحكماء في ركن المسجد يقص عليهم رؤياه لمليجى في المنام وأن عينه كانت تشع شرا وغضبا.. انتاب الجميع الخوف على الرغم من أنهم على العهد وظلوا يسيرون على نفس المنهج ولم يجرؤ أحد من الاقتراب من منزل مليجى.. ولكنه الخوف المعتاد من مليجى.

- الحاج محروس: إيه العمل؟

رفس الحاج متولى صاحب المقهى الوحيد في المنطقة طرف جلبابه بعصبية.

- الحاج متولى: دا إحنا ما صدقنا خلصنا منه.. تجيبه لنا تاني يا

محروس.

– الحاج محروس في دهشة: هو أنا جيبته في إيدي يا متولى.. دا حلم ممكن يتحقق وممكن لا.

– تلفت قطة الميكانيكى حوله في رعب: أبوس إيدك.. أنت عايز تودينا في داهية ولا إيه.. يا متولى اتكلم كويس دا ممكن يكون في قفانا وإحنا مش حاسيين.. الحكاية مش ناقصة.

– نظر الحاج متولى لأحدهم صامتا لا يتكلم: ما تقول حاجة يا معلم حرب شايفك ساكت ولا على بالك.

نفخ المعلم حرب صاحب محل الجزارة التي لا يخطو بابها أحد من سكان المنطقة في وجه الجميع.

– المعلم حرب: هقول إيه بس؟ ما هو جايب لنا خبر أسود على دماغنا كلنا.. اعمل إيه يعني.. أديني بفكر..

تنحنح الحاج سلماوى المزارع صاحب قطعة الأرض الصغيرة على أطراف المنطقة معبرا عن وجوده.

– الحاج سلماوى: المهم عندي كان فين المصيبة ده؟

نظر الجميع إليه بغضب لوصفه مليجى بالمصيبة، فانتبه.

– سلماوى مرتبكاً: قصدى كان فين مليجى.. الواحد كان قلقان عليه قوي.

– متولى غاضبا ولكن بصوت منخفض لا يكاد يسمع أحد: كان ما طرح ما

كان.. تلاقيه كان مع عصابة بيعملوا أي مصيبة في أي حته.

– قطة الميكانيكى في همس: هو في حد دخل بيته؟

– الحاج محروس مرتعدا: لا أبدا.. أبدا

– قطة الميكانيكى رافعا أحد حاجبيه: ما يمكن يكون جوه البيت.

– نظر المعلم حرب إلى قطة الميكانيكى بغضب: هيقعد كام شهر في بيته من غير أكل ولا شرب.

– قطة الميكانيكى في إصرار: يمكن كان مخزن أكل أو عامل نفق موصل للطريق بره.

– الحاج سلماوى بغضب هو الآخر: ما أنت لو تبطل الأفلام اللي بتتفرج عليها ليل نهار دي دماغك هتبقى زي البني آدمين.. نفق إيه اللي هيحفره للطريق يا قطة؟!

– الحاج محروس منهيًا الحوار: بقول لكم إيه الشمس طلعت قوموا بينا نروّح كل واحد يشوف حالة لغاية صلاة الجمعة.. نبقى نقعد تاني بعد صلاة الجمعة وإن شاء الله خير.

صدّق الجميع على كلام الحاج محروس وهموا بالانصراف كلا يتمتم بكلمات تعبر عن الحيرة والرعب من أن يصبح الحلم حقيقة ويتبدل الحال ليعود كما كان..

خرجوا جميعاً يتلفتون حولهم كأنهم في انتظار الحلم ليصبح حقيقة..

انتعل الجميع أحذيتهم وهموا بالتحرك من أمام المسجد.. خطا الجميع خطوات قليلة بعدها سمع الجميع صوتا ياتي من خلفهم كالرعد يعرفه الجميع جيدًا.. صوتا استطاع أن يقتلع قلوبهم جميعا ويعود بهم لشهور مضت.

- صوت كالرعد: حراماً يا معلمين.

تغيرت وجوههم إلى وجوه كأنها تنظر إلى الموت بلا رصيد حسنات.. وجوه كأنها ماتت من قبل عدة مرات.. وجوه كأنها صدئت لمئات السنين.. وجوه اختلطت بعضها ببعض لتنتج وجها واحدا.. وجها يجسد الرعب!

شعر الجميع بالشلل، فأقدامهم لا تستطيع الحركة.. أفواههم على مصراعيها.. عيونهم جاحظة لا ترمش.. لا يجرؤ أحد ليلتفت حتى لا ينال النظرة الأولى من صاحب الصوت!

- كرر صاحب الصوت تحيته للمشلولين: حراماً يا معلمين

استدار الجميع بهدوء وبصحبة بعضهم البعض خوفا من أن يتحصل أحدهم منفردا على النظرة الأولى من صاحب الصوت والتي قد تودى بحياته على الفور.

نعم تحقق الحلم.. نعم شعر الجميع بكراهية متناهية للحاج محروس صاحب النبوءة الطين التي أتت بهذا الوحش الكاسر مرة أخرى.. نعم تلقى الجميع النظرة الأولى من مليجى ولكن هناك مفاجأة..!

ماذا حدث لهذا الوحش الكاسر المستبد الظالم منزوع الرحمة والإحساس.. لم تكن هذه هي النظرة المتوقعة.. إنه ينظر إليهم وعلى وجهه ابتسامة.. إنها

المرة الأولى التي تقع أعينهم عليه مبتسما في غير حالات التشفى.. حتى إن ملامح وجهه غير متناسقة مع هذه الابتسامة.. تبدلت ملامحهم جميعًا من صمت المرعوبين إلى صمت البلهاء!

كيف يكون هذا؟. هذا هو السؤال الذي يدور بداخلهم ولكن لا يجرؤ أحد منهم أن يجتهد ليفهم ماهية الكائن الماثل أمامهم أو بمعنى أدق الماثلين هم أمامه..!

- مليجي في دهشة: إنتوا اتشليتوا من المفاجأة؟

- لم يجد إجابة فأكمل مليجي: معلش أنا عارف أنها مفاجأة صعبة.. بس وحياة أمي وحشتوني.. وهعوضكم عن الأيام اللي سيبتكم فيها.. أنا هوريكم بجد.. هتشوفوا أيام بقى هتنسيكوا الأيام اللي قضتوها من غيرى.

كانت تلك الكلمات كافية ليترك الجميع صمت البلهاء ويعودوا مرة أخرى إلى صمت المرعوبين..

استطاع الحاج محروس أن يتمالك نفسه بعد أن تلا ما يحفظ من أدعية.

- الحاج محروس: حمدا لله على السلامة يا مليجى.. أنت كنت غايب عنا فين؟

أطلق مليجى ضحكة مرعبة أشعرت الجميع بأن الأرض تهتز من تحت أقدامهم حتى كاد قطة الميكانيكى أن يطلق لساقيه العنان لينجو بحياته بعد تلك الضحكة التي تنبئ بالكوارث.

- مليجى وهو يهدئ من أنفاسه بعد تلك الضحكة: كنت بعمل عمرة.

بالطبع لم يستوعب أحد ماذا تعنى الجملة التي خرجت من مليجى.. ودار في أذهان الجميع سؤال واحد.. هل يؤمن مليجى بالأديان؟

- الحاج محروس بعد أن أصابه الذهول: عمرة إيه يا مليجى لا سمح الله؟

اندهش مليجى من لفظ لا سمح الله الذي اتبعه الحاج محروس بعد كلمة عمرة.

- مليجى مذهولا: لا سمح الله؟! ليه بتقول لا سمح الله يا حاج محروس؟ أنت كفرت بربنا ولا إيه؟ أسيبكم كام شهر ارجع اليكم كفرتوا بربنا وبتعبدوا الأصنام؟ الله.. أمال كنتوا بتعملوا إيه في الجامع جوه؟

أسرع الحاج متولى ينفى عنهم تلك التهمة التي لن ينتظر مليجى فيها لا رأى ولا مشورة من أحد حتى يطبق عليهم الجزاء الرادع بقتلهم أجمعين.

- الحاج متولى: أستغفر الله يا مليجى.. كفرنا إيه يا راجل؟. دي ذلة لسان من محروس.. إحنا بس عايزين نطمن عليك.. وأدينا اطمنا انك كنت في بيت ربنا يا مليجى.. ألف مبروك يا حاج.

- نظر الحاج متولى برعب إلى الآخرين: ما تباركوا يا جدعان للحاج مليجى.. إنتوا اتخرستوا ولا إيه؟

- نطق المعلم حرب أخيرا ويا ليته لم يفعل: ألف مبروك يا حاج مليجى.. يبقى أنت لازم تصلى بينا الجمعة النهاردة.. عايزين نسمع منك أحلى خطبة

تحكى لنا فيها عن رحلتك.

نظر الحاج محروس برعب إلى المعلم حرب يريد أن يقتله على تلك الفكرة الغبية التي تفوق في غبائها غباء مليجى نفسه إلا أن الرد جاء بقوة من الحاج سلماوى الذي أراد أن يزكى نفسه عند مليجى.

– الحاج سلماوى: هو إحنا هنلاقى حد أطهر من مليجى دلوقتي.. قصدى الحاج مليجى بعد ما رجع من العمرة.. دا أنا هدخل تاني الجامع أستناه من دلوقتي.

حاول قطة الميكانيكى أن ينطق فخرج صوته من الرعب غريبًا يشبه صوت الماعز قبل ذبحه.

– قطة الميكانيكى: أنا هطوف أبلغ الناس بنفسي..بركاتك يا شيخ مليجى.

هلل الجميع للفكرة التي أطلقها المعلم حرب فلم يجد الحاج محروس بدا من أن يصمت وإلا حضوره صلاة الجمعة سيصبح محل شك.. فحضوره قد يكون بداخل خشبة الأموات ويا له من عقاب وقد يصلى مليجى عليه بنفسه صلاة الجنازة أيضًا.

قبل صلاة الجمعة بوقت ليس بالكثير كانت المنطقة قد علمت بعودة الوحش الكاسر وما جد مع عودته.. فها هو مليجى أو الشيخ مليجى سيعتلى منبر المسجد ليخطب في أهل المنطقة.. شعر البعض بأنها قد تكون إحدى العلامات الصغرى ليوم القيامة ولكن بلا شك هي لحظة تاريخية في تاريخ

المنطقة.

قبل دقائق من أذان الجمعة كان قد احتشد أهل المنطقة للصلاة.. لم يتحمل المسجد الحشود الغفيرة التي أتت من كل مكان فاصطف الناس صفوفا بالخارج، حتى امتلأت الشوارع المحيطة بالمسجد.. فمن كان لا يقرب المسجد ولا يعرف حتى كيفية الصلاة أتى خصيصا ليشاهد هذا الحدث الذي قد لا يتكرر مرة ثانية.

وقف الحاج محروس يرفع الأذان ليعلن بداية صلاة الجمعة ويعلن معها عن الخطبة التاريخية للحاج مليجى الذي لم يكن قد وصل المسجد بعد.

انتهى الحاج محروس من الأذان، ثم نظر لمجموعة الفقهاء والحكماء في الصف الأول معبرا عن قلقه من عدم وصول الحاج مليجى فوجدهم في ارتباك شديد.. لكن سرعان ما ذهب القلق والارتباك مع التكبيرات التي بدأت تُسمع من خارج المسجد لتعبر عن وصول الحاج مليجى.

علت التكبيرات بداخل المسجد عند ظهور مليجى على باب المسجد.. أفسح الجميع له الطريق كرئيس دولة.. سار هو بخطوات هادئة حتى وقف أمام المنبر.. التفت إلى مَن بالصف الأول فوجدهم كمن على وشك أن ينفذ فيهم حكم بالإعدام.

انتابت مليجى رعشة وهو ينظر إلى أعلى المنبر.. طأطأ رأسه مرة أخرى حتى يتمالك نفسه.. نظر إلى أول درجة من سلم المنبر يحاول أن يرفع قدمه بلا فائدة.. ساد الصمت المسجد.. الكل كان معلقًا بصره بالحاج مليجى الذي سيصعد

درجات السلم ويحكى لهم عن تجربته.

تصبب مليجي عرقا وتلفت حوله كأنه يستغيث..لحظات ثم أمسك بيد مرتعشة طرف المنبر بعدها استجابت قدمه أخيرًا ليضعها على أول درجة ومعها صرخ أحد المصلين: "الله أكبر.. اللهم صل على النبى".

لم يستوعب مليجى الأمر ولم يفهم ما علاقة هذا الهتاف بوضع إحدى قدميه على أول درجة ولكن كان الأغرب هو انتشار الهتاف داخل المسجد، ثم لينتقل بعدها إلى خارج المسجد ويصبح هتافا موحدًا يردده الكل ويزداد قوة كلما صعد مليجى درجة جديدة من السلم حتى استقر على الدرجة الأخيرة وسط هتاف يهز المكان.

نظر مليجى بدهشة للمكبرين والمصلين على النبى وهو لا يعلم سببا لكل هذه الضجة.. فجأة تحولت دهشته لغضب شديد وصرخ فيهم.

مليجى:

- ما تخرسوا بقى إيه الدوشة دي؟

- هو أنا عبرت القناة ؟

- ما تتلم يا عم أنت وهو؟

- ثم إيه الزحمة دي؟

- من إمتى الكلام ده؟

- دا الحاج محروس كان بيبوس إيدكم عشان تصلوا الجمعة.

- ويا ترى متوضين ولا ما تعرفوش؟

- على العموم الحاج محروس ابن حلال.

- هو اللي علّم الناس إزاى تعرف تتوضى وتصلى.

- ورجل سهل ما تقلقوش.

- يعنى لو إيدك الشمال قبل اليمين يقول مش مشكلة.

- ولو غسلت رجلك قبل وشك يقولك ربك غفور رحيم.

- أما الصلاة فاللي تقدر عليه.

- وبردوا غلّبتوا الراجل وماحدش بيجى يصلى.

- إنتوا عايزين حد يصلى ليكم وببلاش.

- يعنى لو هيصلى لكم بفلوس بردوا مش هتدفعوا.

- وحتى اللي بيصلى الجمعة فيكم كان بييجى وهو حاطط عينيه على البطيخة اللي برا على الباب.

- أول ما يسلّم يطير يمسك فيها بإيده وسنانه وينتعها على كتفه ورهوان على البيت.

التفت مليجى بغضب إلى الحاج محروس.

- بس أنا لي عتاب عليك يا حاج محروس.

- يا حاج محروس ارحم الناس من الثعبان الأقرع وعذاب القبر.

- الناس كانت بتييجى تشتكى منك وأقول لهم مفيش حاجة بإيدي دا دين

ربنا.

– يعنى هو أنا اللي قلت إنه أقرع ولا أنا اللي مش حافظ غير عذاب القبر.

– بس بردوا يا حاج محروس في نعيم القبر ولا دا مش تخصصك.

– في رحمه زي ما في عذاب.

– يا حاج محروس الناس مش عارفة تتوضى وأنت لسه في عذاب القبر.

– الناس بتصلى وهي قربت تكلم اللي جنبها.

– يا حاج محروس الحقهم قبل ما يوصلوا للثعبان الأقرع.

– بدل ما تسلمهم للثعبان الأقرع بنفسك.

انفجر المسجد مرة أخرى بالتكبير والصلاة على النبى ولكن مع إضافة لعبارة جديدة "بركاتك يا شيخ مليجى".. انكمش الحاج محروس في مكانة خجلا من الناس التي كانت تنظر إليه مع كل جملة تخرج من مليجى كأنهم هم من أوصوه ليتكلم بالنيابة عنهم.

فجأة وقف الحاج متولى صاحب المقهى وعروقه تكاد تنفجر من الانفعال.

– الحاج متولى: يسلم بؤك يا سيد الناس.. إحنا قلنا الكلام ده كتير بس ما حدش بيسمع يا سيد الناس.. دا أنا كنت بخاف أخرج بالليل من الثعبان الأقرع يا سيد الناس.. الله يخيبه محروس كان راعبنا.

نظر مليجى إلى الحاج متولى نظرة كاد متولى يفقد بسببها وضوءه قبل وعيه، فألقى بنفسه كالحجر على الأرض يلمم جلبابه من حوله.

– مليجى في سخرية: الحاج متولى قايم ينصح.. الحاج متولى مش عاجبه كلام الحاج محروس.. الحاج متولى خايف من الثعبان الأقرع.. أنت يا حاج متولى بتخاف من ربنا ولا من الثعبان الأقرع؟ قوم فذ وجاوب؟

– وقف الحاج متولى مرة أخرى يقسم بالأيمان الغليظة في عصبية شديدة: لا لا كله إلا ربنا يا سيد الناس.. إلا ربنا يا حاج مليجى.

– نظر مليجى بقسوة إلى متولى: يا حاج متولى طب والشوال اللي تحت نصبة الشاى هتقول لربنا عليه إيه؟ ولا أنت فاكر إن ربنا مش شايف يا حاج متولى؟. طاحن نشارة الخشب مع الشاى يا حاج متولى وربنا ساترها عليك وما فضحاكش.. بتشرّب الناس الغلابة السم يا حاج متولى وما فضحاكش.. رايح تدور على ناس تشترى منك الشاى المضروب كمان يا متولى.. عايز توزع إنتاجك في كل مكان؟

أمسك الحاج متولى طرف جلبابه واستعد للفرار.. فبعد هذه الفضيحة لا مفر من أنها ستكون آخر أيامه في المنطقة.. تراجع خطوات إلى الخلف وهو يصيح مرددا:

– الحاج متولى: أبدا ما حصلش.. أبدا ما حصلش.

– وقف قطة الميكانيكى وأمسك بمتولى وهو يصيح: عايز تموتنا يا متولى.. عايز تموتنا يا متولى!

صرخ مليجى بقوة في الجميع بعد أن سادت حالة من الهرج.

– مليجي بصرامة: اخشع ياض منك له.. مش عايز أسمع صوت.. اقعد يا قطة.. ما حدش بيجي جنب الحاج متولى.. إنتوا فضايحكم مسمعه في كل حته وأنت بالذات يا قطة حسابك معاى كبير قوي.

– نظر قطة الميكانيكى برعب إلى مليجى وهو يتهته لا يقول سوى: أنا.. أنا.. أنا.. أنا !

– مليجى: خايف على نفسك من السم اللي متولى بيشربهولك ومش خايف من ربنا وأنت بتركب المستعمل في العربيات على أنها جديدة.. وكل يوم والتانى نلاقى حدثه ونقول قدر ربنا هنعمل إيه ما فيش حاجة في أيدينا.. اتارى في واحد نتن مش خايف لا على عيال ولا كبار يروحوا في داهية ولا يموتوا بس المهم يدخل جيبه **20** ولا **30** جنيه زيادة.

بدون سابق إنذار قفز المعلم حرب وانقض على قطة الميكانيكى يكيل له اللكمات، وهو يردد:

– المعلم حرب: خربت بيتى الله ينتقم منك.. بوظت لي الـ **3** عربيات اللي كانوا حيلتى.. الله ينتقم منك.

– مليجي في عصبية: يعنى ما فيش حد عامل لي اعتبار خلاص.. هي بقت كده؟

استطاع المصلون إنقاذ قطة الميكانيكى من بين براثن المعلم حرب الجزار ليعود الهدوء مرة أخرى إلى المسجد.. ظل الجميع صامتين لا يجرؤ أحد على

التحدث، بينما ظل مليجي صامتا هو الآخر يدور بعينيه على النـاس يتفحصهم حتى وقعت عيناه على الحاج سلماوى المزارع صاحب قطعة الأرض الصغيرة علـى أطراف المنطقة.. حاول سلماوى أن يختبئ إلا أن محاولته باءت بالفشل.

ابتسم مليجي عندما شاهد سلماوى بين الجالسين.. ظل ينظر إليه في صمت وسلماوى يتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه.

- مليجي وهو على حالة ينظر إلى سلماوى: ها تروح فين؟. ولـو هـا تـروح منى طب ها تروح من ربنا فين؟ ضحكت علينا كلنا.. قعدت تقـول أرضـى وربنـا مبارك فيها.. وإحنا نصدق.. أرضك بعيد ما حدش بيروح ناحيتهـا وأنـت هنـاك غرقان في الخير ومغرق المنطقة كلها من خيرك وخير أرضك.. خيرك غرق عيالك كمان.. بقوا بيشربوا وكمان بيتاجروا وكله مـن خـيرك يـا حـاج سـلماوى وخـير البانجو اللي بيطلع من أرضك.

انتفض سلماوى عندما ذكر مليجي اسمه ليجد كل من بالمسجد ينظر إليـه.. تزاحم الناس على باب المسجد في محاولـة للـدخول لرؤيـة الرجـل الـذي يـزرع البانجو ويغدق عليهم بما تفيض الأرض من خير أو في حقيقة الأمر من شر.

انكمش سلماوى حتى قارب على الاختفاء والكل ينظر إليه مع بعض الألفاظ التي تعبر عن الغل والكراهية لهذا الرجل الذي ظن الجميع به خيرا ولكن خاب ظنهم.

ضحك مليجي ضحكة قوية جذبت انتباه الكل مرة أخرى، ثم صاح كالأسد:

– مليجى: أوعوا تفتكروا إنكم مش زيهم.. أو إنكم أنضف منهم.. أوعوا تفتكروا إنهم ظالمينكم وإنتو غلابة مالكمش في الظلم.. كل واحد فيكم بيعمل مصيبة ومش فارق معاه جارة ولا صاحبه ولا ابن منطقته ولا فارق معاه أي حاجة.. كل واحد بيشرب من كأس الظلم ويباصيه للتانى ويقول له بالشفا.. يسرق من جاره اللي تحت عشان جاره اللي فوق يسرقه.. وهي دايرة الكل بيلف فيها.. مظلوم النهاردة هو ظالم بكرة.

– نظر مليجى إلى المعلم حرب: يا معلم حرب لازم عربياتك تعمل حوادث ولازم تتدغدغ على دماغك كمان.. هو أنت فاكر ربنا هيسيبك وأنت شغال في العجول العيانة واللي بتموت واللي ماتت كمان.. وياريت يا معلم حرب في حد بيشترى منك.. إلا إن ربنا مقفلها في وشك على الآخر.. يا معلم حرب إذا كنت زعلان من الشاى البايظ بتاع متولى القهوجى ولا مقهور على عربياتك اللي ادغدغت بسبب قطة الميكانيكى أديك أنت كمان بتديهم كل أسبوع كيلو لحمة هدية من العجل سواء عجل عيان ولا عجل ميت.. يعنى زيتنا في دقيقنا كلوا بيموت كلوا ولما بيجى يوم الجمعة أديك بتصلى الركعتين وتبعت بعدها صنية الفتة للمساكين ومحروس يدعيلك دعوتين إن ربنا ينجيك من الثعبان الأقرع ويوسع عليك من العجول العيانه والميتة.

وقف المعلم حرب مذهولا هو الآخر يأخذ نصيبه من عالم الفضيحة ولكن من دون أن يتكلم مما جعل مليجى يكمل.

– مليجى في صرامة: كل واحد فيكم قاتل التانى وعامل نفسه بريء..

شايف بلاوى التانى لكن أعمى على نفسه.. عايزين تعرفوا إيه تاني عنكم.. أنا أعرف عنكم كل حاجة.. أعرف أسرار بيوتكم كلكم لأن مافيش حد حفظ سر للتانى.. اللي فاكرين إنه سر بقى معروف عند الناس كلها..

- وقف فجأة أحد المصلين يهتف بقوة وعروقه تكاد تنفجر: " الله أكبر.. يا جمال النبى.. مولانا الشيخ مليجى يعرف كل حاجه.. الله أكبر".

- وقف آخر يؤيد هذا الكلام ولكنه أنهى هتافه بسؤال للشيخ مليجى: احكى لنا عن سبب غيابك يا مولانا.

- مليجى في دهشة: مولانا!.. مولانا آيه يا بشر.. أنتوا بايعين نفسكم كدا على طول؟ أنا زعيم العصابة.. أنتوا نسيتوا ولا أيه؟. أنا مليجى زعيم العصابة..

- وقف أحدهم يصرخ في استهجان لما قاله مليجى: أستغفر الله ما تقولش على نفسك كده يا شيخ مليجى دا أنت من أولياء الله الصالحين.

ظل مليجى ينظر في دهشة للرجل غير مستوعب لما قاله عن أولياء الله الصالحين، ثم تخلص بعدها من الأفكار الشريرة التي راودته للفتك بهذا الرجل بعدما تذكر أنه في بيت من بيوت الله.

- مليجى في دهشة: من زعيم عصابة لولى من أولياء الله الصالحين.. من راجل بطال لشيخ.. قوام كدا.. طب ليه؟

تنبه مليجى للحاج محروس وهو يشير إليه بإشارة غير مفهومة مما أثار دهشته.

- مليجى: تعالى يا حاج محروس قول عايز إيه ماتتكسفش.. عمال تشاور وأنا مش فاهم حاجة منك.. اطلع لي فوق هنا قول عايز إيه؟

- صعد الحاج محروس بسرعة درجات المنبر ثم انكب على مليجى يهمس له: الخطبة الأولى خلصت خلى الناس تدعى؟

- مليجى في حيرة: يعني خلاص هنصلى؟

- محروس: لا.. قول لناس تدعى وبعد دقيقة كمل كلامك.

- مليجى مذهولاً: بس كدا؟

- الحاج محروس في غيظ: بس ما تطولش في الخطبة التانية عشان نلحق نصلى الجمعة قبل العصر.

- مليجى في فضول: هو إحنا ممكن نصلى الاتنين مع بعض؟

- الحاج محروس في عصبية: يا شيخ مليجى ما تشلنيش.. أبوس إيدك إحنا مش قاعدين قعدة صفا.. دي صلاة الجمعة.

- مليجى منهيا الحوار: طب انزل يلا وأنا هتصرف.. اتكل على الله.

نزل الحاج محروس وهو يهمس بكلمات تعبر عن الندم من تركه مليجى يصعد المنبر ولكنه تحاشى بالطبع أن يسمع مليجى ما يقول.

- انتظر مليجى حتى جلس الحاج محروس، ثم نظر إلى المصلين: هي دقيقة مش أكتر.. اللي عايز يدعى يخلص بسرعة.

نظر المصلون إلى مليجى في دهشة من طريقة كلامه لكنهم انصاعوا بسرعة

وانهمكوا في الدعاء الذي لم يخل من سؤال الله عز وجل أن ينجيهم من هذا الموقف الذي لا يعلم أحد إلى ما سينتهي.

ظل مليجى ينظر إلى ساعة يده في شغف حتى انقضت الدقيقة فوقف مرة أخرى يصيح: الدقيقة خلصت خلاص.. نرجع لموضوعنا بقى!

– قاطعه صوت أحد المصلين: " قول لنا عن رحلتك يا مولانا وإيه الغيبة الطويلة دي".

نظر مليجى يبحث عن المتحدث، فلم يجد سوى وجوه تملؤها اللهفة لسماع قصة غيابه.. أغمض عينيه للحظات ثم فتحها مرة أخرى ومعها فتح قلبه ليتحدث إلى الجميع.

– مليجى في تأثر:

– أنا كنت في بلد الناس..

– شفت هناك ياما..

– سبحان الله الناس هناك غريبة قوي..

– الفقير غنى والغنى فقير..

– الراجل ست والست راجل..

– شفت الأب أم والأم أب..

– شفت الأخ عدو أخوه..

– شفت الصاحب بيخون و يجور..

- شفت الناس بتحب اللبس بس ماحدش لابس حاجه..

- شفت الناس بتاكل من كل صنف لكن جعانين..

- شفت الكدب دين عند الناس كتير قوي بيؤمنوا بيه..

- حاطين شعار في كل مكان الدين لله والوطن للجميع..

- دورت كويس بس لا لقيت دين ولا لقيت وطن..

- التلامذة حاجة تفرح شكلهم وهما رايحين المدرسة يقول إن مصر هى الدنيا..

- الناس بتضحك في وشى لكن مش بتضحك لقلبى..

- قلت أغير لبسى ولبست زيهم بس مابقتش زيهم..

- قلت أتكلم زيهم مابقتش زيهم..

- قلت مافيش مفر بقى غير أنى أكدب زيهم..

- ساعتها لقيت كل حاجة اتغيرت..

- فهمت اللي ماكنتش فاهمه..

- لقيت الشر حلو مش وحش زي ما كنا فاكرين..

- لقيت الخير مش جايب همه وماحدش واقف جنبه..

- لقيت الدنيا نورت..

- نورت قوي زي فرح ابن المعلم حرب كده..

– عشت أيام وليالى بس حنيت..

– حنيت لمطرح قديم ووش أصيل..

– لقمة مع صاحب وركعة في الجامع اللي عمري ما صليت فيه..

– أخرج مليجى تنهيده كالعاصفة:

– كان نفسي أركب الطيارة..

– آه صحيح..

– كل يوم أشوفها فوق في السما..

– حلم كبير..

– بس ما لحققتش أفرح بيه..

– قالولى هتركب تروح فين..

– قلت هو أنا لازم أروح حته يعنى عشان أركب..

– أنا عايز أركب بس لكن مش عايز أروح حته..

– قالوا لي ماينفعش..

– قلت لهم يعنى كل الناس دي هربانة من البلد..

– طب رايحين على فين..

– قالوا لي كل واحد رايح حتة غير التانى..

– طب أمال مين اللي هيقعد هنا..

- ماحدش رد علي..

- لكن أهو دا اللي جرى..

- بس أنا ركبت الأتوبيس النهرى حلو قوي قوي

- ربنا يبلغكم المنى وتركبوه..

نظر مليجى إلى الوجوه وتعبيراتها فوجدها لا تفهم أي شيء مما قال ولكن صرخ أحدهم بقوة: "الله أكبر الله أكبر.. تجليات يا مولانا تجليات.. يا جمال النبى".

لم يفهم مليجى ماذا تعنى التجليات ولكنه أدرك الأمر أخيرًا

- مليجى في دهشة: تجليات؟ يعنى إيه تجليات؟ إنتوا صدقتوا إنى كنت في عمرة؟ يا بلاوى أنا كنت في مصلحة!

وقعت كلمات مليجى عليهم كالمطرقة على الرأس، فأصابت الجميع بالبلاهة.. أفواه مفتوحة على مصراعيها وعيون تستغيث.. لم ينقذ الجميع سوى محروس الذي وقف يشير إلى مليجى بصرامة.

- الحاج محروس: الصلاة يا شيخ مليجى.. العصر قرب يا شيخ مليجى.. ابقى احكى لنا الجمعة الجايه عن تجلياتك في بيت الله الحرام ولما شفت الكعبة وقلت إيه لما وقفت قدام النبى عليه الصلاة والسلام.

فكر مليجى في القفز من فوق المنبر ليفتك بمحروس حتى لا يكذب على الناس فقد قالها صراحة بأنه لم يذهب للعمرة. تنبه مليجى للناس أمامه وهي

ترفع أكفها تنتظر الدعاء فنحى تهوره جانبا، حتى لا يفسد الصلاة من أجل هذا المحروس ولكنه الآن في مأزق فهو لا يدرى بالفعل كيف يبتهل بالدعاء.

– مليجى مرتبكاً: هو أنتوا مش دعيتوا من شويه وخلاص؟

– الحاج محروس وهو يرفع يده: ادعى يا شيخ مليجى ربنا يفتح عليك.

شعر مليجى بالدوار ولكنه رفع يديه الاثنين يبحث عن كلمات بينما أنظار الجميع متجهة نحوه.. تماسك ليبدأ في فاصل من الدعاء أو فاصل جديد من الفضيحة..

مليجى:

يا رب اهدى محروس وخليه يبطل كدب

آمين

يا رب عايزينه يعلمنا الوضوء

آمين

يارب عايزينه ينسى شوية عذاب القبر

آمين

يارب عايزينه يحكى لنا عن نعيم القبر

آمين

يا رب خليه يبطل حكاية الثعبان الأقرع

آمين

يا رب اكشف لنا سر محروس والثعبان الأقرع

آمين

يا رب عايزينه ياخد بأدينا

آمين

يا رب مش عايزينه يسحبنا من رجلنا

آمين

مالناش غيرك يا رب

صمت مليجى للحظات فرفع الناس رؤوسهم إليه في انتظار أن يكمل الدعاء

مليجى:

يا رب نضف ذمة قطة الميكانيكى

آمين

يا رب شيل النتانه من نفس قطة الميكانيكى

آمين

يا رب احفظ عيالنا من جشع قطة الميكانيكى

آمين

يا رب أوقف حاله إن وقف حالنا

آمين

يا رب بوّظ قطع غياره لو بوّظ قطع غيارنا

آمين

يا رب احمينا من الشر اللي بيبعتهلنا

آمين

مالناش غيرك يا رب

فجأة انخرط مليجي في البكاء تأثرًا من الدعاء

مليجي:

يا رب اهدى المعلم حرب الغشاش

آمين

يا رب بناقص لحمة المعلم حرب طالما هتموتنا

آمين

يا رب دغدغ عربيات المعلم حرب لو باع العجول العيانة

آمين

يا رب سلط قطة الميكانيكى الغشاش على المغلم حرب الغشاش

آمين

يا رب احمى المساكين من فتنة المعلم حرب

آمين

يا رب طفح المعلم حرب اللحمة لو باعها لنا بايظه

آمين

يا رب اقلبها حرب على المعلم حرب لو سود عيشتنا

آمين

مالناش غيرك يا رب

شعر مليجى بأنه يبدع في الدعاء وقد تكون هذه هي التجليات بالفعل

مليجى:

يا رب لو متولى هيسقينا السم صحى له ضميره يا رب

آمين

يارب لو متولى هيخون العيش والملح اهديه يا رب

آمين

يارب لو متولى عكنن علينا مزاجنا عكنن عليه يا رب

آمين

يارب النصبة تولع لو ماولعش في السم اللي تحتها يارب

آمين

مالناش غيرك يا رب

وقعت عيناه على سلماوى وهو يتظاهر بالدعاء

مليجى:

يا رب احرق سلماوى لو ما حرقش أرض البانجو

آمين

يا رب ولع صدره لو ولع صدور الناس

آمين

يا رب ضيع عقله لو ضيع عقول الناس

آمين

يا رب اخرب بيته لو خرب بيوت الناس

آمين

يا رب يطفح اللقمة لو طفحنا بانجو

آمين

مالناش غيرك يا رب

صمت مليجى برهة يبحث عن أحد يدعوا عليه، فلم يجد والناس تنتظر أن ينهى أو يكمل ففضل أن يكمل

- مليجى:

إحنا مساكين يا رب

مجرمين بس مساكين

كدابين بس مساكين

حرامية بس مساكين

قتالين قتلا بس مساكين

بوشين بس مساكين

ظلمة بس مساكين

آكلين سحت بس مساكين

عبيد غيرك بس مساكين

بنصون عشرة الشياطين بس مساكين

مالناش في الخير بس مساكين

مالناش في الحق بس مساكين

مالناش في الصدق بس مساكين

مالناش في الكرامة بس مساكين

مالناش في أي حاجة ترضيك بس مساكين

بس في الآخر مساكين

مساكين على بابك اللي عمره ما اتقفل

مساكين متشعلقين في رحمتك

مساكين وعارفين إنك الكريم

اعف عن المساكين وأكرمنا يا رب

صمت مليجى ليلتقط أنفاسه، بينما الناس بين شجن وبكاء فاخترق صوت بائع البطيخ بالخارج هذا الجو الإيماني

- بائع البطيخ: البطيخ.. بطيخة الجمعة.. مين قال شق لي؟

- مليجى في غضب: يا رب البطيخ كله يطلع اقرع يا رب.

- آمين.

اختفى صوت بائع البطيخ بعد هذا الدعاء الغير متوقع.. بعدها نزل مليجى من على المنبر ليجد الناس تدفعه دفعًا ليؤمهم في الصلاة.. وقف مترددا ينظر إليهم لا يجرؤ على هذه الفعلة، ثم تلفت حوله يبحث عمن ينقذه من هذه الورطة.. تفحص الوجوه حوله فخرجت منه جملة اعتراضية.

- مليجى في عفوية: إيه الناس اللي كلها شمال دي.. ما حدش عدل خالص!

وقع نظرة على صبى يبدو بأنه قد تجاوز العاشرة من عمره يقف بجوار والده وعلى وجهه سخط وغضب.. اقترب مليجى منه في دهشة.

- مليجى: اسمك إيه ياض؟

- الصبى وملامحه لا تتغير: محمود.

- مليجى: في سنة كم يا محمود؟

- محمود: 5 ابتدائي.

- مليجي: مالك باصص لي كدا ليه؟ أنت مش خايف؟

- محمود: وأخاف منك ليه ولا أخاف منكم ليه.. كلكم طلعتوا شوية حرامية ومجرمين.

- اهتز مليجي من كلمات محمود: حتى أنا؟

- محمود: أنت أولهم.. مش أنت قلت على نفسك زعيم عصابة.

- مليجي مرتبكاً: تعرف تصلى؟

- محمود: الحمد لله؟

- مليجي: طب تعرف تصلى بينا؟

- محمود: الحمد لله.

- مليجي مرتبكا: الحمد لله دي معناها إيه يعنى؟ هتعرف تصلى بينا؟

- محمود بنفاد صبر: أيوه أعرف أصلى بيكم.

أمسك مليجي بيد محمود واتجه إلى مكان الإمام فاعترضه الحاج محروس في دهشة.

- الحاج محروس: دا عيل صغير؟!

- مليجي: وفيها إيه؟

- الحاج محروس: ماينفعش يا شيخ مليجي.

- مليجي بغضب: ليه ماينفعش؟

- الحاج محروس: مايصحش يا شيخ مليجي الناس الكبيرة ييجي عيل صغير يصلي بيهم.

- مليجي: ارجع يا محروس مكانك ماحدش هيصلى غير العيل الصغير ده.. الوحيد اللي لقيته نضيف فينا.. لسه عيل صغير نلحقه قبل ما يتوسخ مننا.

لم يعط مليجي الحاج محروس فرصة لإطالة الحوار فأوقف محمود مكان الإمام ورجع إلى الخلف.. التفت إليهم محمود وهو لا يبدو عليه أي قلق أو رهبة من الموقف.

- محمود: استقيموا يرحمكم الله.

ابتسم مليجي فرحا بهذه البداية المبشرة، بينما هدأ الآخرون بعد هذه الجملة إلا أن محمود أكمل كلامه ليدهشهم.

- محمود: ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها.

نظر الجميع في دهشة إلى محمود الذي لا يخشى الموقف بل ويلقى عليهم العظة تلو الأخرى.. سارت همهمة بين الصفوف قطعها صوت مليجي المميز.

- مليجي: لا مؤاخذة يعني إيه الكلام ده؟

- محمود: يعنى لا تبص يمين ولا شمال.. يعنى لا تسرح في أكل ولا شرب.. يعني تنسى مشاكلك والدنيا وتخليك مركز عشان أنت واقف قدام ربنا.. فاهم يعنى إيه واقف قدام ربنا.

ارتبك مليجي تأثرا من كلمات محمود التي أصابت الجميع بالدهشة من

فهمه وإدراكه للأمور.. لكنه استجاب أخيرًا ونظر إلى الأرض لتبدأ صلاة الجمعة التي هي ليست كأى جمعة.

انتهت الصلاة مع تسليم الصبى، لتبدأ فقرة جديدة لم تكن في مخيلة أحد.. فمع تسليم الصبى علت التكبيرات بشكل مفاجئ مع تنوع العبارات المصاحبة للتكبير: "الله أكبر.. يا جمال النبى"، و"بركاتك يا شيخ مليجى"، و" الحضرة إمتى يا مولانا".

تكالب الجميع من أجل أن يطبع قبلة على يد الشيخ مليجى الذي كان ينهر الناس ويدفعهم بغضب عنه لكنهم يعاودون الكرة مرة أخرى بلا كلل أو ملل في إصرار كإصرار الذباب.

نظر مليجى إلى محمود، فوجد على وجهه ابتسامة سخرية مما يحدث.. تعجب من هذا الصبى الذي يبدو أنه العاقل الوحيد بينهم.. اخترق أذن مليجى صوت أحدهم وهو يصرخ: "الليلة بعد صلاة العشا هتبقي الحضرة بتاعة الشيخ مليجى".

تلفت يبحث عن هذا الشخص ليفهم منه ماهية الحضرة؟ ومن الشيخ مليجى الذي سيحضر؟ وهل يتحدث هذا الرجل عنه أم أنه تشابه أسماء؟ لكنه فشل في الإمساك به!

كاد عقله ينفجر من الارتباك.. تلفت يمينا ويسارا يبحث عن محمود الذي اختفى وسط الزحام فلم يجده.. شعر بدوار وأوشك على السقوط.. شعر بعدها بأن

صدره يضيق ولا يجد هواء ليتنفسه بعدما حصلت الحشود من حوله على نصيبه من الهواء.. سقط وهو ينظر إلى الناس في ذهول!

تلقفته الأيدي في لهفة وشوق كأنها كانت في انتظاره منذ سنوات.. حملته على الأكتاف فوجد بالأعلى قليلا من الهواء.. استنشق الهواء بقوة فاستعاد وعيه.. سارت الجموع خارج المسجد حاملين مليجى على الأكتاف تهتف بحياة ولى من أولياء الله الصالحين وصاحب الطريقة الجديدة.. وبينما الركب يسير حاملا مليجى على الأكتاف، نظر مليجى إلى البشر الذين يحملونه فوجدهم بشرا يبحثون عمن يستعبدهم.. بشر يبحثون عمن يذهب بعقلهم.. بشر يبحثون عمن يستأجر حريتهم.. بشر يبحثون عمن يرهن قرارهم.. بشر يبحثون عن خرافة ليعتنقوها.. بشر يرفضون أن يكونوا بكامل إنسانيتهم..

ظل الركب يبتعد بعيدًا عن المسجد وعلى باب المسجد، وقف الصبى الصغير تعلو وجهه ابتسامة هي خليط من السخرية والأسى ينظر إليهم جميعا، وهم يحملون السيد الجديد، ليتوجوه على المملكة الجديدة.. مملكة الظلم!

* * *

الفهرس







"ظل القصر مقبرة للغزاة المرضى وعندما حاولت العجوز الوصول إليه من أجل حفيدها،
وقف الواد اللّه يهده لها بالمرصاد، لتجد نفسها أمام قصر يفوق قصر العمدة جنونًا.. "

(إلى القصر)

" على الرغم من كونها حصة زراعة وبلا زراعة، فإنها استطاعت أن تزرع
ولكن عكس ما كان يزرع الآخرون.. "

(حصة الزراعة)

" حمل أجريوس رسالة من الملك تقول: "كفى بالموت زائرا"،
ولكنه أجريوس ومثل أجريوس لا يأتي بخير أبدا.. "

(أجريوس)

" لن ينسوه أبدًا.. نعم أبدًا.. فالدموع على وجهه كانت بمثابة تذكار لكلٍ منهم..
تذكار بأن النجاح قد يعنى في نفس اللحظة كل الفشل.. "

(المفاوض)

" ظل الركب يبتعد بعيدًا عن المسجد، وعلى باب المسجد وقف الصبى الصغير تعلو وجهه
ابتسامة، هي خليط من السخرية والأسى ينظر إليهم جميعا وهم يحملون السيد الجديد
ليتوجوه على المملكة الجديدة.. مملكة الظلم!.. "

(الجمعة)

